ارسين لوبين

الكوخ المهجور



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

الكوخ المهجور

(٥٨)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون : 00 961 9 262 939

فاكس : 00 961 9 260 401

الفصل الأول

زار المفتش "ماك موران" من إدارة سكتلنديارد صديقه "مارتن ديل" (ارسين لوبين) طبقا لوعد ضربه له .. وجلس الاثنان يتحدثان عن الجريمة ودوافعها وعناصرها ، وفي معرض الحديث قال المفتش :

- اكبر الظن أنك دعوتني لتطلعني على بشائر قضية جديدة .

- أصبت يا عزيزي . فإني أرى نذير عاصفة أخرى تتجمع في الأفق.

وأخرج "لوبين" من جيبه غلافا قدمه للمفتش .. ففض "ماك" الغلاف.. وراح يقرأ الرسالة التالية بتان واهتمام شديدين : "المنجتون هاوس - هويتون - نور ثمبرلاند" .

"سيدي العزيز - لقد صح عزمي على زيارتك غدا ، للتشاور في مسالة على جانب عظيم من الأهمية - وساصل إلى "كنج كروس" بقطار الثالثة والدقيقة السابعة عشرة ، فإن كان هناك ما يحول دون مقابلتي فارجو أن تبرق إلي - المخلص "جوليان سكين" .

وقطب المفتش حاجبيه .. وراح يردد اسم كاتب الرسالة .. ولم يلبث أن قال :

لا أظن أنني سمعت بهذا الاسم من قبل ..

فمد "لوبين" يده إلى المنضدة الموضوعة أمامهما .. والتقط صحيفة "نورث ميل كرونكل" . وقدمها إلى المفتش ، وهو يشير إلى مقال معين..

والقى المفتش نظرة أولية على تاريخ الصحيفة . وقال :

إنها بتاريخ ٢٤ سبتمبر ، أعني لقد مضى على صدورها شهر .

فأوما "لوبين" برأسه .. بينما بدأ المفتش يطالع النبذة التالية :

"يؤسفنا أن نذكر انه مضى شهران على اختفاء مستر "مارك فراين كنريستون" ابن مستر "كنريستون" صاحب "المنجتون هاوس" في "هويتون" ، دون أن يتمكن رجال البوليس من العثور له على أثر .. ويخشى المسؤولون أن يكون الشاب قد ذهب ضحية حادث مؤلم .. ولعل القراء يذكرون أن مستر "كنر يستون" شوهد لآخر مرة بعد ظهر يوم الأحد ٢ يوليو الماضي .. ولقد ذكر مستر "إيوارت كنريستون" لمندوب هذه الصحيفة في لقائهما أمس أنه لم يتلق أي نبأ عن ابنه

الغائب منذ اختفائه .. وطلب إلى المندوب أن يذيع على الملأ أنه يرحب بأية معلومات تصله عن حركات ابنه بعد ظهر يوم ٢ يوليو الماضي" .

ووضع المفتش "ماك موران" الصحيفة فوق المنضدة . وقال :

يبدو لي أنك تعتقد أن لزيارة مستر "سكين" علاقة بهذا الحادث؟

- هذا ما أعتقد يا صديقي .. إن الساعة الآن الرابعة إلا خمس دقائق.. وأحسب أن صديقنا "سكين" لن يغيب طويلا .. آه إني اسمع طرقا على الباب .. فلا ريب إذن أن الزائر قد وصل .

وأقبلت خادمة "لوبين" بعد قليل تعلن مجيء مستر "جوليان سكين" .

الفصل الثاني

كان القادم رجلا طويل القامة .. أسود الشعر .. بادي النشاط .. في الحلقة الرابعة من عمره وحيا "لوبين" زائره باحترام .. وقدمه إلى المفتش "ماك موران" .. ثم قدم له كأسا من الشراب .

وتمهل مستر "سكين" قليلا .. ثم افتتح الحديث قائلا :

ـ لقد كنت أرجو أن يكون اجتماعنا خاصا يا مستر "ديل" ..

فابتسم "لوبين" وأجاب :

- إن مستر "ماك موران" صديقي الحميم .. وهو لن يبوح بكلمة واحدة مما ستفضي به إلي اللهم إلا إذا طلبت أنت إليه ذلك .. ثم إنه لن يتدخل فيما جئت لزيارتي من أجله ..

- لقد كنت أرجو أن يكون حديثنا على انفراد .. وهلا أدركت أنني اخترتك بالذات لأنك لست من رجال البوليس الرسمي ..

- لا تنس أن صديقي لم يأت إلى هنا بصفته الرسمية ، وإنما بصفته الشخصية . فلا مدعاة إذن للقلق ..

فتردد الرجل .. وراح يردد الطرف بين "لوبين" و "ماك موران" .. ثم قال :

- أرجو الا تخطئا تقدير دقة موقفي .. وينبغي أن تعلما أنني لست خائفا من ذيوع ما جئت من أجله .. وما رغبت في التزام السرية إلا من أجل الآخرين ، ولكن مادمت تصر على بقاء صديقك هنا . فإني أرجو أن تعدني بأن يكون حفيظا على السر .

وضاق "لوبين" ذرعا بإلحاح زائره وإصراره ، فصاح :

- أظنني أعطيتك هذا الوعد .. وإذا كنت تعتقد أنني أجهل طبيعة المسألة التي جئت لزيارتي من أجلها فانت واهم ، وبهذه المناسبة ، ألم تصلكم حتى الآن أية معلومات عن مستر "مارك فراين كنريستون" ؟ .

فحدق "سكين" في وجه "لوبين" وعلت وجهه علامات الدهشة البالغة ، وقال :

- إذن فانت عالم بجوهر المسالة التي جئت لمقابلتك من أجلها ؟ لقد كنت اعتقد ان صحف لندن لم تعرهذه المسالة أي اهتمام .. أو انها

نشرت أنباءها في مكان غير ظاهر .

فقال "لوبين" :

- إن طبيعة عملي تحتم عليّ قراءة كل محتويات الصحف . فلما قرأت اسم "المنجتون هاوس" في رسالتك تذكرت حادث اختفاء مستر "ماك كنريستون" ، والآن ، أرجو أن تبدأ في سرد قصتك يا مستر "سكين" . فقد أضعنا وقتا طويلا .

فعلت شفتي "سكين" شبه ابتسامة ، وقال :

- حسنا . سأحدثك بكل صغيرة وكبيرة لأن ذلك مما يهون على الباحث الجنائي مثلك كثيرا من المشاق والمتاعب .

واعتدل مستر "سكين" في مقعده . وجرع قليلا من كاس الشراب ثم استطرد :

- أرى أولا أن أبدأ بذكر الأشخاص الذين يقيمون في الـ"منجتون هاوس" .. هناك رب العائلة مستر "إيوارت كنريستون"، ويعرف بين الفلاحين باسم "الدكتور كنريستون" وهو رجل رقيق المعشر من خيرة علماء البشر في الطبيعيات والچيولوچيا (علم طبقات الأرض) والحفريات .فضلا عن إلمامه التام بفلسفة الحياة وتاريخ الشعوب ، ومستر "كنريستون" في الستين من عمره ، وكان يتمتع بصحة يحسد عليهاإلى أن اختفى وحيده فاثرت الصدمة عليه تاثيرا بالغا وبدأت الشيخوخة تدب في أوصاله ، وقد تزوج في سن متاخرة ، أعني بين الثلاثين والأربعين ، وجَاء هذا الزواج نتيجة تعارف تم بينه وبين زوجه إبان إحدى رحلاته خارج البلاد .. وكانت هذه الزوجة تعرف باسم الآنسة "دنيس سانت آلاري" . بنت ثري فرنسي . وشاء سوء الحظ أن تصاب الزوجة بمرض خطير بعد عشر سنوات من زواجها . ولم تلبث أن قضت نحبها وتركت لزوجها فتى وفتاة ، هما "مارك" الذي تعرفون قصة اختفائه ، و "هيلين" ، وأما "مارك" ففي الثالثة والعشرين من عمره ، بينما احتفلت "هيلين" بعيد ميلادها الحادي والعشرين في شهر يوليو الماضي أي بعد اختفاء أخيها بحوالي أسبوعين .. وإلى جانب ذلك تقيم معهما خالتهما أخت المرحومة مسز "كنريستون" في الـ"منجتون هاوس" ، وهي عانس يطلق عليها الجميع اسم العمة

"صوفي" ، وأما اسمها الحقيقي فـ"صوفي سانت آلاري" .. وأظنها في الثانية والأربعين من عمرها .. لأنها تكبر أختها التي ماتت بحوالي تسع سنوات .

وتمهل مستر "سكين" ريثما يلتقط أنفاسه ، وهم بسرد أسماء الخدم ولكن "لوبين" طلب إليه إرجاء ذلك ، والانتقال إلى ذكر قصة اختفاء "مارك كنريستون" . فصدع الزائر وقال :

- كما تشاء يا سيدي .. سأحدثك إذن عن علاقة سكان قصر الـ"منجتون" ببعضهم ، ففيما اعتقد كانت هذه العلاقات ومازالت على أحسن ما يكون .. فإنني لم أسمع أن أحدهم احتك بالآخر أو تشاجر معه ، ولعلك تعجب كيف أتيح لي إصدار هذا الحكم . ولكني اذكر لك انني اقيم في قصر الـ"منجتون" منذ مات أفراد عائلتي . فقد كان أبي صديقا حميما للأسرة .. فلما مات كفلني مستر "كنريستون" ولو صح أن الآنسة "صوفي" سريعة الانفعال والغضب إلا أنها أيضا سريعة الصفح والهدوء ومستر "كنريستون" سعيد بوجودها في منزله .

أما "مارك كنريستون" ففي الثالثة والعشرين من عمره كما ذكرت وهو شاب رقيق المعشر .. مرح ، محب للحياة ، ولا عجب فقد كان مغرما بفتاة على جانب عظيم من الجمال ، تتلاءم صفاتها مع صفاته وأخلاقها مع أخلاقه ، حتى لقد خطبها لنفسه أثناء الربيع . ووافق أبوه على هذه الخطبة ، كما وافق عليها أبو الآنسة "هاليول" ، وسارت الأمور في طريقها الطبيعي . واتفق الجانبان على إقامة حفلة الزفاف في هذا الشهر . ولما كان الشاب قد ورث ثروة كبيرة عن أمه ، فلم يكن هناك إذن أي نذير يهدد صرح سعادته المستقبلة .

وللمرة الثانية توقف مستر "سكين" عن سرد قصته ريثما يشرب قليلا من الشراب . ثم استطرد :

- لننتقل الآن إلى يوم الحادث .. هو يوم الأحد الثاني من شهر يوليو الماضي .. تناولنا جميعا طعام الغداء في "المنجتون هاوس" في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .. وكان اليوم شديد القيظ .. فلما فرغنا من تناول الطعام .. خرجت إلى الحديقة ، وجلست فوق مقعد مريح موضوع تحت مظلة جانبية .. وأخذت أطالع كتابا .

وهنا قاطعه "لوبين" متسائلا :

- لحظة واحدة يا مستر "سكين" .. هل تسمح فتذكر لي أسماء رفاقك على مائدة الطعام في ذلك اليوم ؟

- بالتاكيد يا مستر "ديل" .. كنا ثمانية .. اربعة رجال ، وأربع فتيات.. أما الرجال فهم مستر "إيوارت كنريستون" رب الدار .. و"مارك".. و "هولدربز " سكرتير مستر "كنريستون" وانا.. وأما السيدات فالآنسة "صوفي سانت آلاري" .. و "هيلين" والآنسة "هاليول" خطيبة "مارك" .. والآنسة "شيلاج برنيز" وهي صديقة "هيلين" الحميمة من أيام المدرسة.

- أشكرك يا مستر "سكين" . إن هذه المعلومات ثمينة بغير شك.. فلتعد الآن إلى وصل ما انقطع من قصتك ..

- حسنا يا سيدي .. قلت لك إنني جلست في الحديقة وأخذت أطالع كتابا ، وكان ذلك في الساعة الثانية إلا ربعا .. وأما "هيلين" فقالت إن لديها بضع رسائل تريد كتابتها وبقيت في القصر بينما غادر "هولدربز" والآنسة "شيلاج برنيز" الدار ، وتحدثا معي قليلا في الحديقة . وأذكر أنهما قالا لي إنهما ذاهبان في نزهة قصيرة على شاطئ نهر "آلمر" ، وهو نهير صغير يبعد حوالي نصف الميل عن القصر
كما أذكر أنني هزأت منهما لخروجهما في مثل هذا الطقس القائظ ، ونصحتهما بأن يحذوا حذوي .. ولكنهما سخرا واستأنفا نزهتهما .. وحوالي الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة رأيت "مارك كنريستون" يغادر القصر إلى الحديقة .. ولم يلبث أن مر بي .. وقال لي إنه ذاهب إلى القرية ، أعني قرية "هويتون" .. وكانت ترتسم على وجهه علامات التفكير.. ولما ابتعد عني ، تحول إلي ولوح بيده .. وكان هذا ، فيما أعتقد ، آخر عهدنا بالشاب .. فإن أحدا لم يره حيا بعد هذا الوقت ..

فقال "لوبين" :

- أصبت .. فإننا لا نملك حتى الآن دليلا واحداً على أن "كنريستون" قد مات .

- ولكن لا تنس يا مستر "ديل" أننا جميعا فقدنا الأمل في العثور عليه حياً .. وخاصة مستر "كنريستون" .. على أني أود أن ألفت نظرك

إلى مسالة مهمة تشغل بالي .. وتلك هي أن اختفاء الشاب وقع في الفترة بين إعلان خطبته والموعد الذي حدد لزفافه.

- لقد فطنت إلى هذه المسالة بدوري .. لأنها جوهرية في القصة كلها.

- ولكنك لم تفطن إلى مسالة تضارع هذه المسالة ، بل وتفوقها أهمية من وجهة نظري .. وتلك هي أنني والآنسة هيلين كنريستون خطيبان وقد حدد موعد زفافنا بعد أسبوعين من اليوم . أعني يوم عيد القديس ، الموافق يوم الأربعاء ١١ نوفمبر .. وإني لشديد القلق على خطيبتي لأن هاتفا خفياً يهتف بي أن مصيرها سيكون حتما كمصير أخيها .

فمال "لوبين" إلى الأمام في مقعده .. ولمعت عيناه ببريق الاهتمام الشديد .. ثم هتف :

هذا نبأ على جانب كبير من الخطورة .. ولكني لا أستطيع أن أعدك بأية معاونة إلا إذا وضعت بين يدي جميع المعلومات التي تعرفها .. فينبغي إذن أن تحدثني بالأسباب التي ينهض عليها خوفك على حياة خطيبتك ..

فتمهل "سكين" هنيهة . ثم قال بصوت أجش :

.. إليك إذن مصدر مخاوفي .. ولو أنه قد يبدو في عينيك تافها . لا يعتد به .. إن ثروة آل "كنريستون" هي مصدر هذا الخوف .. لأن هذه الثروة كانت ملكا للسيدة "كنريستون" ، فلما انتقلت إلى جوار ربها أوصت بأن تقسم ثروتها إلى ثلاثة أقسام اثنان منها متساويان أحدهما لابنها "مارك" والآخر لابنتها "هيلين" .. وأما القسم الثالث وهو أقل بكثير من القسمين الأولين فمن نصيب زوجها مستر "إيوارت كنريستون" .. إنني لا أستطيع تحديد الأرقام لأنني أجهلها .. ولكن هذا فيما أعلم كان جوهر التقسيم .

فقاطعه "لوبين" قائلا :

- ومن الذي يفوز بنصيب "مارك كنريستون" إذا مات ؟

فحك "سكين" ذقنه بيده ثم أجاب :

- كنت آمل ألا تلقي عليَّ هذا السؤال ، لكن مادمت قد ألقيته

فسأحاول بكل مافي وسعي أن أجيب عنه .. أظن أنني لن أخطئ إذا قلت إن "هيلين" وأباها هما اللذان يفيدان من موت "مارك" . ومع ذلك فإنني لست عليما بالتفاصيل .

وساد الصمت هنيهة . ثم استأنف مستر "سكين" سرد قصته . فقال:

منذ أول يوليو اشتد قلق الآنسة "كنريستون" لاختفاء أخيها وأخذت صحتها تتدهور .. حتى لقد اقترحت عليها خالتها في منتصف شهر أغسطس أن تستشير طبيب الجهة فيما أصابها من اعتلال صحتها فعملت الفتاة بالنصيحة وقصدت الدكتور "بلايفير" ، فهو إلى جانب قدرته الفنية صديق قديم للعائلة .. وقد نصح الطبيب الآنسة باتباع نظام خاص في معيشتها لأن جهازها العصبي أصيب بصدمة شديدة .

- ألم يقترح الدكتور "بلايفير" على الآنسة "كنريستون" مغادرة قصر "المنجتون" فترة من الزمن تغييرا للهواء .

فهز "سكين" رأسه سلباً .. ثم أجاب :

- كلا .. فقد قال إنه إذا اتبعت الآنسة إرشاداته بعناية فليست هناك أية ضرورة لابتعادها عن "المنجتون هاوس" .

- هل لك أن تذكر لي هذه الإرشادات ؟

- كانت إرشادات عادية جدا .. فهو مثلا نصحها بقضاء أغلب وقتها في الهواء الطلق ، والشمس .. ومرافقة الأشخاص المرحين.. إلى غير ذلك من النصائح التي يقدمها الأطباء لكل شخص متعب الأعصاب.

- وهل اتبعت الآنسة "كنريستون" هذه النصائح .. ثم هل أفادت صحتها من ذلك ؟

- نعم اتبعتها بدقة .. وقد تحسنت صحتها في بادئ الأمر .. إلى أن وقع حادث أحال هذا التحسن المطرد إلى تدهور سريع .. وتفصيل ذلك أن خالتها الآنسة "صوفي سانت آلاري" اقترحت على المستر "كنريستون" أن تنقل "هيلين" من غرفة نومها الحالية إلى غرفة نوم أخيها "مارك" .. وقد دللت الخالة على وجاهة اقتراحها بأن غرفة "مارك" تطل على الناحية الغربية حيث الشمس والهواء الطلق ، فهي إذن

افضل الغرفتين .. ولما كان الدكتور "بلايفير" قد اقترح على "هيلين" أن تستمتع بأكبر قسط من الهواء الطلق واشعة الشمس فقد عملت الفتاة بالاقتراح ، وانتقلت إلى غرفة نوم "مارك" قبل عيد القديس "ميشيل" باسبوع .. أعني يوم الجمعة الموافق ٢٢ سبتمبر .

وأخرج مستر "سكين" مفكرته من جيبه .. وراح يقلب صفحاتها .. وهو يقول :

- وسارت الأمور سيرا طبيعيا بعض الوقت . إلى أن وقع الحادث الأول الذي أحال حياتها جحيما مستعرا .. وكان ذلك في يوم الأربعاء ٤ اكتوبر أي منذ أسبوعين .. فقد افاقت الآنسة "كنريستون" من نومها بغتة على صوت غامض خيل إليها أنه صادر من أسفل فراشها .. وما كادت تضيء النور حتى رأت شبحا لم تميزه عند إحدى النوافذ كما سمعت صوتا ما لم تستطع وصفه .

- هل تترك الآنسة جميع نوافذها مفتوحة أثناء الليل ؟

فقطب "سكين" حاجبيه مفكرا ثم أجاب :

- لست مستطيعا الإجابة بدقة عن هذا السؤال ، ولكن الذي أستطيع قوله باطمئنان إنها تترك أغلب النوافذ مفتوحة .

- وهل كان ذلك بناء على نصيحة الدكتور "بلايفير" ؟

فتلاعبت على شفتي "سكين" ابتسامة خفيفة . وأجاب :

- ربما .. اظن ذلك .. سأنتقل الآن إلى ليلة ١١ أكتوبر .. أو بعبارة أدق بعد مضي أسبوع على الحادث الأول الذي ذكرته .. وسأحاول جهد طاقتي أن أذكر لكما الكلمات التي نطقت بها الآنسة "هيلين" ، إذ قالت :

"كنت مستغرقة في النوم .. وكان الوقت ما بين الثانية والثالثة صباحا .. ولست أعلم ما الذي أيقظني .. ولو أني أرجح أن عقلي تأثر بحالة فزع وخوف أوحى بهما العقل الباطن .. فتنبهت حواسي .. وأفقت .. وكانت أشعة القمر باهتة .. فشعرت بخوف شديد لشدة الظلام وما كدت أمد يدي نحو زر النور حتى أحسست بحيوان ما يندفع فوق وجهي .. فصرخت من الرعب" .

واخرج مستر "سكين" منديله ، وجفف العرق الذي انثال فوق جبهته. وقال :

- لقد أصابت الآنسة "هيلين" في وصف الفزع الذي استولى عليها فقد أيقظت صرختها كل من في القصر .. واندفع مستر "كنريستون" إلى غرفة ابنته وفتشها تفتيشا دقيقا ولكنه لم يعثر على شيء غير عادي .. ومن ثم انتقلت "هيلين" إلى غرفة خالتها وقضت بها الهزيع الأخير من الليل .. على أن المهم في ذلك أن الفتاة فقدت سيطرتها على أعصابها منذ ذلك الحين .. وتسلط عليها الوهم .. والخوف .. ولا أحسبك تلومها على ذلك .. فإنها فتاة عادية نشأت مدللة لا تحتمل الصدمات .. ولست أكتمك أنها تكاد تموت رعبا وخوفا كلما اقترب يوم الأربعاء القادم .. وإني لأضرع إلى الله أن يوفقك إلى كشف الغموض الذي يكتنف هذه الحوادث المفزعة حتى لا تفقد "هيلين" عقلها.

وكف مستر "جوليان سكين" عن الكلام . فسأله "لوبين" :

- لقد وقع الحادث الأول في ٤ أكتوبر والثاني في ١١ أكتوبر ، وها نحن على وشك الوصول إلى يوم الأربعاء الثالث ، فلماذا لم تأت إليّ قبل ذلك يا سيدي ؟

- إنك لم تخطر ببالي إلا عندما كنت أطالع الصحف .. ورأيت اسمك في إحداها ، وعرفت انك كنت تتولى تحقيق حادث الجمعية السرية .. ومن ثم عولت على المجيء إليك ، وكلي أمل في أن توفق إلى وضع حد لمتاعبنا .

- ومن الذي يعرف بزيارتك هذه يا مستر "سكين" ؟

- لا أحد .. فقد حرصت على إبقائها في طي الكتمان .

- الم تقل للآنسة "هيلين" شيئا عن عزمك على زيارتي ؟

- كلا ..قت لك إنني لم أحدث إنسانا بذلك .

فتهللت أسارير وجه "لوبين" .. وقال :

- لقد أحسنت صنعا يا مستر "سكين" .. وإذا جاز لي أن أصدر حكما مبدئيا على الموقف .. بعد أن سمعت قصتك ، فإنني أعتقد ان خطراً ما حقا يتهدد حياة خطيبتك .

فعلت وجه الزائر علامات الفزع الشديد .. واعتدل في جلسته..وصاح :

- هل ضاع الأمل في إنقاذها يا سيدي ؟

فهز "لوبين" رأسه سلبا .. وأجاب :

- من العسير أن أجيب عن هذا السؤال يا مستر "سكين" .. فإن معلوماتي لا تزال محدودة .. وأنا لا أزال حتى الآن أتحسس طريقي في الظلام .. وعلى كل حال لا أظن أن فرصة إنقاذ "هيلين" من الخطر قد أفلتت منا .

- ما دام هذا هو اعتقادك .. فسأحدثك بشيء آخر .. شيء كنت سأحبسه عنك إذا كنت قد أبديت ريبة في تصديق قصتي .. لأن ما سأذكره سيبدو شاذا غير قابل للتصديق .. ففي أثناء ليلة السبت الأول من شهر يوليو ، أي الليلة التي سبقت اختفاء "مارك" سمعت ضوضاء غريبة صادرة من خارج "المنجتون هاوس" .. وقد سمعها كثيرون منا وعلقوا عليها كل بحسب وجهة نظرد .. وقد سمعنا هذه الضوضاء أثناء عطلة الأسبوع الماضي يا مستر "ديل" .. سمعناها جميعا .. وقد تكررت ليلتي السبت والأحد الماضيين .. وكان لهذه الضوضاء القدح المعلى في تحطيم أعصاب "هيلين" تحطيما يكاد يكون تاما .. ومع أنه قد يبدو من الغباء أن أقول إن هذه الضوضاء المزعجة قد بدأت تحدث أثرها في أعصابي ، إلا أن تلك هي الحقيقة .

وانتفض "سكين" .. فحدق "لوبين" في وجهه باهتمام وسأله بلهفة :

- وما هي هذه الضوضاء الغريبة يا مستر "سكين" ؟

فتلفت الزائر حوله في جزع . ثم أجاب بصوت خافت :

- كانت هذه الضوضاء صوتا صادراً من بوق جهنمي يا مستر "ديل" ! .

-*-

شمل الغرفة سكون رهيب ، لم يكن يسمع خلاله غير دقات الساعة الموضوعة فوق المدفأة .. وبعد قليل قطع "لوبين" حبل الصمت بقوله :

- سمعتك تقول إن زواجك من الآنسة "كنريستون" سيكون بعد أسبوعين . أعني في اليوم أوائل شهر نوفمبر .. أليس كذلك ؟.

فأومأ "سكين" برأسه .. وأجاب :

- بلى . لكن لماذا هذا السؤال ؟

- كنت افكر في مدى المدة الباقية ، وما ينبغي علينا أن نتخذه من أسباب الحيطة .. فقد اختفى "مارك كنريستون" قبل زواجه بوقت قليل.. فعلينا إذن أن نضع تاريخ زفاف أخته نصب أعيننا..

وتحول "لوبين" إلى المفتش "ماك موران" .. وسأله :

- هل أخذت إدارة (سكتلنديارد) علما بتطورات قضية "كنريستون" ..

فهز "ماك موران" رأسه سلبا ، وأجاب :

- كلا .. فقد حرص رجال البوليس المحلي على إبقاء القضية حادثا محليا .

فنظر "لوبين" إلى "سكين" . وقال :

- هل هذا صحيح يا مستر "سكين" ؟ وهل لا يزال رجال البوليس المحلي مستمرين في بحث القضية ؟ .

فتململ الزائر في مقعده ، وأجاب :

- هذا أمر أجهله تماما يا سيدي .

- إذن حدثني بإيضاح أكثر عن صوت البوق الذي سمعتموه .. لأن هذا الصوت يحيرني كل الحيرة ..

- لقد سمعنا الصوت في أوقات متباينة .. وإذا شئت تحديدا فإنه حدث بين الساعتين الأولى والثانية صباحا .. على أنني أذكر أنه انبعث حوالي الفجر مرة واحدة .. وكان ذلك في شهر يوليو فيما أظن.

- وهل تستطيع وصف هذا الصوت ؟

فهز "سكين" كتفه وأجاب :

- إنه أقرب إلى صوت بوق الصيد منه إلى الصوت الصادر من نفير سيارة .

- آه . وهل هناك مكان للصيد على مقربة من "المنجتون هاوس"؟

- توجد غابة للصيد اقرب إلى قرية "بلسيز" منها إلى "هويتون".

- وهل تسمعون الصوت على هيئة (نفخات) متعاقبة . ؟

- نعم ، نعم ، وفي الغالب يكون خمس أوست (نفخات) .. وأما قوة الصوت ، فعلى أشدها .

فتأمل "لوبين" محدثه ، ثم قال :

- ألم تخطر ببالك تلك الحقيقة العجيبة التي سأذكرها لك الآن يا

مستر "سكين" . ؟ إنها على جانب عظيم من الأهمية .. وتلك أنني استخلصت من قصتك انه لا مجال لأن نفرض أن بين حادث إزعاج الآنسة "كنريستون" من نومها وبين صوت البوق صلة ما ، لأن الحادثين لا يقعان معا .

فأجاب المستر "سكين" :

- هذا صحيح .. فإن البوق لم يسمع صوته في الليالي التي أفاقت خلالها "هيلين" من نومها مذعورة .

- وهل أطلعتم البوليس المحلي على ذلك ؟

- كلا .. ولا عجب في ذلك .. فإن أحداً لم يتبادر إلى ذهنه في بادئ الأمر أن بين صوت البوق وبين اختفاء "مارك" أية صلة .. ولكن تكرار هذه الحوادث بدأ يثير الريبة في نفوسنا .

- هذا صحيح أيضا .. هل تذكر أنكم سمعتم أي جواب على صوت البوق ؟ أعني هل سمعتم صوتا آخر ردا على هذا الصوت؟

- كلا .. لم نسمع شيئا مطلقا .. فقد كان الصمت التام يعقب صوت البوق .

- وهل سمع أحد من سكان :هويتون" هذا الصوت ؟

- لا أعلم .. ولو أن ذلك محتمل .

- هذه مسالة سابحثها بنفسي لأهميتها .

وساد الصمت مرة أخرى . ولم يلبث "سكين" أن نهض واقفا ، وتهيأ للانصراف فقال "لوبين" :

- لقد قبلت تحقيق هذه القضية يا مستر "سكين" . وسأسافر معك إلى "هويتون" .

فتهللت أسارير وجه الزائر ، وقال :

- إني عاجز عن شكرك يا مستر "ديل" . فلنتقابل إذن في كنجس كروس في الساعة التاسعة صباحا .

الفصل الثالث

تقابل "لوبين" و "سكين" في الموعد المحدد . وركبا القطار إلى "هويتون" . فلما استقر بهما المقام في إحدى قمرات الدرجة الأولى . قال "سكين" :

- إن الجميع يعلمون أنني جئت إلى لندن لتصفية بعض مسائلي المالية .

فسأله "لوبين" :

- أحسنت صنعا ، وإني أرى ألا أذهب إلى "المنجتون هاوس" في الوقت الحاضر فهل توجد فنادق قريبة من قرية "هويتون" ؟.

- نعم . يوجد خان يدعى (رايفلمان) على بعد حوالي الميل والنصف عن قصر المنجتون ، ويشرف على طريق "بلساي" . وصاحب هذا الخان يدعى "فير برازر" . وهو رجل رضي الخلق ورث الخان عن آبائه وأجداده ، ومن أهم مزاياه أنه يتنازل عن نصف البنس بدلا من إضافة النصف الآخر لحسابه .

- هذا بديع .. لقد انتهينا إذن من هذه المسألة المهمة ، ولكني أريد أن ألقي عليك سؤالا مهما للغاية يا مستر "سكين" .. هل أنت واثق من أن أحداً لم يتعقبك عندما جئت لزيارتي بعد ظهر أمس ؟ أرجوك أن تفكر جيدا قبل الإجابة .

فقطب "سكين" حاجبيه شأن الإنسان الذي يحاول الاهتداء إلى أمر غاب عنه ولم يلبث أن صاح :

- يا إلهي ! لماذا لم يخطر ذلك على بالي من قبل ، حقا لقد كنت أحمق ! نعم ، إني أذكر أنني ما كدت أصل إلى منزلك حتى وقفت سيارة تاكسي بمحاذاتي ، ولكني لم أر راكبها ، لأنني لم أحاول التطلع داخلها .. ولكني أحسست بالباب يفتح ويلطمني في ذراعي. فرددت ذلك إلى إهمال الراكب ولكني لم أعر الأمر كبير اهتمام وانصرفت لشأني دون أن أحاول النظر إلى السيارة أو راكبها ..

فعض "لوبين" على ناجذيه ، وقال :

- هذا أمر يؤسف له بغير شك .

* * *

وفي الساعة السابعة والدقيقة العاشرة صباحا وقف القطار في محطة "هويتون" ؛ فغادره الرجلان ووقفا يتحدثان قليلا فوق الإفريز ..

فقال "سكين" :

- عليك أن تنطلق في الطريق الذي إلى يمين المحطة .. فتصل في النهاية إلى خان "ريفلمان" .. أما أنا فذاهب بالتأكيد إلى "المنجتون هاوس" .. فهل ستكتب إلي إذا أردت الاتصال بي ؟

ففكر "لوبين" قليلا ، ثم أجاب :

- أرى إرجاء الإجابة عن هذا السؤال حتى اقتله بحثا .. فإنني أستصوب ألا يعرف أحد بوجودي هنا في الوقت الحاضر .. كيما أستعين بعنصر المفاجأة في الحصول على أدق المعلومات .. وعلى العموم . سأعمل على الاتصال بك إذا دعت الضرورة لذلك وافترق الرجلان .. فسار كل منهما في سبيله .

وبلغ "لوبين" خان "رايفلمان" بعد مسيرة ساعة .. ووقف يتأمل البناء العتيق .. ثم طرق الباب .. وبعد دقيقة فتح الباب .. وبرز من خلفه رجل طويل القامة .. عريض المنكبين تأمل الطارق متسائلا..

فقال "لوبين" :

- طاب صباحك .. إني أبغي الإقامة لديك بضعة أيام .. فهل هناك ما يحول دون ذلك ؟

فافسح الرجل الطريق للطارق .. وقال :

- على الرحب والسعة .. تفضل بالدخول يا سيدي ..

وتبع "لوبين" صاحب الخان إلى غرفة صغيرة وقال :

- أرجو أن تنتظر هنا حتى أطلب إلى زوجتي أن تعد لك طعام الفطور .

واقبلت فتاة بدينة .. فاحمة الشعر .. ووضعت غطاء فوق المائدة.. وبينما كانت تغادر الغرفة تناهت إلى إذني "لوبين" بعض جمل من حديث كان يدور خارج الغرفة .. وسمع بعض هذه الجمل .. "لا مجال للاختيار امامي .. وأنت تعلمين ذلك جيدا .. فلم هذا العناد ؟ إن سلوكك والطريق الذي تدفعينني إلى سلوكه سيبعث الجميع على الارتياب في أمرنا .. لقد أعيد في المرة السابقة فلعله يعاد ثانية .. وما

أحسب إلا أن الصراحة أدعى إلى الاطمئنان والراحة ..

وتوقفت الفتاة عن مغادرة الغرفة .. وأصاخت السمع بدورها .. ثم انصرفت وعادت بعد قليل وهي تحمل طعام الفطور .

وكانت المناقشة لا تزال حادة بين المتحادثين .. ولم يلبث "لوبين" أن سمع امرأة تجيب على قول محدثها بلهجة حادة .. فأيقن أن الحديث دائر بين صاحب الخان وزوجته .. وأرهف أذنيه ، فما عتم أن سمع عبارة جعلته يستوي في مجلسه .

سمع المرأة تقول : "ومع ذلك فطالما برهنت الحوادث على أنني أصوب حكما منك برغم مهارتك وذكائك .. من منا كان أصوب رأيا في شأن البوق ؟ أنت أم أنا ؟ "

وأجاب الرجل : "كفي عن الكلام .. ألا تستطيعين ..!"

وتلاشى الصوتان . وعبثا حاول "لوبين" أن يسمع أكثر من ذلك.. فلما يئس شرع يتناول طعامه .

الفصل الرابع

انتصف النهار .. فغادر "لوبين" غرفته .. ومضى إلى المشرب الملحق بالخان .. فوجده خاليا إلا من ابنة مستر "فير برازر" .

واتخذ "لوبين" مجلسه أمام المشرب .. وطلب إلى الفتاة أن تاتيه بقدح من الشراب .. ثم تلفت حوله .. وما لبث أن رأى صورة معلقة فوق الجدار .. فلما تأملها ، تملكه الاهتمام الشديد .. خاصة وقد قرأ العبارة التالية مكتوبة في أسفلها :

"آخر اجتماع لصيادي "توربث" في ١٤ مارس ١٩١٤ .. كان الصيد تحت رئاسة الليفتننت كولونيل "فرني برنشلي" ، وأما الصياد فكان "صموئيل فير برازر" .

ورأى "لوبين" أن يستغل فرصة انفراده بالفتاة ليستدرجها في الحديث لعله يظفر منها ببعض المعلومات النافعة .. فقال وهو يشير إلى الصورة :

- هل قرية "توربث" على مقربة من هنا ؟

- إنها ليست بعيدة من هنا يا سيدي .. ومع ذلك فهي أقرب إلى "بلساي" منها إلى "هويتون" ولو أنها واقعة بينهما .. اما هذه الصورة فتمثل آخر جماعة التام شملها للصيد .

- وهل كان أبوك صيادا ؟

- نعم يا سيدي .. أما الليفتننت كولونيل "برنشلي" فقد قتل في معركة "الفلاندرز" عام ١٩١٦ وبموته انعدم اهتمام الآخرين بالصيد .. لإن ابنه مستر "هوجو برنشلي" يهتم بسباق الجياد فقط .

وسمع "لوبين" وقع أقدام صاحب الخان وهو يلج الغرفة .. فتساءل هل سمع شيئا من حديثهما ؟ وعول على الهجوم .. فقال للرجل :

- لقد كنت أبدي إعجابي بصورتك التاريخية .

فقال "فير برازر" بلهجة جافة :

- لقد انتهت كل صلة بيني وبين هذا الماضي البعيد .. لأن وقتي لا يتسع الآن لغير عملي الشاق .

- أظن أنك كنت تتمتع بقسط وافر من الشهرة إبان تلك الأيام التي

أصبحت بين يدي التاريخ ولا شك عندي في أنك تحن لهذه الأيام حنين الحبيب إلى معشوقته .

وقبل أن يجد الرجل متسعا من الوقت للإجابة ، قالت ابنته :

- يالها من مصادفة غريبة يا سيدي أن تتحدث إلى أبي في هذا الشأن اليوم .

وأسرع صاحب الخان يضع يده فوق ذراع ابنته .. وصاح محذرا :

- أمسكي لسانك .. وانصرفي لعملك .. هيا نظفي جميع الأكواب فما أظن السيد يرغب في تصديع رأسه بسماع ثرثرتك الجوفاء .

فتطلعت الفتاة إلى أبيها بغيظ .. ولكنها أطاعت أمره كارهة .. وأما "لوبين" فلم يعبأ بثورة "فير برازر" .. وقال باسما :

- هون عليك يا "فير برازر" .. إني خلي من كل عمل الآن .. وأصدقك أن حديث ابنتك كان قد بدأ يحوز اهتمامي .. فانت تعلم أنني كاتب ومؤلف .. أعني أنني أنتمي إلى طائفة من خصائصها الاهتمام بكل شيء ، والبحث في كل موضوع ، على العموم ، ماذا كانت ابنتك تعتزم أن تقول ؟

فتململ "صموئيل فير برازر" وأجاب في خشونة :

- لا شيء يستحق الاهتمام يا سيدي .. أظنك تعلم أن النساء ثرثارات يجعلن من الحبة قبة .

فالتفتت الفتاة إلى أبيها ، وأتت بإشارة من يدها تدل على التحدي ، ثم هتفت :

- لقد فقد أبي بوق صيده ، ولأمر ما يحرص على الا يتحدث أحد عنه ، ولقد تذكرت عناده عندما حدثتني عن الصيد ، والواقع ياسيدي أنني وأمي نعتقد أن إنسانا سرق البوق من الغرفة التي تناولت فيها طعامك هذا الصباح ، ولكن أبي يعارض هذا الرأي بشدة .

ولم يتمالك "فير برازر" أعصابه ، فصاح بانفعال شديد :

- هذا سخف ! إذ أي أحمق هذا الذي يسرق بوق صيد لا قيمة له؟! ولماذا يسرقه ؟ عودي لرشدك يا فتاة ، ولا تشتطي مع خيالك السقيم !

فقالت الفتاة في تحد :

- إذا لم يكن البوق قد سرق فأين هو إذن ؟ أنت تعلم أن ليس للبوق

قدمان ليسير ، ومع ذلك تصر على تجاهل هذه الحقيقة ، فلو سرق البوق قبل الآن لأقمت الدنيا وأقعدتها وهرعت إلى رجال البوليس تلتمس معونتهم في البحث عنه .

وتوقفت الفتاة بغتة عن متابعة حديثها ، عندما لاحظت علامات الغضب الشديد ترتسم على وجه أبيها ، ولاحظ "لوبين" ما أصاب الموقف من توتر بالغ فأدار الحديث إلى ناحية أخرى .. خاصة بعد أن ألم بهذه المعلومات الثمينة التي تستدعي كثيرا من التأمل والتمحيص.

وفي معرض الحديث سأل "لوبين" :

- هل يقيم أحد من أصحاب الأملاك في هذه البقاع ؟

- قليلون منهم يقيمون هنا .. ولكنهم يترفعون عن الاتصال بأمثالنا الفقراء !

فتظاهر "لوبين" بالتفكير . ثم قال :

- يا إلهي ألا يقيم العالم المعروف مستر "كنريستون" على مقربة من "هويتون" ؟

- نعم يا سيدي .. إن قصره يعرف باسم "المنجتون هاوس" .

وللمرة الثانية تظاهر "لوبين" بقدح ذاكرته .. وغمغم :

"المنجتون هاوس" ؟ "كنريستون" ؟ !

أين يا ترى ؟ ..

وتوقف عن الحديث متعمدا .. كأنما أخطأه التوفيق في تذكر المناسبة التي سمع فيها الاسم .. وكان "فير برازر" يراقبه بقلق .. وقال:

- أظن أنني أعرف ماذا غاب عنك .. لاريب أنك تحاول تذكر الحادث المؤلم الذي ألم بـ"مارك كنريستون" .

فانحسرت علامات التفكير عن وجه "لوبين" .. وقال :

- آه هذا ما كنت أحاول تذكره .. حقا لقد كان اختفاء الشاب حادثا غامضا !

فرماه "فير برازر" بنظرة تنم عن الاهتمام الشديد .. وأدرك "لوبين" أنه لو استأنف الحديث في هذا الموضوع .. فسيثير حتما ريبة "فير

برازر" .. ومن ثم أدار دفة الحديث إلى ناحية أخرى .

وأخذ الرجلان يعالجان مختلف الموضوعات .. وفي النهاية قال "فير برازر" :

- وعلى فكرة .. لقد أعد طعام الغداء يا سيدي .. فهل تتنازل بتناوله معنا في غرفة الجلوس ؟! إننا لن نزعجك بهذا الرجاء بعد الآن .. فستعد لك زوجتي غرفتك بعد الظهر ، وإذا شئت فسنذهب بالطعام إلى غرفتك الخاصة من مساء الليلة ! .

ولاحظ "لوبين" أن "فير برازر" يتكلم بلهجة تشف عن اللهفة والقلق .. فحاول أن يرد ذلك القلق إلى مصدره .. فلما فشل ، تبع صاحب الخان إلى غرفة الجلوس .

والتام عقد أربعتهم حول المائدة .. وبدءوا يتناولون طعامهم .. ولاحظ "لوبين" أن الأطباق الموضوعة فوق المائدة خمسة بينما عدد الجالسين أربعة أشخاص .. فادرك أن شخصا خامساً كان منتظرا أن ينضم إلى الجماعة ، ولكنه لم يفعل لسبب ما ..

ورأى "لوبين" أن يلتزم الحذر .. فتظاهر بانه لم ير الطبق .. وحول وجهه ناحية أخرى . وشد ما كانت دهشته حين رأى "فير برازر" ينهض خلسة ويحمل الطبق الإضافي . وينصرف به من الغرفة ثم يعود بعد قليل .. ويأخذ مجلسه إلى المائدة كانما لم يحدث شيء .

وانتهى الطعام أخيرا .. ونهض "لوبين" أولا .. ثم استاذن وغادر الغرفة .. وأسرع خطاه في الممر .. حتى بلغ الغرفة التي تناول طعام فطوره فيها ، فلما أدار مقبض بابها .. ألفى الباب مغلقا بالمفتاح ..

وهز "لوبين" رأسه .. ثم غادر الخان .. وأشعل غليونه . وانطلق إلى قرية "هويتون" .

وفي الطريق راح يفكر في عناصر القضية .. وينسق معلوماته عنها .. ولكنه ما لبث أن كف عن التفكير عندما تناهى إلى مسامعه وقع أقدام آتية من خلفه .. وسرعان ما شعر بدهشة شديدة حين سمع صوتا نسائيا رقيقا تقول صاحبته :

- أظن أنني أحوز الآن شرف التحدث إلى مستر "مارتن ديل" .. أليس كذلك ؟

وانتفض "لوبين" حين سمع السيدة تنطق اسمه ، إذ كان يعتقد أنه لا أحد غير "سكين" يعرف حقيقته في هذه المنطقة .. ولكنه أدرك ألا فائدة من الإنكار أو المراوغة .. فتوقف عن سيره . وتحول إلى محدثته. ورفع قبعته محييا . ثم أجاب :

- بلى .. أنا "مارتن ديل" .. ولكن يؤسفني أن أقول لك إنني لا أذكر أين ...

فابتسمت السيدة .. وأجابت :

- لا تؤنب نفسك يا سيدي ، فإننا لم نتقابل من قبل .

وكانت محدثته شقراء ، في الأربعين من عمرها .. متناسبة التقاطيع والقوام .

واستطردت قائلة :

- أرجو المعذرة لما بدا من خشونتي .. دعني أقدم لك نفسي أولا .. إن اسمي "صوفي سانت آلاري" ..

وكاد "لوبين" يصيح من فرط دهشته ، ولكنه استطاع أن يحتفظ بهدوئه في الوقت المناسب وانحنى لمحدثته مرة أخرى . ثم قال :

- من دواعي سروري أن أتعرف إليك يا آنسة "سانت آلاري" ، ولو أني لا أرى ... فقاطعته مسرعة :

- بالتأكيد أنت تجهل السبب الذي حفزني إلى التحدث إليك ؟ .

وتلفتت حولها .. ثم أردفت :

- هل تتكرم فتذهب بي إلى أحد حوانيت الحلوى ، حيث نستطيع التحدث دون خشية الرقباء ..

- إن هذا شرف لا يعدله شرف يا آنسة .

ومضى الاثنان إلى أقرب حانوت حلوى .. وأخذا مجلسيهما حول إحدى المناضد . وأمر "لوبين" الخادم أن يأتيهما بقدحين من الشاي .. ثم قال :

- إني طوع إشارتك يا آنسة "سانت آلاري" .. ولكني أرجو أن تغفري لي السؤال الذي سألقيه عليك .. كيف عرفت أنني "مارتن ديل" ؟

فابتسمت وأجابت بتردد :

- لقد رأيت صورتك في الصحف .. وظللت أمني نفسي بمقابلتك في

أحد الأيام ، فلما أتيحت لي هذه الفرصة ، حرصت على ألا تفلت من يدي .. خاصة وأنت الرجل الذي يستطيع أن يخلصني من معضلة شديدة أواجهها .

- مري يا سيدتي ، تجديني رهن أمرك .

- إن حديثي إليك يتصل باختفاء "مارك كنريستون" .. وأظنك طالعت قصته في الصحف .

- نعم .. لقد طالعت بعض ما كتب عنها في صحف لندن .

فمالت إلى الأمام في مقعدها . وسألت بلهفة :

- ألم تكون أية نظرية عن كيفية موت الشاب المسكين ؟

فرفع "لوبين" حاجبيه وأجاب :

- منذ لحظة سمعتك تستعملين كلمة "اختفاء" ولكنك استعضت عنها الآن بلفظة "موت" فلماذا هذا التغيير ؟

فهزت المرأة كتفيها وأجابت :

- صدقني إن ذلك لم يكن بدافع من الإهمال ، أو عدم تقدير الألفاظ .. لأنني أعتقد اعتقادا جازما أن ابن أختي قد لاقى حتفه .. أفلم تصل بعد إلى أية فكرة في هذا الشأن ؟ .

فقال "لوبين" وهو يعبث بمدية كانت أمامه :

- وكيف أستطيع الوصول إلى نظرية أو شبه نظرية ولم ينقض على وصولي إلى ضواحي "هويتون" أكثر من ثماني ساعات ؟

ولكن المرأة لم تشأ قبول قوله على عواهنه . فقالت مهاجمة :

- مادمت قد طالعت بعض تفاصيل القضية من قبل ، فمن المحتمل جدا أن تكون قد أوليتها شيئا من تفكيرك واهتمامك . لغرابة ظروفها وملابساتها . لكن مادمت تقرر أنك لم تصل بعد إلى أي قرار فإنني ..

فقاطعها "لوبين" بملل :

- أليس من الحكمة أن نطرح هذا اللف والدوران جانبا ، فتحدثيني بما تريدين ، وتخبريني مثلا لماذا أنت واثقة من أن "مارك كنريستون" قد لاقى حتفه ؟ .

فبدا الضجر على المرأة بدورها . وأجابت بصرامة :

- مادمت تصر على الحصول على جواب عن هذا السؤال . فإليك

السبب .

ومدت يدها نحو حقيبتها ، وفتحتها ، وشرعت تقلب محتوياتها ، ولم تلبث أن أخرجت علبة صغيرة تشبه علبة الجواهر. وقدمتها إلى "لوبين" ، وهي تقول بلهجة تشف عن الأسى العميق :

- الق نظرة على محتويات هذه العلبة يا مستر "ديل" . لا . بل أفرغ هذه المحتويات فوق المنضدة لتستطيع رؤيتها جيدا ! .

فاطاع "لوبين" ، وفتح العلبة . وأمالها فوق المنضدة ، فسقطت منها ساعة معصم .. ومقص أظفار . ومدية .. وعدد كبير من الأزرار من مختلف الأحجام .

وعد "لوبين" الأزرار ، ثم قال بهدوء :

- إن عددها واحد وثلاثون يا أنسة . اليس كذلك ؟

فاومأت برأسها وأجابت :

- بلى ، إنها لكذلك .

فقال "لوبين" :

- أظن أنك ستقولين إنها كانت ملكا لـ"مارك كنريستون" في أحد الأيام؟

فاجابت في حزن :

- ليست الأزرار فقط ملكا لـ"مارك" ، ولكن هذه الأشياء جميعها كانت ملكه . وأما الأزرار فانتزعت من البذلة التي كان يرتديها يوم اختفائه !

وخنقتها العبرات ، فكفت عن الكلام .

الفصل الخامس

ومضت فترة صمت مؤلم . وأخيرا قطعتها المرأة بقولها :

- هل تؤمن الآن بأن "مارك" قضى نحبه ؟

فأجاب "لوبين" في بساطة :

- هذا من المؤكد هو الاتجاه الذي توحي به هذه الأشياء .. من أين حصلت عليها ؟

وارتسمت علامات القلق والحيرة على وجه المرأة ، ولكنها لم تلبث أن قالت :

- لقد حصلت عليها من الآنسة "إيموجن هاليول" خطيبة "مارك".. أما كيف حصلت هي عليها فسؤال من السهل الإجابة عنه .. لقد تلقت "إيموجن" طردا صغيرا بالبريد .. فلما فتحته وجدت هذه الأشياء بداخله .

وبهت "لوبين" لهذا التصريح .. وغمغم قائلا :

- يا للعجب ! وهل كان مع الطرد شيء أخر ؟ ثم هل تعرفين اسم مرسله ؟

- نعم يا سيدي كانت مع الطرد ورقة هي معي الآن .. أما المرسل فمجهول .

وأخرجت "صوفي سانت آلاري" قطعة من الورق الرقيق .. وقدمتها لـ"لوبين" .. فرأى فوقها ثلاثة تواريخ وعبارتين .. أما التواريخ فكانت أول مايو .. وأول يوليو .. وأول نوفمبر .. وأما العبارتان فكانتا : "أين "مارك كنريستون" ؟ ابحثي عن الفوطة المقلوبة !!"

وحدق "لوبين" النظر إلى وجه محدثته . وسألها :

- ما رأيك في هاتين العبارتين ؟ إنهما يستدعيان اهتماما شديدا بغير شك .

فهزت رأسها سلبا وأجابت :

- أصدقك القول إنني لم أفهم لهما أي معنى .. فما رأيك أنت ؟

فتجاهل "لوبين" سؤا ل الفتاة وقال :

- أخبريني يا آنسة بكل ما تعرفينه عن الطرد الذي تلقته الآنسة

"إيموجن" .

فقطبت "صوفي" حاجبيها محاولة تركيز تفكيرها في الإجابة عن هذا السؤال .. ثم قالت :

- كانت هذه الأشياء ملفوفة في ورق سميك رمادي اللون .. ومربوطة بخيط سميك أيضا .. بينما غطيت إحدى العقد بطبقة من الشمع الأحمر .. وأما اسم "إيموجن" وعنوانها فكانا مطبوعين على الآلة الكاتبة فوق قطعة من الورق الأبيض ألصقت فوق الطرد بالصمغ .

فسأل "لوبين" :

- وماذا كان خاتم البريد ؟

- كان الطرد يحمل خاتم بريد "هويتون" .

- ومتى تلقت الآنسة "إيموجن" هذا الطرد ؟

- أمس .. وقد أحضرت هذه الأشياء إليّ صباح اليوم .

فقطب "لوبين" حاجبيه وقال :

- الحق أني لا أستطيع أن افهم لماذا جاءتك الآنسة "إيموجن" بهذه الأشياء ؟

فتخضبت وجنتا المرأة بحمرة الخجل .. وقالت "

- ليس هناك من سبب غير المودة القوية التي تربط بين قلبينا .. وفوق ذلك فإنني خالة "مارك" الوحيدة .. ولما كانت أختي قد ماتت منذ أعوام بعيدة . فإنني اقوم الآن مقامها من أولادها .

- هذا بالتاكيد تفسير مقبول .. فأرجو أن تغفري لي سؤالي غير اللائق .. ولكني لا اكتمك أنني محير فيما يتعلق بهذا الطرد .. إذ لماذا بقي المرسل ملازما الصمت التام هذه المدة الطويلة ؟ لقد اختفى "مارك" في اليوم الثاني من شهر يوليو فيما أذكر .. واليوم هو التاسع عشر من شهر اكتوبر .. ولما كان الطرد قد وصل إلى الآنسة "إيموجن" أمس فمعنى ذلك أنه مضى خمسة عشر أسبوعا ونصف على الحادثين .. فلماذا اختار المرسل المجهول هذا الموعد لإرسال طرده ؟ لو استطعنا أن نصل إلى جواب شاف عن هذا السؤال ، لوفقنا إلى حل المعضلة كلها .. وبهذه المناسبة ، هل حدثت الآنسة "إيموجن" أحداً غيرك عن هذا الطرد؟

- كلا .. إنها لزمت الكتمان التام ، وجاءتني به على أثر استلامه، فطلبت إليها ألا تحدث أحداً عنه .

- هذا حسن .. والآن أخبريني يا أنسة .. إنك بالتاكيد لم تكوني تسعين إلى مقابلتي عندما التقينا . فلمن كنت ذاهبة بمحتويات الطرد؟

كان سؤال "لوبين" جريئا مباشرا . ولكن المرأة ظلت محتفظة بهدوئها وأجابت :

- كنت ذاهبة به إلى صديق حميم ، لأساله العون والنصح .. واعني به الدكتور "بلايفير" طبيب العائلة منذ سنوات بعيدة .

- معذرة للسؤال التالي ، وهو لماذا لم تستشيري زوج أختك المستر "كنريستون" نفسه وهو أقرب الناس إليك ، وأشدهم التصاقا بالحادث؟

فهزت رأسها سلبا . وأجابت :

- إنك لا تعرف زوج أختي ، هو رجل لا يحب التدخل في شؤون الآخرين ، لأنه منصرف بكليته إلى عمله ، وفوق ذلك إن صحته أخذة في التدهور السريع منذ اختفاء ابنه ، فلو ذهبت إليه بهذه الأشياء لزادت شجونه وساءت حاله ، ومن ثم كان من المؤكد أن ألتمس العون والنصح من صديق يمكن الاعتماد عليه .. وهداني تفكيري إلى الدكتور "بلايفير" .

- وهل تعتقدين انني أستطيع لعب الدور الذي كان مقررا أن يلعبه الطبيب ، أعني أنني كفء لبذل النصيحة التي تنشدينها ؟

- بكل تاكيد ، ولذا فساعدل عن مشاورة الدكتور "بلايفير" ، .مادمت تعدني بأن تصنع ما في وسعك لكشف النقاب عن الحادث الغامض المعقد ، فهل أنت على استعداد لأن تقطع هذا العهد على نفسك ؟

- نعم يا سيدتي ، فقط أرجو أن تتركي لي هذه الأشياء وتحتفظي بسرية اجتماعنا ، ولا تذكري لأحد أنني موجود في هذه المنطقة .

فتهللت أسارير المرأة وأجابت من فورها :

- لك ما تشاء يا مستر "ديل" .

وافترقا على ذلك وفي طريقه إلى الخان راح "لوبين" يفكر في الطرد ومحتوياته . وأخذ يسائل نفسه : أين "مارك كنريستون" ؟ وما معنى

الفوطة المقلوبة ؟!! ثم لماذا ذكر المرسل التواريخ الثلاثة ؟!! وماذا يرمي من وراء ذلك ؟

الفصل السادس

ما كاد "لوبين" يعود إلى الخان حتى ذهب إلى غرفته مباشرة ، وكتب رسالة خاصة لـ"جوليان سكين" يحدد له فيها مساء يوم السبت موعدا للقاء الأول بينهما . ثم كتب رسالة أخرى مطولة للمفتش "ماك موران" يطلب إليه فيها أن يبعث بأخذ رجاله الأكفاء إلى "سومرست هاوس" للحصول على نص وصية السيدة "دنيس كنريستون" ، وإرسالها إليه (أي إلى لوبين) في أقرب فرصة مستطاعة ، وفي نهاية الرسالة . قال "لوبين" : "إليك نبأ قد يسرك أنت والسير "كمبل" ، سمعت اليوم أن الجواد "بال فير" سيشترك في سباق "كمبردج شير" يوم الأربعاء القادم وقيل إن هذا الجواد درب محليا وإنه من أكفأ الجياد التي عرفت حتى الآن" .

وإذ فرغ "لوبين" من كتابة الرسالة الثانية ، مال إلى الخلف في مقعده وأغلق عينيه ، وراح يفكر في القضية منذ بدايتها حتى النقطة التي انتهى إليها ، وخلص من تفكيره إلى أن المحور الذي تدور حوله المؤامرة هو زواج "مارك" و "هيلين كنريستون" ، وبدأ يتساءل ما الذي يربحه المتآمر من إقصاء الفتى والفتاة أو القضاء عليهما ؟ ولما كان السؤال عسير الإجابة ، فقد حول "لوبين" مجرى أفكاره إلى الأشياء التي تلقتها الآنسة "هاليول" من مجهول ، ورأى - بعد إنعام نظر - أن يزور الآنسة في منزلها لعله يستطيع أن يظفر منها ببعض المعلومات النافعة ، فغادر الخان ، وانطلق إلى صندوق الخطابات ، وكان الليل حالك الظلام لا يكاد المرء يميز فيه موضع قدميه ، فمشى على مهل حتى بلغ الصندوق ، فألقى برسالته إلى "ماك موران" في جوفه ، ولكنه لم يلبث أن جمد في مكانه لا يبدي حراكا .

سمع صوت بوق صيد صادراً من جهة نائية .

وانتفض "لوبين" ، وغمغم : شد ما أعجب ، هل يعنيني نافخ البوق بهذا النذير ؟! أم لعله يتحداني ؟!

-*-

وذهب "لوبين" لزيارة الآنسة إيموجن هاليول" ، واستقبلته الفتاة

بغير إبطاء ، وكانت طويلة القامة على جانب كبير من الملاحة وتناسق التقاطيع .

وافتتح "لوبين" الحديث بقوله :

- عندما عزمت على زيارتك يا أنسة كنت قد قررت أن التزم الصراحة التامة في حديثي معك ، فهل أنت على استعداد لأن تبادليني ثقة بثقة؟ إن حديثي معك سيدور كله حول اختفاء "مارك كنريستون" .

فكست علامات الألم الدفين وجه الفتاة ، وقالت في صوت يغص بالعبرات :

- هل أنت من رجال البوليس ؟

فابتسم "لوبين" وأجاب :

- كلا ولو أنني أتعاون مع رجال البوليس في بعض الأحيان ، ألا أنني لست واحدا منهم ، وعندما جئت إلى هذه المنطقة كنت أعتزم إخفاء شخصيتي الحقيقية ولكني لم ألبث أن تبينت أن شخصين على الأقل يعرفان حقيقتي ومن ثم لم أجد ما يدعو إلى إخفاء شخصيتي عنك . ولعله من واجبي أن أقول لك إنني تشرفت أمس بزيارة الآنسة "صوفي سانت آلاري" .

فتجسد الفزع في نظرة الفتاة .. وسألت :

- أتعني أن "صوفي سانت آلاري" قد عهدت إليك بتحقيق القضية ، وبعثت بك لمقابلتي ؟

- نعم ، ولكن إلى حد ما ، إنني لست في حل لأن أذكر جميع التفاصيل ، ولكني عالم بأمر الطرد الذي تلقيته بالبريد وأعطيته للآنسة "صوفي" .. وقد سمعت منها أنها كانت في طريقها لاستشارة الدكتور "بلايفير" في هذا الصدد .. ولكنها - لأمر في نفسها - رأت أن تلقي بهذا العبء فوق كتفي ، فهل تكفي هذه المعلومات لإيضاح موقفي؟ .

فترددت الفتاة قليلا ، ثم أجابت :

- أظن ذلك ، والآن ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟

فابتسم "لوبين" ثانية ، وقال :

- لا شيء أكثر من أن تجيبي على بضعة أسئلة سألقيها عليك

خاصة بعد أن وقعت تطورات جديدة في القضية تحتم علينا الإسراع بالعمل .

فصاحت الفتاة مأخوذة :

- تطورات جديدة ؟ أؤكد لك أنني لا أفهم .

- لحظة واحدة يا آنسة .. إنني أرمي إلى الخطر الذي بات يتهدد حياة "هيلين كنريستون" .

- يا إلهي ! إنك ترعبني يا مستر "ديل" ، ولكني أعود فأؤكد لك أنني لا أفهم شيئا مما تقول .

- أرى ألا نخوض في ذكر التفاصيل في الوقت الحاضر .. لأن ذلك سيضيع منا وقتا طويلا بلا مبرر ، ويكفي أن أقول لك إن المعلومات التي بلغتني تحملني على الاعتقاد بأن حياة "هيلين كنريستون" في خطر ، وأن هذا الخطر قد يدهمها في أية لحظة ، فهل أنت ، بعد هذا التصريح على استعداد للإجابة عن أسئلتي ؟.

فأومأت الفتاة برأسها . وأجابت :

- نعم .. سأبذل كل ما في وسعي لمعاونتك .

- أشكرك يا سيدتي ، لنعد الآن إلى الماضي ، أعني إلى يوم الأحد ٢ يوليو ، أرجو أن تخبريني متى رأيت "مارك" لآخر مرة ؟.

فأجابت "إيموجن" من فورها :

- كان ذلك عقب فراغنا من تناول طعام الغداء وكان آخر ما قاله لي إنه سيصعد إلى غرفته ليستبدل ببذلته أخرى رمادية اللون نظرا لاشتداد الحرارة .

- هل تستطيعين أن تؤكدي أن الأزرار الإحدى والثلاثين التي تلقيتها في الطرد قطعت من إحدى بذلات "مارك" ؟ .

- أظن أنه ليس في استطاعتي إعطاؤك هذا التأكيد - لأن أزرار البذلات الرمادية متشابهة !

- أظنك على حق .. فلندع إذن هذه المسألة جانبا ، هل كانت حالة "مارك" النفسية عادية يوم اختفائه ؟

- نعم ، كان يبدو مرحاً كعادته ، "وأضافت ضاحكة" ولا عجب فقد كان على وشك الزواج ! .

- هذا صحيح يا آنسة ، ولكن القدر ، فيما يبدو لي ، أبى عليه هذه السعادة ، وهو أمر يؤسف له ولا شك ، والآن أخبريني ، هل أخبرك "مارك" بعزمه على مغادرة القصر عقب طعام الغداء ؟

- كلا .. فقط قال لي إنه متضجر من اشتداد القيظ ، وإنه سيصعد إلى غرفته لاستبدال بذلته .

- وأين كنت وقتئذ ؟

- أطالع كتابا في البهو حتى جاء كبير الخدم بالشاي .

وساد الصمت هنيهة ، ثم قال "لوبين" :

- وهذه الأشياء التي وصلتك بالبريد ، ألا توافقينني على أنها مرسلة إما من أحد أعداء "مارك" أو منه شخصيا ؟! إذ إنه من المستحيل أن يبعث بها صديق . وإلا لزادنا إيضاحا ، أليس كذلك؟

- أظن أنني أوافقك على هذا الرأي . فأخرج "لوبين" محتويات الطرد من جيبه ، وبسط الورقة التي تحمل التواريخ الثلاثة ، وسأل:

- هل تعلمين شيئا عن هذه التواريخ ؟ .

فهزت الفتاة رأسها ، وأجابت :

- كلا فقط أذكر أن اليوم الأول من شهر مايو هو عيد العمال .

فابتسم "لوبين" وقال معقبا :

- إذا كنا سنفكر في المناسبات ، فإن اليوم الأول من شهر يوليو هو اليوم السابق لاختفاء "مارك" . بينما اليوم الأول من شهر نوفمبر هو اليوم المحدد لزفاف "هيلين كنريستون" .. فهل يعني غريمنا الواسع الحيلة أنه يوشك على توجيه ضربة جديدة إلى آل "كنريستون" . ؟ وهل ستكون الضربة منصبة على الحيلولة دون زفاف "هيلين" إلى مستر "سكين" ؟ ما رأيك يا آنسة ؟ .

- الرأي ما تراه ، لأنك - بغير شك - قد بنيت رأيك على أسباب قوية.

- أصبت ، ولو أنه يؤسفني أن أقول لك إنني لا أملك الدليل القاطع ، فلنتابع إذن حديثنا في الاتجاه الذي سلكناه .. هل تعرفين شيئا عن العبارة الغامضة التي جاءت في رقعة الورقة هذه أعني عبارة "الفوطة المقلوبة" ؟ !

وللمرة الثانية هزت الفتاة رأسها سلبا ، وصاحت :

- أؤكد لك انني لم أفهم شيئا مطلقا من هذه العبارة ، فهل تعرف أنت شيئا عنها ؟

- يؤسفني أن يكون جوابي بالنفي ، ولكنني كنت أعلل النفس بأن يكون لها معنى معروف محلي !! إن الغرض من إرسال هذا الطرد لا يعدو أن يكون أحد تأويلين : إما أن المرسل يعرف شيئا عن اختفاء "مارك كنريستون" ، ويريد أن يتحدى المحققين ، أو أنه أراد تحويل أنظارهم عنه ، بإرسال هذه الأدلة المضللة .

- ولكني أعتقد أن عبارة "الفوطة المقلوبة" لابد أن يكون لها أصل !

- أتعنين أن لها معنى غير الذي قصده الكاتب ؟

- هذا ما أعنيه ، لأن اختراع مثل هذه العبارة شيء مستحيل ، وإذن فلابد لها من أساس .

- هذا أيضا معقول .. ومن العبث بالتأكيد أن نحاول تصور معنى عبارة لا معنى لها .

وللمرة الثانية ساد الصمت ، ولكن لم يطل أمده ، إذ سرعان ما ألقى "لوبين" السؤال التالي على الفتاة :

- هل كان "مارك" صديقا لـ"صموئيل فير برازر" صاحب خان "رايفلمان" ؟ .

فأجابت الفتاة في دهشة شديدة :

- صديقه ؟ كلا يا سيدي ، يجوز أنه تردد على الخان في فترات متباعدة . ولكني لا أستطيع أن أقول إنه كان صديق صاحبه .. آه إنني أذكر بهذه المناسبة أن "هوجو برنشلي" ، صديق "مارك" ، يتردد كثيرا على الخان ، وأحسب أن مرجع هذه الزيارات أن الاثنين كانا يشتركان معا في الصيد قبل الحرب ، أو أن أبا "هوجو" هو الذي كان يشترك مع "فير برازر" في ذلك .

فغمغم "لوبين" :

- "برنشلي" ! هل تعنين مستر "برنشلي" الذي يقيم في "توريث"؟

- نعم ، إنه يقيم قريبا من "توريث" ، أي بعد "بلساز" مباشرة .

- وهل مستر "برنشلي" متزوج ؟.

- كلا .. إنه عزب ..

وطرق الباب في تلك اللحظة . ودخلت الخادمة لتعلن سيدتها بأن مستر "هولدرنز" يريد التحدث إليها تليفونيا ولاحظ "لوبين" أن الدم اندفع إلى وجه "إيموجن" عند سماعها اسم "هولدرنز" ..

وارتسمت في عينيها نظرة الغضب .. فلم يجد مفرا من الانصراف ، فشكر الفتاة . واستأذن ..

ثم غادر الغرفة ، وبينما كان يغادر المنزل سمع الفتاة تقول لمحدثها:

- إني أعرف ذلك يا عزيزي إني أعرف حقيقة شعورك كل المعرفة .

الفصل السابع

رأى "لوبين" أن يمهد لزيارة مستر "جوليان سكين" ، فانتهز إحدى الفرص وذكر لـ"فير برازر" صاحب الخان أنه تقابل مع "سكين" مصادفة في إحدى جولاته ، ودعاه لزيارته ..

وشد ما كانت دهشة "لوبين" حين لاحظ أن "فير برازر" استقبل هذا النبأ ببرود ، وسمعه يقول باكتئاب :

- آه ؟ أتعني مستر "سكين" الذي سيتزوج الآنسة "هيلين كنريستون" قريبا ؟

- نعم .. لكن مالك مكتئب ؟ أترى في هذا الزواج ما يستحق النقد ؟

- ليس لأمثالنا من الفقراء أن ينتقدوا تصرفات الأغنياء يا سيدي .. ولكني أؤكد لك أن هذا الزواج غير متكافئ ..

- لماذا ؟

فهز "فير برازر" رأسه . وقال :

- إني لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال .. ولكني أؤكد لك أنني لو كنت أبا العروس لرضيت بزفافها إلى مستر "هوجو برنشلي" رغم كبر سنه عن زفافها إلى مستر "سكين" .

وكف الرجل عن حديثه كأنما خشي الشطط .. ثم أردف :

وبهذه المناسبة .. إليك رسالة وردت اليوم باسمك يا سيدي .

وانصرف "فير برازر" من الغرفة .. فأسرع "لوبين" يفض الرسالة فإذا بها من "ماك موران" .

"عزيزي "مارتن ديل" -

أبعث إليك رفق هذا بالمعلومات التي طلبتها مني .. وأرجو أن أكون قد وفقت إلى إرضائك .. أما عن الجواد "بال فير" فإنني لا أنصحك بالمراهنة عليه . لأنه لا يزال جواداً صغيرا وسبق أن فشل في عدة سباقات . وهذا الجواد هو ابن الجواد "هورن بلوار" وترجمته "نافخ البوق" على أنه قد يهمك أن تعلم أن الجواد "بال فير" ملك لمستر "هوجو برنشلي" الذي يقيم في الجهة التي تزورها الآن .. ومع أني بوصفي خبيرا في سباق الجياد ، كنت أعلم يقينا أنه من المخاطرة المراهنة على

هذا الجواد في سباق مهم كهذا ، فإنني أفضيت إلى السير "كمبل" بما قلت ولكنه نصحني بعدم المراهنة وطلب إلي أن أبلغك نصيحته.. وهانذا قد فعلت . "

وضع "لوبين" الرسالة فوق المنضدة .. وفرك يديه في غبطة وسرور .. ولا عجب فقد تكشفت أمامه بضع مسائل مهمة ، وخاصة ما يتعلق منها بـ"هوجو برنشلي" صاحب الجواد "بال فير".

والتقط "لوبين" الرسالة مرة أخرى .. وبدأ يطالع ما كتبه "ماك موران" عن وصية مسز "كنريستون" .

قال المفتش : "لقد بعثت بمساعدي "تشاترتون" إلى "سومرست هاوس" . فاستطاع أن يحصل على نص وصية المرحومة مسز "كنريستون" .. ويؤخذ من السجلات أن السيدة المذكورة تركت ثروة كبيرة يبلغ دخلها السنوي ما لا يقل عن عشرين ألف جنيه .. وقد قسمت هذه الثروة إلى ثلاثة أقسام اثنان منها متساويان ويستهلكان أغلب الثروة ، وقسم ثالث ضئيل .. أما القسمان المتساويان فمن نصيب ابنها "مارك" وابنتها "هيلين" على أن يظل هذان القسمان محجوزين حتى يتزوج الاثنان فيصبح لهما حق التصرف في مالهما .. فإذا مات أحدهما قبل زواجه ذهب نصف حصته إلى مستر "إيوارت كنريستون" ، والقسم الثاني إلى أكبر ابن أو ابنه للشخص الآخر .. ومن هذا يتبين أن الذي يربح بموت "مارك" هما أبوه وأخته .. أما عن "الفوطة المقلوبة" فأؤكد لك أنني لم أفهم ماذا تقصد .. ومع ذلك فقد أخبرتني زوجتي أنه إذا اتسخت إحدى ناحيتي فوطتها في بعض الأحايين فإنها تقلبها .. وهي تتفاءل من ذلك .. أما أنا فأعتقد أن هذه خزعبلات وحماقة .

المخلص "ماك موران"

ابتسم "لوبين" وغمغم : هذا بديع .. لقد بدأنا نتقدم أخيرا .

وفي تلك اللحظة طرق الباب .. وأعلن "فير برازر" وصول مستر "سكين" .

وتقدم "لوبين" من زائره . وصافحه مرحبا .. ودعاه للجلوس .

وافتتح "سكين" الحديث بقوله :

– لقد فهمت من رسالتك أنك وقعت على بعض أنباء مهمة يا مستر "ديل" ، وإلا لما أرسلت في طلبي .

– إن ما وقعت عليه من انباء قد تكون مهمة وقد لا تكون كذلك .. فمثلا لقد زرت الآنسة "هاليول" .. واستطعت أن أحصل منها على بعض المعلومات .. كذلك أمكنني أن أصل إلى نص وصية المرحومة "كنريستون" .. ثم إنني عرفت معلومات لها قيمتها فيما يتعلق بسباق "كمبردج شير" .. وأخيرا ، سمعت نفخ البوق !!

فحدق "سكين" في وجه محدثه كالمشدوه .. وصاح :

– يا إلهي ! أرجو أن تفسح لي بعض الوقت حتى أستوعب كل هذه الأنباء المختلطة ؟ هل تعني انك أوقظت من نومك ليلا على صوت البوق الجهنمي ؟

فابتسم "لوبين" وأجاب :

– كلا . ولو انني سمعت الصوت في وقت متأخر نوعا ما ، بيد أنني لم أكن نائما إذ ذاك .

وقص "لوبين" على "سكين" الملابسات التي سمع فيها صوت البوق .. وقال :

– ولست أكتمك انه صوت مزعج يبعث الرعب في القلب ، فلا عجب إذا كان سماعه قد أحدث أسوأ الأثر في نفس الآنسة "هيلين" .

– أقول لك الحق إنني لا أفهم معنى انطلاق البوق في المساء، فليلة دوي صوته لأول مرة اختفى "مارك كنريستون" . وعندما أطلق ثانية كان نذيرا بأن خطرا يتهدد "هيلين" . فلماذا إذن أطلق هذه المرة ؟

– أؤكد لك انني مثلك حائر في تعليل ذلك على أني أرى أن هذه المسالة لا قيمة لها إذا قورنت بالمسائل الأخرى التي حدثتك عنها .

– أتعني الوصية ، وزيارتك للآنسة "هاليول" ، وسباق كمبردج شير؟

– نعم ، فلنتحدث في كل منها على حدة ، أظنك تذكر حديثنا الأول عن الوصية . وكيف أنك قلت لي إنك تجهل الأرقام والنصوص الإضافية ، فهل يدهشك أن تعلم أن "هيلين" وأباها هما اللذان سيستوليان على نصيب "مارك" إذا ثبت أنه لاقى حتفه؟

– هذا لا يدهشني .. لأنه أمر ليس بالجديد عليَّ .. إنني لم أتحدث

إلى "هيلين" من قبل في المسائل المالية ، إلا أنني استخلصت من حديثها وحديث أخيها في شتى المناسبات شيئاً عن بعض نصوص وصية أمهما ، وفوق ذلك ينبغي أن تعلم أنني لا أقيم وزنا لثروة زوجتي لأنني رجل موفور الثروة ، وأكره أن أكون مدينا لزوجتي بشيء

فأرجو أن تنتقل للمسألة الثالثة . وهي مسألة زيارتك للآنسة "هاليول" وما دار بينكما من حديث .

وللمرة الأولى تردد "لوبين" .. ذلك أنه كان يعتبر الجميع موضع ريبة حتى تثبت براءتهم قطعا . ولما كان قد سمع بعض معلومات مهمة من الآنسة "هاليول" فإنه حرص على أن يحتفظ بها سراً لنفسه ومن ثم فقد قال :

- إن المعلومات التي أفضت بها الآنسة "هاليول" تحتاج إلى التمحيص .. وفوق ذلك فإنني كنت عالما بأغلبها قبل الزيارة ، على أن أهم ما ظفرت به منها ، هو أنها قدمتني لمستر "هوجو برنشلي" !

فغشيت وجه "سكين" سحابة قلق وأسرع يستفسر :

- وماذا كان يصنع في منزلها ؟

- لقد أخطأت فهم قولي .. أو لعلي أخطأت التعبير .. فإن الشاب لم يكن في منزل الفتاة ، فقط ورد ذكره في حديثنا . وقد قالت لي الآنسة "هاليول" إنه صديق "فير برازر" و "مارك" .. فهل في قولها هذا مبالغة ؟

فأجاب "سكين" في اكتئاب :

- كلا .. إنه الحقيقة بعينها .. ومع أني كنت أعيب على "مارك" صداقته لـ"برنشلي" لأنه يكبره بكثير إلا أنني لم أوجه إليه أي لوم ، أو أوح إليه بنفوري من هذه الصداقة .. لكن ما الذي قضى بذكر اسمه في حديثك مع الآنسة "هاليول" ؟

- لقد ذكرت لي اسمه عندما قلت لها إنني أقيم في خان "فير برازر" .. وعندئذ قالت إن الرجل صديق لمستر "برنشلي" .. فلما سألتها من يكون "برنشلي" هذا قالت إنه كان صديقا حميما لـ"مارك" .

- وهل من شيء آخر ؟

- كلا .. على أن الأمر الذي استأثر باهتمامي من ناحية "برنشلي" أنه من هواة سباق الجياد .. وأنه يملك جواداً سيشترك في السباق

القادم .

فهز "سكين" كتفيه وقال :

- لست ممن يأبهون لسباق الجياد خاصة إذا كانت حياة أعز الناس عندي في كف القدر .

- صدقت .. ولكن هل تعرف ما اسم جواد "برنشلي" ؟ وما اسم أبيه ؟ إن اسم الجواد (بال فير) أي "النار الجميلة" واسم أبيه (هورن بلوار) أي "نافخ البوق" .

فحدق "سكين" في وجه "لوبين" وصاح :

- يا إلهي ! إنني لا أعلم إلى أين نحن مسوقون - لكن ألا تعتقد أن الأمر قد لا يعدو مجرد مصادفة ؟

فغمغم "لوبين" :

- شد ما أعجب !

وساد الصمت .. وانتفض "سكين" !!

الفصل الثامن

كان "لوبين" قد اتفق مع "جوليان سكين" على أن يزور "المنجتون هاوس" في صباح اليوم التالي .. فلما كانت الساعة التاسعة غادر "لوبين" الخان . وانطلق إلى "المنجتون هاوس" ، فلما بلغه استقبله "جوليان سكين" مرحبا ، وقاده إلى غرفة الجلوس ، وأغلق الباب خلفهما .

ثم قال :

- من حسن الحظ أن تصل في هذه اللحظة ، فقد سبقك "برنشلي" بالمجيء منذ دقائق معدودات ، ولا ريب أنك رأيت سيارته أمام الباب .. يا إلهي إن الشاب كثير التردد على القصر في هذه الأيام ، وهو مجتمع الآن بمستر "كنريستون" في غرفة المكتبة .

فسأله "لوبين" في اهتمام :

- ألم يكن يتردد على القصر من قبل ؟

- بل كان يزوره في فترات ، ولكنها لم تكن متقاربة كالآن.. أرجو أن تنتظرني لحظة حتى أستدعي "هيلين" لمقابلتك .

وغادر "سكين" الغرفة . ثم عاد بعد لحظات وبرفقته خطيبته "هيلين" ، وكانت فتاة طويلة القامة ، ناصعة بياض البشرة ، تكسو وجهها الفاتن مسحة من الحزن العميق ، والقلق الدفين ، فحماء الشعر ، سوداء العينين . تشف نظراتها العميقة عن رقة القلب . وطيب المنبت .

وقدم "سكين" زائره إلى خطيبته بوصفه مؤلفا التقى به مصادفة ودعاه لزيارة القصر .

وانحنى "لوبين" للفتاة ، فمدت له يدها وابتسمت مرحبة ، ثم جرى بين الاثنين حديث قصير عن الكتب والتاليف ولم تلبث الفتاة أن قالت:

- لا ريب أن أبي سيسر كثيرا بمقابلتك يا مستر "مارتن لوثر نجتون" ، لأنه باحث بطبعه ، ولا يمل من التحدث في الشؤون العلمية ، وخاصة ما يتعلق منها بالآثار والحفريات .

فقال "لوبين" وهو يتظاهر بالتواضع :

- لا أظن أنني أسمو إلى مرتبة أبيك يا آنسة مهما بلغت ثقافتي ..

فإن مستر "كنريستون" معروف بانه افنى حياته في البحث والاطلاع . وما أنا إلا كاتب صغير حديث عهد بالكتابة والتاليف .

- هذا بغير شك تواضع شديد منك .. ولكن وجودك على كل حال فرصة فريدة لإخراج ابي من عزلته واحزانه . فارجو أن تبقى مع "جوليان" حتى اذهب وانبئه بوجودك .

وأسرعت الفتاة بمغادرة الغرفة ، ثم عادت بعد قليل وبرفقتها رجلان ، أحدهما كهل بادي القوة برغم تقدم سنه .. تنبعث من عينيه الزرقاوين نظرة تستاثر باهتمام كل من يتحدث إليه .. وأما الآخر فرجل متوسط القامة .. يبدو هادئاً رزينا .

وقدمت "هيلين" "لوبين" إلى أبيها ورفيقه ، ثم قدمت رفيق أبيها إلى "لوبين" قائلة :

- اسمح لي أن أقدم لك مستر "هوجو برنشلي" صديق الأسرة .

وتصافح الرجال الثلاثة وقال مستر "كنريستون" :

- إن اسمك لم يذكر أمامي يا مستر "لوثر نجتون" .. وهذا ليس بالتاكيد خطاك .. فهل لك أن تذكر لي أسماء بعض مؤلفاتك لعلي أكون قد قراتها ؟ .

فاجاب "لوبين" في بساطة :

- لا اظن أن ذكر هذه الأسماء سيفيدك في شيء يا سيدي ، ومع ذلك فإنني وضعت كتابا في نقد اليابان .

فتهللت أسارير وجه مستر "كنريستون" ، وهتف :

- اليابان ؟ هذا وإيم الحق نبا طيب .

وأفاض "كنريستون" في الحديث عن نماذج الدمى التي عثر عليها حديثا في نيويورك ويرجع تاريخ صناعتها إلى القرن السابع عشر .. ثم طلب إلى "لوبين" أن يحدثه عن بعض الكتب والمؤلفات الخاصة بالدمى ، وما كاد "لوبين" يذكر له بعض الأسماء حتى صاح الرجل بانفعال :

- هذا مجهود عظيم بحق السماء .. كم كنت أود لو كان لابني "مارك" بعض حماستك .. واهتمامك بإنماء مداركك لكن آه ! لا جدوى من التحسر والنواح على الماضي !

وغشيت وجه الرجل سحابة من الهم ، والحزن ، فتقدم "برنشلي" من "سكين" وأسر إليه شيئا ، بينما حاولت "هيلين" أن تخرج أباها من صمته ، وتعيد إليه حماسته ، فطلبت إليه أن يحدثهم بمشاهداته العلمية أثناء رحلته الأخيرة في القارة الأوروبية .. فابتسم أبوها ابتسامة باهتة ، ورفض أن يتحدث إلا عن ابنه "مارك" فقال :

- كان شابا مرحا ، لا يقيم وزنا لشيء في الدنيا ، وكم أنزلته من نفسي منزلة أمه "دنيس" .. ولا اظن أن أحدا كان يحبه مثلما أحببته إلا "برنشلي" ، فقد كان ينزله من نفسه منزلة رفيعة ، ومن عجب أن "سكين" كان متحفظا من ناحيته ، وإني أذكر أنني كنت جالسا في غرفة مطالعتي يوم اختفى وكنت أقرأ الترجمة الإنجليزية التي نقلتها إلينا الكاتبة "ميتكوف" لكتاب "الدمى الفنية" لمؤلفته "إيفانوفنا الروسية" . وبهذه المناسبة ، ينبغي أن تقرأ هذا المؤلف يا صديقي لأنه أعظم كتاب في هذه الناحية .

وكاد الرجل يسترسل في حديثه العلمي لو لم تلج "صوفي سانت آلاري" الغرفة في تلك اللحظة وتقول :

إذن فإنكم تعقدون هنا اجتماعا ، لقد بحثت عنكم طويلا .. أرجو أن تقدموني إلى هذا السيد .

ونهض "لوبين" ، وصافح القادمة . وراح يتساءل : ترى لماذا تعمد "إيوارت كنريستون" أن يكذب عليه .

وعندما غادر القصر لم يكن قد عثر على جواب عن هذا السؤال.

*

وفي اليوم التالي فوجئ "لوبين" بزيارة "صوفي سانت آلاري" - وكانت بادية الانفعال . فلما استفسرها "لوبين" عن الزيارة غير المتوقعة ، أجابت :

- لقد جئت ، لأتحدث إليك في أمر على جانب عظيم من الأهمية ، ولكني أرى أن يكون حديثنا على انفراد . ومطبوعا بطابع السرية ، وأحسب أن خير مكان للحديث هو الخلاء ، فهل توافق على أن نغادر الخان ، حيث نستطيع أن نتحدث دون خوف من رقيب أو دخيل ؟

ولم يمانع "لوبين" في طلبها فلما ابتعدا عن الخان ، بدأت تسرد

قصتها ، فقالت:
- لقد أزعجت "هيلين" من نومها في الليلة المنصرمة ، ومع أنها حرصت على كتمان الأمر عن الجميع . إلا أن الحادث أثر على أعصابها تأثيرا بالغا ، وشد ما أخشاه إذا استمر الحال على ذلك المنوال أن يذهب عقل المسكينة .. ولعمري لست أفهم السر في تباطؤ أبيها في الإقدام على عمل حاسم ..
فقاطعها "لوبين" :
- دعينا من أبيها الآن يا آنسة ، وحدثيني عما حل بها ليلة أمس ، هل الحادث الذي وقع لها يماثل الحوادث السابقة ؟
- نعم ، فيما عدا اختلافا طفيفا .. لقد أفاقت "هيلين" من نومها حين أحست بشيء يلمس وجهها ، وأطلقت صرخة ثاقبة أيقظت جميع النائمين في القصر ، فلما أسرعنا إليها لم نجد شيئا غير عادي في الغرفة .
- حسنا ، وما وجه الخلاف بين حادث أمس والحوادث التي سبقته؟
- إنه البوق يا مستر "ديل" .. فقد اقترن حادث الأمس بصوت البوق لأول مرة .
وشد ما كانت دهشتها حين رأت "لوبين" يفرك يديه في جذل ، وسمعته يقول :
- إن هذا التطور الجديد يبعث على الأمل يا آنسة ، لأنه يلقي ضوءاً جديدا على الموقف .
فأردفت دون أن تفهم مارمى إليه محدثها من قوله : وثمة اختلاف آخر يا سيدي ذلك أن صوت البوق كان قريبا جدا حتى لقد خيل إلي أنه صادر من قلب القصر .
وساد الصمت لحظة . كان "لوبين" يقدح زناد فكره خلالها ، ولكن "صوفي" لم تترك له فرصة الاسترسال في التفكير إذ لم تلبث أن قالت :
- هناك مسألة أخرى أهم من كل هذا بكثير .
فاستدار "لوبين" إليها ، وسألها في لهفة شديدة :
- وماهي ؟ .

فقالت "صوفي" ، وهي تفتح حقيبتها ، وتخرج منها شيئا :

- فلقد تصادف أن خرجت إلى الحديقة في ساعة مبكرة من الصباح . وبينما كنت أتجول في أرجائها عثرت على هذا المنديل ملقى وسط مجموعة الزهور المغروسة أسفل نافذة غرفة نوم "هيلين" مباشرة .

وقدمت "صوفي" المنديل إلى "لوبين" فنشره بين يديه .. فالفاه منديل رجل ، مصنوعا من الحرير الخالص ، أبيض اللون له إطار عريض جدا أحمر اللون .

وقالت "صوفي" :

- انظر إلى ركن المنديل يا مستر "ديل" .

ففعل .. وعندئذ رأى نجمة ، ونسرا ممتلئ المنقار ، مطرزين في ركن المنديل ، وقد كتبت تحتهما كلمتان "دوناتين العظيم" .

ونظر "لوبين" إلى "صوفي" متسائلا .. فقالت :

- إن هاتين الكلمتين تدلان بوضوح على أن المنديل ليس ملكاً لأحد ممن يقيمون في "المنجتون هاوس" .

- وما الذي يجعلك واثقة من ذلك ما دام المنديل قد وجد خارج القصر ؟ .

- إن الرسم الذي تراه إنما هو شعار إحدى الأسر العريقة فيما أعتقد ولا أظن أن أحدا من آل "كنريستون" أو ضيوفهم ينتمي إلى أسرة هذا شعارها .. أو لها شعار على الإطلاق .

- أرجو أن تسمحي لي بالاحتفاظ بهذا المنديل بصفة مؤقتة .

- هذا ما كنت أعتزمه عندما جئت لمقابلتك .

وفجأة حول "لوبين" مجرى الحديث .. وسأل :

- هل تعتقدين أن مستر "إيوارت كنريستون" لا يكذب .

فأجابت بغير تردد :

- لم أعرفه يوما كاذبا .

- أشكرك .. أرجو أن تعطي هذه الرسالة لمستر "سكين" باليد .

وأخرج مفكرته . وانتزع منها ورقة ، سجل فوقها رسالة خاصة لـ"سكين" ، وقدمها لـ"صوفي" وهو يقول :

- أرجو أن تخبريه أنني أصر على أن يطيع التعليمات التي ذكرتها

له في رسالتي بكل دقة وإلا فإنني أخشى ألا يتم زفافه يوم عيد القديسين .

فبهتت "صوفي" وهتفت :

- يا للسماء ! ولماذا ؟

ولكن "لوبين" لم يجب .. وافترقا على ذلك .

وفي الطريق حاول "لوبين" أن يتذكر أين سمع أو قرأ اسم (دوناتين) المطرز فوق المنديل .

فلما أعياه التفكير وخانته ذاكرته ، هز رأسه في حنق ، وغمغم :

- إني واثق من انني قرأت شيئا عن هذا الاسم في أحد المؤلفات .. ترى أين كان ذلك ؟

وقطع الطريق كله وهو يحاول جهده تذكر اسم الكتاب الذي قرأ فيه اسم (دوناتين) . فلما بلغ الخان وجده غاصا بالزائرين على غير العادة ، وسمعهم جميعا يتحدثون بمرح ، ورآهم ينفقون بلا حساب ، فلما استفسر من "فير برازر" عن ذلك . قال له :

- لقد ربح الجواد "بال فير" سباق "كمبردج شير" ، ولما كان أكثر سكان هذه المنطقة قد راهنوا عليه . فقد جاءوا ليشربوا نخب هذا النصر المبين .

الفصل التاسع

كان "لوبين" قد قرر مقابلة الآنسة "شيلانج برنيز" في صباح اليوم التالي ، لأنها والسكرتير "هولدرنز" هما الشخصان اللذان لم يقابلهما من أفراد هذه المأساة الغامضة .. ولما كان قد حرص على معرفة عناوين هؤلاء الأشخاص ، فقد انطلق من فوره إلى منزل الفتاة في الساعة العاشرة صباحا .

واستقبلته "شيلانج" بتحفظ .. وكانت فتاة شديدة الجاذبية فنانة .. شديدة الحيوية ، وكانت نظرة واحدة إلى وجهها كفيلة بأن تقنع "لوبين" أنه إزاء فتاة صريحة لا تحب المواربة أو اللف أو الدوران .

وقص "لوبين" على مضيفته كل شيء يعرفه في صراحة تامة . فاصغت إليه في اهتمام شديد .. ثم قالت :

– إني شاكرة لك هذه الثقة الغالية يا سيدي ، وأؤكد لك أنني على أتم استعداد لأن أجيب عن كل سؤال تلقيه علي ..

فقال "لوبين" :

– لعله من مصلحتنا أن نتحدث في تفصيلات اليوم الذي اختفى فيه "مارك" .. فمما سمعته يبدو أن كل شخص من الذين كانوا ملتفين حول مائدة الطعام قد انصرف لشأنه عقب الانتهاء من الغداء ، فهل تستطيعين أن تخبريني بدقة أين مثلا ذهب "إيوارت كنريستون" رب العائلة . ؟

وساد الصمت بينهما هنيهة ، وأخيرا أجابت الفتاة في هدوء شديد:

– أذكر أن مستر "كنريستون" ذهب إلى غرفة المطالعة عقب انتهاء الطعام .. ولا عجب فالرجل يقضي أغلب أوقاته في هذه الغرفة .. وقد رأيته بنفسي وهو يدخل الغرفة ليطالع .

– هل كان يطالع صحفا ، أم مجلات ، أم كتابا ؟ ألم تلاحظي أنه كان يحمل شيئا منها عند دخوله الغرفة ؟ .

– أكبر ظني أنه لم يكن ينوي مطالعة كتاب .. وإليك السبب . لقد رأيته يحمل صحيفة في يده وهو يدفع باب الغرفة ، وفوق ذلك لو أنه

كان بحاجة إلى كتاب يطالعه لذهب إلى مكتبته أولا .. وهو مالم يفعله مطلقا .

- هذه مسالة مهمة يا آنسة ، ولكن من أين لنا أن نثق أن الكتاب الذي أراد مطالعته كان موجودا فعلا في غرفة المطالعة أعني أنه كان يطالعه قبل ذهابه لتناول الطعام . ثم عاد ليستأنف مطالعته بعد أن فرغ من الغداء ؟

فقالت الفتاة :

- إني واثقة من أن "كنريستون" لم يكن يطالع قبل أن يدعى لتناول الطعام مباشرة .. ذلك أنه كان يتجول في الحديقة مع "مارك" و "هيلين" في ذلك الحين .. وعلى كل حال إن الافتراض الذي ذكرته معقول جدا ، إذ ربما كان مستر "كنريستون" يحتفظ بكتاب في غرفة المطالعة من اليوم السابق .

- مهما يكن .. هل تذكرين كم كانت الساعة عندما رأيت مستر "كنريستون" يدخل غرفة المطالعة ؟ .

- حوالي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين .. وكان لا يزال يطالع في الساعة الثالثة إلا ربعا .. فقد رأيته من النافذة المطلة على الحديقة .

- هذا بديع .. ومقنع .. فلننتقل الآن إلى مستر "مارك" ماذا تستطيعين قوله لي عنه ؟

- النزر اليسير .. إذ ما كاد الطعام ينتهي حتى انطلق "مارك" و"إيموجن هاليول" و"أرنست هولدرنز" ، سكرتير مستر "إيوارت" ، إلى البهو .. وقد رافقتهم ، وكانت "هيلين" معنا أيضا ولكنها لم تلبث أن ذهبت إلى غرفتها لتكتب بضع رسائل ، وأذكر أن "مارك" و "إيموجن هاليول" تحدثا على انفراد بعض الوقت ، ثم غادر الشاب الغرفة وأما أنا فالتقطت كتابا وبدأت أطالعه ، وحوالي الساعة الثالثة إلا عشر دقائق سألني "أرنست هولدرنز" إن كنت أرغب في مرافقته في جولة على ضفاف نهر "المر" .. فلم أمانع ، وبينما كنا نسير في الحديقة مررنا بـ"جوليان سكين" . وكان يجلس في مقعد مريح .. ولست أذكر تماما أيهما بدأ الآخر بالحديث أهو مستر "سكين" أم مستر "هولدرنز"

ولكنني أذكر أننا جميعا تبادلنا تماما حديثا قصيراً .. واذكر أيضا أن مستر "سكين" كان يطالع كتابا صغيرا له غلاف أزرق باهت .. أظنه كتاب "ميكتوف" عن (الدمى الفنية) وفوق ذلك فإنني أذكر أنه ذكر لي هذا الاسم إبان الطعام ..

- الحق أن هذه معلومات ثمينة للغاية .. فارجو أن تستمري في سرد ما لديك من معلومات يا آنسة .

فهزت الفتاة رأسها سلبا ، وقالت في أسف واضح :

- أخشى الا أستطيع زيادة شيء على ما قلت فإنني ، عقب هذا الحديث ، انصرفت مع "هولدرنز" إلى النهر ، وجلسنا فوق ضفته حوالي الساعة أخذنا نتجاذب خلالها أطراف الحديث ، ثم عدنا إلى القصر في موعد الشاي . واذكر أن "ارنست" لوح بيده لمستر "سكين" الذي كان لا يزال جالسا في مقعده . ثم دخلنا إلى القصر ، فقابلنا مستر "إيوارت" وسألنا إن كنا قد رأينا "مارك" .. وكان الرجل يبدو قلقا منزعجا .. مع أن الساعة لم تكن قد جاوزت السادسة بكثير .

- ومن كان موجودا بالقصر وقتذاك ؟

- كان كبير الخدم يقدم الشاي للموجودين .. وقد رأيت "إيموجن هاليول" جالسة بمفردها في البهو ، وبعد حوالي نصف ساعة غادر "سكين" مقعده في الحديقة وانضم إلينا ، بينما كانت العمة "صوفي" و "هيلين" تجلسان فوق الأريكة وتتحدثان معا عن فيلم سينمائي رأتاه حديثا .

- معنى هذا أن الجميع كانوا حاضرين ، فيما عدا "مارك" ؟.

- نعم .

- يخيل إلي يا آنسة أن تعقد هذه القضية ناشيء عما فيها من غراميات متعددة .

فتخضبت وجنتا الفتاة بحمرة الخجل ، وغضت من بصرها ، وسألت :

ماذا تعني يا سيدي ؟

- هل لـ"هيلين" معجب آخر غير "سكين" ؟ .

- نعم ، لكن ينبغي أن تفهم انه صديق قديم للأسرة . وهو أمر له

تقديره .

- أظن أنه مستر "هوجو برنشلي" .. أليس كذلك ؟

فغمغمت الفتاة :

- بلى .

- وهل للآنسة "هاليول" ، خطيبة "مارك" ، معجب أيضا ؟ .

فأجابت الفتاة بتذمر :

- أرجو أن تعفيني من الإجابة على مثل هذه الأسئلة الدقيقة .

وكأنما عدلت الفتاة بغتة عن ثورتها ، إذ قالت :

- سأحدثك بأمر سيدهشك حتما ، وما كنت لأحدثك به ألا لثقتي من صحته . إن "صوفي سانت آلاري" تعشق الدكتور "بلايفير" ، وأظن أن زوجة الدكتور قد بدأت ترتاب في أمرها ، ولا ريب أنها لن تغضي النظر عن ذلك .

الفصل العاشر

تململ "جوليان سكين" في مقعده ، وارتسمت على وجهه علامات الحيرة والقلق ، بينما مضى "لوبين" يتابع مفاجاته بالحقيقة تلو الأخرى . فلما انتهى من إفراغ ما في جعبته من مفاجآت قال :

- لعلك دهش ؟

فاومأ "سكين" برأسه في عجز ، وألم ، ثم أجاب :

- إني لكذلك ، بل إني أكثر من دهش إني مأخوذ لما سمعت .

- إذن أصغ لما ساقول .. إني أعتقد أن "مارك" أزيل من الميدان كيلا يتم زفافه .. ولست متجنيا أو مخمنا في هذا الاعتقاد لأني أملك كثيرا من الأدلة على صحة هذا الراي .. وهذه الأدلة نفسها توحي بأن نفس الخطر يتهدد "هيلين" .. أو بعبارة أدق ، إن المتآمر يسعى إلى وقف زواجها ولما كنت انت أحد الطرفين الرئيسيين لإتمام هذا الزفاف .. فمن المحتمل أن تستهدف بدورك للخطر .. أعني قد يعمد المتآمر إلى التخلص منك فلا يتم الزواج .

فقطب "سكين" حاجبيه .. وقال :

- لقد فهمت من رسالتك أنك تصر على أن أنتقل من المنجتون هاوس إلى هذا الخان حتى يوم الزفاف ؟

- هذا ما أردت .. ولكني أكتفي ببقائك هنا أسبوعا واحدا . وهذا الأسبوع الأخير قبل الزفاف ، فهل توافق على ذلك ؟

وحاول "سكين" الاعتراض قائلا إن الأسبوع الأخير هو أهم الأسابيع.. ولكن "لوبين" أصر على رأيه . وهدد بالتخلي عن تحقيق القضية إذا لم يذعن "سكين" لرأيه .. فاضطر الرجل إلى الموافقة .

واتفق الاثنان على أن يعود "سكين" إلى المنجتون هاوس" ، ويعد حقائبه ، ثم يعود إلى الخان في ذات الليلة . وقال "لوبين" ممازحا:

- من عجب أن "فير برازر" فتح إحدى غرف الخان اليوم فقط بعد أن ظلت مغلقة منذ قدومي ، فهل رأيت هذه الغرفة ؟

فهز "سكين" رأسه سلبا .. وسأل :

- وما وجه الحكمة في ذلك ؟

- كان "فير برازر" يحتفظ ببوق صيده في هذه الغرفة ، وقد تفقده في أحد الأيام فلم يجده فاصفر وجه "سكين" وصاح بانفعال :

- يا للشيطان ! هذا نبأ خطير .. فلو أننا استطعنا العثور على السارق .

- فسنعثر على القاتل ؟! يجوز .. ولو أنه يحتمل أيضا أن يكون هناك بوقان ، أحدهما بوق "فير برازر" والآخر ... البوق الجهنمي.

*

وعندما عاد "جوليان سكين" إلى خان "رايفلمان" بعد ساعتين من انصرافه .. لم يجد "لوبين" وحده وقال "لوبين" وهو ينهض لمقابلة "سكين" :

- لقد قابلت هذا السيد من قبل .. إنه المفتش "أندرو ماك موران" من سكتلنديارد .

* * *

وعهد "لوبين" إلى صديقه "ماك موران" بحراسة "سكين" والسهر على سلامته .. ثم رحل إلى لندن في صباح اليوم التالي . وقصد "لوبين" إحدى المكتبات العامة .. وبدأ "يقلب المؤلفات التاريخية حتى عثر على ضالته المنشودة في مؤلف لمؤرخ يدعى "دي ساكنيه" .

وأشرق وجه "لوبين" ، وحمل الكتاب إلى إحدى المناضد ، وشرع يقلب صفحاته متصفحا تاريخ الأسرة الفرنسية العريقة حتى وصل إلى الصفحة رقم ١٧٩ ، فتوقف وبدأ يطالع ما سجل فوقها وفوق الصفحات التي تلتها بعناية شديدة .

وقرأ ما يلي : "في اليوم الثاني عشر من شهر يونيو عام ١٧٤٠ ، إبان حكم لويس الخامس عشر وفي قصر "كونديه" العظيم في باريس ولد ذلك الرجل الذي وصفه مؤرخ من الحديثين بانه "من أغرب رجال القرن الثامن عشر .. أو من أغرب من أنجبتهم الإنسانية جميعا" .

كان "ألفونس فرانسوا مركيز دي ساد" ينحدر من أسرة من أعرق وأنبل أسر مقاطعة "بروفانس" تلك المقاطعة التي شهدت أحداثا تاريخية حافلة ، فلما مات أبوه ، أصبح "ألفونس" يعرف باسم الكونت "دي ساد" ، ولكن الشهرة التي أصابها أيام أن كان مركيزا جعلت

الجميع يحتفظون له باسمه الأول ، بل وكثيرا ما أطلق عليه لقب "المركيز العظيم" .. وقد اتخذ هذا المركيز شعارا له نجما يعلوه نسر ممتلىء المنقار . ولعلنا لا نعدو تقرير الحقيقة إذا قلنا إن المركيز "دي ساد" قد يكون أغرب رجل في تاريخ البشرية.. وأحقها بالدراسة من الناحية النفسانية .. ذلك أن الطبيعة قد تلفظ بعض الشواذ من الناحية الجسمية والعقلية ، ولكنها لم تخرج إلى الدنيا رجلا مخيفا من الناحية العقلية مثل "دوناتين" الفرنسي "فرانسوا دي ساد" .

ومضى الكاتب يسرد آراء "دي ساد" وفلسفته الخاصة ، وأقام مقارنة بينه وبين "روسو" و "فولتير" ثم أضاف بأنه كانت للرجل نظريات شاذة فيما يتعلق بالنساء اللاتي كان يقول عنهن "إنهن الجنس الحقير ، المزيف ، المؤذي" .

وانتقل المؤلف إلى ذكر الحادث الذي وصفه التاريخ باسم "حادث كيلر" وقد سجلت هذه القصة في رسالة بعثت بها مدام "دي ديفان" إلى "هوراس والبول" ، ومما جاء فيها قولها : "في يوم ٥ ابريل سنة ١٧٦٨ أي يوم عيد الفصح ، كان "دوناتين دي ساد" يجتاز ساحة النصر في ساعة مبكرة من المساء ، عندما أقبلت نحوه امرأة في ربيع العمر على جانب عظيم من الجمال ، فلم يدعها المركيز تذهب لشأنها . وإنما استوقفها وبدأها الحديث ولم يلبث أن عرف أن اسمها "روز كيلر" . وقد أخبرته السيدة أنها أرملة رجل سويسري افترسه المرض ، ولفظ أنفاسه الأخيرة في أحد المستشفيات منذ أيام قلائل ، وخلفها بغير عائل أو معين .. ثم طلبت منه العون .. ولما كانت المرأة قد أعجبت "دي ساد" ، فقد عرض عليها أن تقبل منصب مديرة منزل عنده ، فرحبت بهذه الفرصة الفريدة التي تنقذها من غوائل الجوع ، واتفقا على أن تبدأ عملها في منزله من صباح اليوم التالي .

ولما ذهبت "روز كيلر" إلى القصر في اليوم التالي ، استقبلها "دي ساد" بحفاوة بالغة وأصر على أن يطلعها على أرجاء القصر بنفسه فلما بلغا الطابق العلوي ، أدخلها إلى غرفة منعزلة وأغلق الباب خلفهما ، ثم أمرها بأن تتجرد من ثيابها وهو يتوعدها بمسدسه فذعرت السيدة وجثت عند قدميه ، وأخذت تتوسل إليه أن يصفح عنها

ويرحمها ، ولكن "دي ساد" أصر على طلبه وخشيت التعسة أن يقتلها بمسدسه فأطاعته وعندئذ شد وثاقها ، وأخذ يضربها بسوطه بقسوة ووحشية حتى سال الدم من كل عضو في جسمها .. وفقدت وعيها .

وأخرج "دي ساد" صندوقا به (مرهم) وأخذ يدلك الجروح التي أحدثها في جسد المرأة ، ثم غادرها .. وأغلق الباب بالمفتاح . وفي اليوم التالي زار دي ساد" (روز كيلر) وفحص جروحها .. ولم يلبث أن تبين أن (المرهم) قد أحدث أثراً عجيبا .. فقد برئت معظم الجروح .. وفي التو أخرج "دي ساد" مديته وبدأ يحدث جروحاً أخرى في جسد المرأة غير عابئ بصراخها . وأنينها . ثم طلى الجروح بالمرهم وغادر الغرفة .. تاركا "روز كيلر" تتمرغ فوق أرضها من فرط الألم . ولكنها استطاعت فك وثاقها .. وألقت بنفسها من نافذة الغرفة .. فسقطت في الطريق العام فتجمهر العامة من حولها .. ولم يلبث البوليس أن ألقى القبض على "دوناتين" مركيز "دي ساد" .. الذي وجد من نفسه الجرأة على أن ينادي أمام المدعي العام بانه بريء لم يرتكب أية جريمة .. بل بالعكس .. إنه أتم عملا نبيلا يستحق التقدير لأنه اكتشف (مرهما) عجيب التأثير في شفاء الجروح .. وهو أمر مع الأسف صحيح ! وقدم المركيز للمحاكمة . فحكم عليه بالحجز ستة أسابيع في قلعة "سومير" ثم نقل إلى سجن "ليون" ليكفر عن سيئته .

وانتقل الكاتب إلى ذكر حادث آخر من حوادث المركيز المستهتر فقال إن "دي ساد" أقام وليمة بشعة في شهر يونيو ١٧٧٢ في قصر معروف بمرسيليا .. وقدم المركيز خلال الوليمة حلوى بها مادة تحدث نوعا من الهيستريا لخادمات القصر .. فاصبن جميعا باضطراب عصبي .. وتجردن من ثيابهن وسادت الفوضى ، وعم الاضطراب .. وقبض على المركيز وحوكم . وحكم عليه بالسجن .

وحلل الكاتب الناحية الجنسية في المركيز .. فقال إنه كان شاذاً من هذه الناحية .. يلذ له تعذيب الجنس الآخر .. وتحقيره .

وأعاد "لوبين" الكتاب إلى موضعه .. ثم غادر المكتبة وهو يفرك يديه ويشع من عينيه بريق الارتياح .. ولكنه توقف عن سيره .. ثم عاد إلى المكتبة ثانية والتقط الكتاب الذي كان يطالعه . وأخذ يقلب

صفحاته . باحثا عن صورة للمركيز .. ولم يلبث أن عثر على صورة رسمها أحد الفنانين على ضوء الأوصاف التي ذكرها الكاتب لأنه لم يعثر للمركيز على صورة حقيقية .. وعجب "لوبين" حين تأمل الصورة . فقد رأى أمامه رجلا تشف ملامحه عن رقة القلب ودماثة الأخلاق ..

وبدأ "لوبين" يحجب بعض أجزاء الوجه . ويتأمل الأجزاء الأخرى بعناية .. وراح يسائل نفسه ألم يسبق أن رأى بعض هذه الملامح ؟ متى وأين ؟ هل بين سكان "المنجتون هاوس" من له ملامح تشبه هذه ؟ أم أن صاحب هذه الملامح ليس من سكان "المنجتون هاوس"؟

وغادر "لوبين" المكتبة . وهو يفكر ويربط بين الماضي والحاضر.. فمنذ حوالي مائتي عام مزق مركيز "دي ساد" جلد "روز كيلر" بمديته .. بينما عثرت "إيموجن هاليول" على مدية في الطرد الذي أرسله لها شخص مجهول .. فهل ثمة صلة بين الظاهرتين ؟! وفوق ذلك لقد عثرت "صوفي" على منديل يحمل اسم المركيز "دوناتين" العظيم .. فما معنى ذلك ؟

وراح "لوبين" يقلب المعضلة في رأسه .. وأخيرا استقر رأيه على خطة للعمل . فمضى إلى أقرب مكتب تلغراف ، وأرسل برقيتين إحداهما للمفتش "ماك موران" .. والأخرى للآنسة "هيلين كنريستون" .. وكانت الأخيرة أقرب إلى الرسالة منها إلى البرقية.

-*-

وقبل أن يذهب "لوبين" إلى المحطة عرج على أحد أكشاك الصحف ، وابتاع عدة مجلات وصحف فلما أخذ مجلسه في المركبة . وأخذ يتصفح إحدى المجلات الرياضية عثر على مقال كبير كتبه مراسل الجريدة عن الجواد (بال فير) الذي ربح سباق كمبردج شير ..

واهتم "لوبين" بهذا المقال أيما اهتمام .. وشرع يقرؤه بتأمل عظيم . فخرج منه بمعلومات ثمينة مضمونها أن الجواد (بال فير) قد ولد لأبوين هما "فلامبويانت" و "هورن بلوار" - أي نافخ البوق وأن التسمية مستمدة من حدث تاريخي جليل الشأن وتفصيل ذلك "أن سكان قرية "توربث" في مقاطعة "نور ثمبرلاند" الواقعة على بعد ستة أميال من قرية "بلساز" اعتادوا أن يشعلوا ناراً مشبوبة أطلقوا عليها

اسم "بال فير" أي النار الجميلة في اليوم الرابع من شهر يوليو كل عام وذلك بمناسبة انتصاف فصل الصيف .. ولم يكن هؤلاء الأهالي مبتدعين في عملهم هذا لأن أمثال هذه النيران توقد في اليوم الأول من شهر مايو في بقاع أخرى من البلاد . وقد اختار القوم بقعة واسعة مزروعة الحشائش لإشعال هذه النار .. فإذا حل اليوم الموعود ، وأشعلت النار اجتمع القرويون وراحوا يرقصون من حولها . وكلهم فرح مستبشر .. وهم يجمعون الأخشاب التي يحرقونها من الغابات القريبة .. ويحملونها إلى البقعة التي توقد فيها النار باحتفال محلي.. فإذا كانت الليلة السابقة للاحتفال .. وصلت العربات إلى البقعة المنشودة وهي محملة باغصان الأشجار ، وأوراقها الجافة ، واستقبلهاالأهلون بالصياح ، والنفخ في الأبواق . حتى يتم تفريغ العربات .. وعندئذ يتجمع هؤلاء الاهلون ليشاهدوا عملية تنظيم الأخشاب في كومة واحدة هائلة فإذا كانت الليلة التالية .. أشعلت النار .. وأخذ الجميع يرقصون من حولها . وهم يصيحون في جذل . فإذا خبت النار قليلا نادوا بإشعالها . ويرجع تاريخ هذه النار إلى العهود الغابرة عندما كان "التيوتونيون" يشعلون ناراً في شمال إفريقيا ، ولا ريب أن مستر "برنشلي" قد أحسن اختيار أسماء جياده الثلاثة فنقدم له تهنئتنا الخالصة" .

وأغلق "لوبين" الصحيفة وغمغم : يا إلهي ! إذن هذه هي الوسيلة التي لجئوا إليها للفتك بالشاب ؟ أمل ألا يكونوا قد وفقوا في عملهم الجهنمي .

وحاول أن يتصور كيفية وقوع الجريمة ، وراح يتساءل : ترى هل قتل "مارك كنريستون" أولا ثم ابقيت جثته رهن التخلص منها؟ أم أنه سجن في مكان ما حتى جاءت اللحظة الحاسمة فقتل ؟

وأدرك "لوبين" أن عليه عملا مهما ينبغي أن يؤديه عقب عودته إلى "نور ثمبرلاند" ، وذلك هو فحص كل بوصة في الطريق بين حديقة قصر "المنجتون هاوس" والبقعة الخضراء التي أشعلت فيها النار الجميلة التذكارية ، فقد كان يرجح كثيراً أن "مارك" نفسه ، أو جثته بقيت سجينة في بقعة ما تقع على هذا الطريق لعدة ساعات على الأقل .

واستقر رأيه على اكتشاف هذا السجن الجهنمي قبل أن يتقدم خطوة أخرى في بحثه .

وراح يستعرض ما قرأه عن المركيز "دي ساد" وتذكر أن الأطباء الثلاثة الذين شرحوا جثته قرروا أن جمجمته كانت من صغر الحجم بحيث يبدو لأول وهلة أنها جمجمة امرأة ، وتذكر أيضا أن المركيز أنجب ثلاثة أولاد "لويس ماري" و "دوناتين كلود أرمان" وابنة هي "مادلين لورا" .

الفصل الحادي عشر

لم يصرف "لوبين" وقتا طويلا في الحديث مع المفتش "ماك موران" بعد عودته إلى قرية هويتون ، ثم عكف على دراسة خريطة كان قد أحضرها معه لمقاطعة "نور ثمبرلاند" .. واستقل سيارته وانطلق بها إلى قصر "المنجتون هاوس" ، فدار حوله ، ثم أطلق السيارة ببطء شديد في طريق "بلساز" .. وكان يراقب الطريق بعناية شديدة باحثا عن المخبأ الذي بات يعتقد أن "مارك" أو جثته أخفي فيه لبضع ساعات على الأقل ، وانتهى أخيرا إلى البقعة الخضراء التي أشعلت فيها النار في قرية "توربث" دون أن يعثر على ضالته المنشودة .

كانت البقعة الخضراء مترامية الأطراف ، ولاحظ "لوبين" آثاراً واضحة للنار فوق الحشائش الخضراء ، وكانت هذه الآثار تمتد إلى مسافة بعيدة ، ولا عجب فقد كانت القرية نفسها تبعد حوالي ثلاثمائة متر عن حافة البقعة الخضراء . وهز "لوبين" رأسه في ملل ، ثم استقل سيارته وقد حزم أمره على أن يستعين بأحد الأشخاص الذين كانوا في "المنجتون هاوس" يوم الحادث في البحث عن المخبأ المنشود .

وراح يستعرض افراد المأساة .. وأخيرا استقر رأيه على التماس المعونة من الأنسة "شيلاج برنيز" وذلك لأنها أبعد هؤلاء الأفراد ربحا من موت "مارك" .. ومن ثم اتصل بها تليفونياً ، وحدثها عن ضالته .. وشد ما كانت دهشته وارتياحه عندما سمع الفتاة تقول :

- لست أعلم إن كان ما سأقوله لك سيفيدك في بحثك أم لا .. ولكني أعلم أن هناك كوخا عتيقا على مقربة من طريق "بلساز" .. ولا يبعد كثيرا عن قرية "هويتون" نفسها .

- هذا بديع يا آنسة .. أرجو أن تفيضي في الحديث عن هذا الكوخ .

فقالت الفتاة بعد صمت قصير :

- من الصعب أن أحدد لك مكانه يا سيدي لأنك غريب عن هذه المنطقة فلو كنت "أرنست هولدرنز" مثلا لما صعب علي الشرح لأنه ملم بكل بقعة في المقاطعة .. على العموم . سأحاول بكل ما في وسعي تحديد المكان ، إنك بالتاكيد تعرف البقعة التي يبدأ من عندها طريق "بلساز"

في الانحدار إلى أسفل .. وما أظنك إلا رأيت الدرجات الحجرية في هذه البقعة .. وأظن أنها تبعد ثلاثة أرباع الميل عن قرية "هويتون" .. فعلى الطريق المؤدي إلى الطريق المنتهي إلى خان "رايفلمان" .. وقبل أن تبلغ القنطرة الصغيرة المقامة فوق مجرى الماء ، يوجد منعطف إلى اليسار في اتجاه "توربث" ، لقد قلت منعطفا لأن المرء لا يكاد يتبينه إلا إذا كان يبحث عنه خصيصا ، فإذا سلكت هذا المنعطف ، وهو أيضا منحدر . ثم انعطفت يسارا ، وسرت مسافة قليلة بلغت الكوخ المنشود ، وهو كوخ مهجور ، كان صاحبه يستعمله فيما سبق لحفظ أدوات الزراعة .. ثم هجرد كما هجر المنطقة كلها .

وشكر "لوبين" الفتاة على هذه المعلومات الثمينة ، ثم استقل سيارته وانطلق بها في طريق هويتون ، فلما بلغ القنطرة التي تحدثت عنها الفتاة أوقف سيارته في بقعة خارج الطريق ، ثم مضى يبحث عن الكوخ المنشود حتى عثر عليه .

وما كاد "لوبين" يلقي نظرة واحدة على الباب حتى فرك يديه في جذل ذلك أنه رأى به قفلا جديدا وتقدم من الباب ، وأخذ يدفعه محاولا فتحه ، ولكن دون جدوى .

ولم تكن معه أدوات معالجة الاقفال ، كما لم يكن بالكوخ نافذة أو كوة ، فاشعل لفافة تبغ وأخذ يدور حول الكوخ ، باحثا منقبا ، وأخيرا ألقى باللفافة بعيدا ، ثم قفز إلى سطح الكوخ بوثبة رياضية بارعة ، وأخذ يزحف فوق السطح . وكان مغطى بطبقة من القار قد محي بعضها .. وتآكل الخشب من تحتها . وأخرج "لوبين" مديته ، وأعملها في أحد هذه الأجزاء المتآكلة حتى أحدث بها ثقبا ، وأطل منه إلى الداخل ، وظل يحدق في الظلام حتى اعتادت عيناه الرؤية فأبصر كومة من أغصان الأشجار وأوراقها الجافة ملقاة بجوار الجدار المواجه له ، وبعضها مبعثر فوق الأرض ، وبجواره طبق كبير وسجادة عتيقة

وفي الناحية الأخرى رأى "لوبين" جسما غريبا خيل إليه أنه يشبه خزانة حفظ الطعام ، وأمامه جسم آخر لم يستطع أن يتبينه تماما .

وفجأة . سمع "لوبين" صوتا خافتا من أسفل الكوخ ، فأسرع بالهبوط ، ولم يلبث أن سمع صوتا رقيقا يقول له :

- طاب مساؤك يا سيدي ؟ هل أصيب حبل الهواء بخلل ؟

وكانت مفاجأة لـ"لوبين" . ولكنه كان رجلا اعتاد مواجهة المفاجآت . ومن ثم فقد أجاب :

- آه ! طاب مساؤك ، لم أكن أعتقد أنني مراقب ، فهل قضيت وقتا طويلا في مراقبتي ؟

وكان المتكلم شابا وسيم الطلعة في مقتبل العمر ، فابتسم في وجه "لوبين" وأجاب :

- حوالي خمس عشرة دقيقة فيما أظن ، يبدو أنك كنت تبحث عن شيء فقد منك ، أليس كذلك ؟

- أصبت ، فقد فقدت حيوانا عزيزا علي ؟ أظنك تعرف الحيوان المسمى بالنمس وهو الذي يطارد الثعابين في الهند إنه كما تعلم حيوان ماكر سريع الاختفاء . وقد هرب مني ، وأظن أنه جاء إلى هذا الكوخ ونفذ إليه من أحد الثقوب الكثيرة في السقف .

فبهت الشاب .. واستطرد "لوبين" :

- إن هذا النمس ثمين جدا من وجهة نظري . لأن لي صديقا اعتادت الجرذان والثعابين أن تداعبه في فراشه كل ليلة ، وقد كنت أعيره هذا النمس حرصا على سلامته .

- يا للسماء !! إني لشديد العطف على صديقك التعس ! ألا تكف عن هذا العبث والهذر يا سيدي !

فقال "لوبين" في بساطة :

- إنك على حق يا مستر "هولدرنز" كيف حالك ؟ ألست أنت مستر "أرنست هولدرنز" ؟

الفصل الثاني عشر

أخذ الشاب بادئ الأمر ، ولكنه لم يلبث أن انفجر ضاحكا .. وأجاب :

- بلى ، أنا "أرنست هولدرنز" ، ولكن لا تحسب أنك الوحيد الذي لا يشق له غبار في الاستنتاج ، فقد استنتجت بدوري أنك الدكتور "ليفنجستون" .. أليس كذلك ؟

- نعم ، مع الأسف ، إنني أدعى "مارتن لوثر نجتون" ، وأما مهنتي فالتأليف ، وقد جئت إلى هذه البقعة لهدوئها ، إذ إنني أعتزم كتابة مؤلف جديد ، وسأقيم في خان "رايفلمان" ، وبهذه المناسبة أظنك محيرا كيف عرفتك ، ولكن الحقيقة يا صديقي أنني تعرفت إلى مستر "جوليان سكين" . وقد تلطف الشاب فدعاني لزيارته في "المنجتون هاوس" ، ومع أنني لم أقابلك هناك إلا أنني سمعت عنك ، فقد ذكرت الآنسة "برنيز" اسمك لي في معرض الحديث كما ذكرته الآنسة "هاليول" وهي الفتاة المسكينة التي كانت ستتزوج "مارك كنريستون" ، فلما رأيتك الآن استنتجت أنك مستر "هولدرنز" .

- إني أهنئك يا صديقي على براعتك في الاستنتاج ، ولكنك لم تحدثني بعد عن سبب تسلقك لهذا الكوخ .

- إنك تعرف بغير شك شذوذ الكتاب والمؤلفين .. ففي استطاعتك إذن أن تعزو فعلتي إلى هذا الشذوذ .

فهز "هولدرنز" كتفيه بغير اكتراث .. ولم يعقب على قول "لوبين" بشيء .

ودعا "لوبين" الشاب للركوب في سيارته ، ولكن "هولدرنز" اعتذر مفضلا السير على قدميه .. فتصافحا ، وافترقا فذهب كل في سبيله .

واستقل "لوبين" سيارته ، ولكنه لم ينطلق إلى الخان . وإنما قصد إلى "المنجتون هاوس" . حتى إذا اقترب من القصر انعطف بالسيارة إلى مؤخر القصر ، وهدأ من سرعتها ، وراح يحدق إلى الظلام كأنما يبحث عن شيء معين ، وسرعان ما رأى فتاة ترتدي معطفاً ثقيلاً وتحمل حقيبة صغيرة تقف عند حافة المنحدر القريب من مؤخر القصر فلما حاذتها السيارة ، أوقفها "لوبين" .

وقالت الفتاة :

- شانذي في انتظارك حسب الموعد الذي ضربته لي في برقيتك ، هل "جوليان" بخير ؟

ودعاها "لوبين" للركوب بجانبه ثم أطلق السيارة مبتعدا عن القصر وأجاب :

- اطمئني فإن "جوليان" بخير ولكن أخبريني هل استطعت إنفاذ ما أشرت عليك به في برقيتي فيما يتعلق بالآنسة "هاليول" ؟

فأومأت "هيلين كنريستون" برأسها وأجابت :

- نعم .. إن كل شيء على ما يرام . لقد صارحت الخالة "صوفي" بكل شيء .. ورسمنا الخطة معا ..

- هذا حسن ، وما رأيك في مقترحاتي ؟ هل توافقين عليها ؟

ففتحت الفتاة حقيبتها وهي تقول :

- سأطيعك طاعة عمياء ، وهذان هما المفتاحان اللذان تريدهما .. أما أكبرهما فمفتاح باب القصر الخلفي ، وأما الآخر فمفتاح باب غرفة نومي .. فعندما تعود إلى القصر .. اصعد الدرج في هدوء تجد غرفتي أمامك .

وكانا قد بلغا منزل "هاليول" ، فأوقف "لوبين" سيارته وهبطت "هيلين" وصافحته قائلة :

- أرجو أن يجنبك الله كل خطر .. فاذهب في حفظه وعنايته .

وبقي "لوبين" يراقب الفتاة حتى اختفت داخل المنزل ثم عاد أدراجه بالسيارة إلى "المنجتون هاوس" فأوقفها بين مجموعة من الأشجار الباسقة واستبدل بنعليه آخرين من المطاط ، ثم أوقف محرك السيارة وأطفأ مصباحها ، وتقدم من باب القصر الخلفي ، وعالجه بأكبر المفتاحين ، وولج القصر وأغلق الباب خلفه ، وصعد الدرج ، وقصد إلى غرفة "هيلين كنريستون" ، ففتح بابها بأصغر المفتاحين ودخل ..

وبقي "لوبين" ملازما الهدوء والسكينة بضع دقائق ، ثم أضاء مصباحه الكهربائي . وأداره في أرجاء الغرفة ليدرس معالمها .. وموضع قطع الأثاث . ثم حول اهتمامه إلى نوافذ الغرفة الأربع .. فرأى اثنتين منها في منتصف أحد الجدران وإلى جانب كل منهما

نافذة صغيرة .. وكانت النافذتان الأخيرتان مفتوحتين قليلا للتهوية . بينما أخذ النسيم يداعب الستائر الرقيقة التي كانت مسدلة فوقهما

وتقدم "لوبين" من الفراش . وما كاد يقترب منه حتى نفذت إلى خياشيمه رائحة عطرية لم يستطع أن يتعرف عليها على الرغم من سعة اطلاعه في هذه الناحية .

وخيل إليه أن الرائحة تتصاعد من الحشية . وتطلع إلى ساعته . ثم هز رأسه وحمل مقعدا صغيرا ، ووضعه على مقربة من النافذة اليسرى ، وجلس فوقه ..

وأخذت الدقائق تمر سراعا . وهو ملازم مكانه . ولم يلبث أن سمع الساعة تدق الثانية . ثم النصف . وعندئذ سمع صوتا صادراً من خارج القصر ، أشبه بوقع أقدام ، فجثا فوق الأرض ورفع رأسه حتى حاذى قاعدة النافذة ، ثم حدق في الظلام ، ولما لم يستطع أن يرى شيئا . جثا فوق الأرض .. وفي اللحظة التالية سمع حفيفا جديدا قريبا منه ورأى جسما صغيرا يتحرك فوق الأرض ، ثم يعتلي الفراش.

وأدرك "لوبين" أن لحظة العمل قد حانت فأضاء مصباحه الكهربائي بغتة وسدد أشعته نحو الفراش ولكن الجسم الغريب كان أسرع من الضوء إذ لم يلبث أن وثب فوق الأرض ثانية ، وركض نحو النافذة بسرعة هائلة ، ووثب فوق قاعدتها ثم اختفى في أعماق الظلام .

وساد الصمت مرة ثانية ، وبقي "لوبين" ملازما مكانه لعله يسمع صوت البوق ولكن دون جدوى . وبعد أن قضى "لوبين" عشر دقائق في الانتظار غادر الغرفة ، وهبط إلى الطابق الأرضي ومضى إلى غرفة المطالعة فلما بلغها لاحظ أنها في مواجهة غرفة المكتبة مباشرة .

•••

وأغلق باب الغرفة خلفه ، واستعان بمصباحه الكهربائي لتمييز معالم غرفة المطالعة وكانت غرفة عادية ، بها مكتب فوقه أدوات الكتابة ومقاعد قليلة وعدد من الكتب التي تبحث في الدمى والحفريات .

وتقدم "لوبين" إلى المكتب ، وأخذ يفتح أدراجه الواحد تلو الآخر، حتى عثر في أحدها على صندوق أسود صغير مصنوع من الأبنوس الثمين ، فدفعه الفضول إلى فتحه ، وشد ما كانت دهشته حين رأى

بداخله دمية صغيرة ، لم يلبث أن عرف فيها تلك الدمية المشهورة التي صنعها حفار أمريكي مشهور ، وأطلق عليها اسم "إدنا" وألبسها ثيابا حريرية نفيسة تغطيها فوطة قلبت حافتها حتى منتصف الجسم .

وتأمل "لوبين" الدمية في دهشة مفرطة . وأدرك أنها مفتاح المأساة . وعجب لماذا يحتفظ "إيوارت كنريستون" بهذا الأثر النادر ، ويحبس هذه التحفة عن الملأ ، بل وينفي ملكيته لها عندما ذكرت ابنته ذلك في معرض الحديث يوم زار القصر .

وتذكر "لوبين" العبارة التي جاءت في الرسالة المجهولة التي تلقتها "إيموجن هاليول" "ابحثي عن الفوطة المقلوبة" وهاهي ذي الفوطة المقلوبة موجودة في القصر الذي اختفى منه "مارك كنريستون" فبماذا يمكن تعليل ذلك ؟ .

ولم يجد شيئا يستحق الاهتمام في بقية الأدراج ، فغادر الغرفة ، ومضى إلى غرفة المكتبة وراح يبحث عن كتاب صغير له غلاف أزرق باهت ، ولم يلبث أن عثر على كتاب هذا وصفه اسمه "الدمى الفنية" نقلته "إليناي ميتكوف" عن المؤلفة الروسية "إيفانوفنا" .

والتقط "لوبين" الكتاب . وقلب صفحاته ولكنه لم يجد بينها ما يستحق اهتمامه فأعاده إلى مكانه وراح يفكر . وتذكر أن مستر "إيوارت" قرر أنه كان يطالع هذا الكتاب في الوقت الذي قالت "شيلانج برنيز" إنها رأت "جوليان سكين" يطالعه .

وتساءل لماذا يعمد رجل له مثل مكانة "إيوارت كنريستون" إلى الكذب، ثم هز كتفيه وتهيأ لمغادرة الغرفة وعندما حانت منه نظرة إلى أحد رفوف الكتب رأى كتابا آخر أزرق الغلاف بين مجموعة من الكتب المختلفة الألوان .

ورفع "لوبين" حاجبيه في دهشة مفرطة ، والتقط الكتاب ، ونظر إلى اسمه ، فإذا به ديوان شعر "هـ . راو" ، ويرجع تاريخ تأليفه إلى عام ١٧٩٦ .

وقلب "لوبين" صفحات الكتاب ، فزادت دهشته وابتسم .

وأخذ يعبث بالصفحات ، وشد ما كان ذهوله عندما رأى الصفحات تنقلب من تلقاء نفسها الواحدة تلو الأخرى ثم تتوقف عند صفحة

معينة كائنا من كثرة الاستعمال .

وكاد "لوبين" يطلق صيحة دهشة عندما رأى مقطوعة من الشعر ورد ذكر (الفوطة المقلوبة) فيها . وأدرك أن هذه المقطوعة هي أساس العبارة التي حيرته وقتا طويلا وأضاعت منه أياما ثمينة .

* * *

وعندما غادر "لوبين" القصر من بابه الخلفي ، وبحث عن سيارته لم يجد لها أثراً .

وابتسم ، ولم يجد مفراً من العودة إلى الخان سيرا على قدميه .

وشد ما كانت دهشته عندما رأى سيارته متروكة في البقعة التي تركها فيها عندما زار الكوخ المهجور ولم يتمالك "لوبين" من الإعجاب بذكاء غريمه ، وقوة شكيمته واستهانته بالمخاطر .

* * *

وأقبل اليوم الأول من شهر نوفمبر أخيراً . وزفت "هيلين كنريستون" إلى "جوليان سكين" . في جمع حافل من الأصدقاء .

وكان جميع أفرادماساة قصر "المنجتون" بين الحاضرين ، فيما عدا "مارك كنريستون" .

وبعد أن أتم الكاهن المراسم الدينية تقبل العروسان تهاني الحاضرين ، وغادرا الكنيسة بين مظاهر الابتهاج العميق .

الفصل الثالث عشر

وفي صباح اليوم الثالث من شهر نوفمبر جلس "لوبين" والمفتش "ماك موران" يتناولان طعام الفطور في خان "رايفلمان" .. وفي معرض الحديث اقترح المفتش على صديقه أن يعودا أدراجهما إلى لندن ، بعد أن أتم مهمته في المحافظة على "هيلين" و "جوليان" من كل خطر كان يتهددهما .. ولكن "لوبين" هز رأسه وقال متسائلا:

- كم أعجب كيف تطلب مني أن أعود إلى لندن ولم أفرغ بعد من تحقيق الغرض الأول الذي جئت من أجله إلى هنا ؟! ألا تعلم يا صديقي أنني بدأت أرى النور ينبثق ويضيء ما أظلم من أركان هذه القضية الغامضة .

وقبل أن يعقب "ماك موران" على عبارة صديقه أقبل "فير برازر" وأعلن أن مستر "برنشلي" ومستر "هولدرنز" يطلبان مقابلة "مارتن لوثر نجتون" .

ودهش "لوبين" وصديقه .. وسمحا للقادمين بالدخول .

وما إن تم تبادل التحية حتى افتتح "هولدرنز" الحديث بالاعتذار عن مجيئهما في هذا الوقت غير الملائم .. ثم قال :

- ولكن الظروف أرغمتنا على السعي إلى طلب معونتك العاجلة يا مستر "ديل" .

فقال "لوبين" :

- إذن فقد عرفت شخصيتي الحقيقية ؟! ولمن يعود هذا الفضل يا ترى ؟

- إلى الآنسة "سانت آلاري" .. لكن دعنا من ذلك الآن .. لأن الوقت أثمن من أن نضيعه في حديث لا طائل وراءه .

والتفت "هولدرنز" إلى رفيقه . وقال له :

- أرجو أن تقص على مستر "ديل" السبب الذي حملنا على المجيء .

فقال "برنشلي" :

- أظنكما تعلمان أن "هيلين" وزوجها يقضيان شهر العسل في منزل أختي الريفي في "كوينسل باي" .. ولكن أرى أن أبدأ القصة منذ

بدايتها ، ليسهل عليكما ربط الحقائق .. لقد جاءت "هيلين" إلى منزلي ليلة أمس ، وكانت بادية الفزع .. وقالت لي إن "جوليان سكين" قد اختفى . وتوقف الشاب عن الكلام ، وجفف العرق الذي انثال فوق جبهته .. فقطب "لوبين" حاجبيه وقال :

- أرجو أن تستمر في سرد قصتك يا مستر "برنشلي" ولا تبق صغيرة أو كبيرة دون أن تذكرها .

- لك ما تشاء يا سيدي .. قالت "هيلين" إن زوجها تلقى رسالة بعد ظهر أمس .. وقد عجبت لذلك أيما عجب لأنها كانت واثقة بأن أفراد أسرتها وأقرب أصدقائها هم فقط الذين كانوا يعلمون بمكانهما .. كما أكدت ثقتها من أن هذه الرسالة لم تكن مرسلة من أحد أفراد الأسرة .. واستطردت "هيلين" فقالت إن الرسالة سببت قلقا عظيما لـ"جوليان" ، ولو أنه حرص على أن ينفي ذلك عندما سألته ما خطبه .. وقد لاحظت "هيلين" أن زوجها شديد القلق . فايقنت أن ثمة حدثا جللا وقع له ، وأرادت أن تستخلص الحقيقة منه . ولكنه راوغها ، فلم يجد مناصا من التزام الصمت ، خاصة بعد أن لاحظت أنه أخذ يسترد رباطة جاشه بمرور الوقت ، وقد قالت لي "هيلين" عند زيارتها إن العبارة الوحيدة التي قالها لها زوجها . هي "أن جرائم الآباء تقع على رؤوس الأبناء الأبرياء" .

كما أقسمت أن زوجها كان في حالة من الفزع لا مزيد عليها .

ومضى الوقت سراعا ، وحان موعد العشاء ، وأخذا مجلسيهما حول المائدة في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة ، وشرعا يتناولان طعامهما في صمت تام ، حتى إذا بدأ الخدم يقدمون لهما الحلوى امتقع وجه "سكين" بغتة ، ورفع يده إلى حلقه وسأل "هيلين" ما إذا كانت قد سمعت صوتا من الخارج ، فأجابته بالنفي ، واستوضحته عن نوع الصوت ، وشد ما كانت دهشتها عندما سألها إن كانت قد سمعت رنين جرس قريب ، فأجابته بالنفي أيضا ، وعندئذ تمالك روعه بعض الشيء ، وأخذ يتحدث في شتى الموضوعات كأن شيئا ما لم يقع.

وفرغ الزوجان من تناول طعام العشاء في الساعة الثامنة إلا ربعا ،

وانتقلا إلى البهو . حيث طلب الزوج إلى الخدم أن ياتوهما بالقهوة كالعادة ، وقد حدثتني "هيلين" بان القلق عاود زوجها مرة اخرى . ولكنها لم تشا مضايقته ، فاخذت تطالع كتابا ، وبعد قليل قال إنه ذاهب لإحضار سيجار ، وغادر المكان تاركا الباب مفتوحا خلفه ، وسمعته "هيلين" وهو يعبر الردهة إلى غرفة التدخين وهي تقع بواجهة البهو الذي كانت "هيلين" تجلس فيه ، ثم لم تلبث أن سمعته يعود أدراجه إلى الردهة ، ويصعد إلى الطابق العلوي .

ومر حوالي ربع الساعة ، وعندئذ سمعت "هيلين" صوت البوق الجهنمي ، فاستولى عليها الفزع وجمدت في مكانها كالتمثال ، ولكن رعبها تضاعف عندما سمعت صرخة ثاقبة تدوي في اثر صوت البوق

وقد اقسمت لي أن زوجها هو الذي أطلق هذه الصرخة ، فدبت الحياة في جسمها بغتة ووثبت إلى الباب ، واستنجدت بالخدم فهرولوا إليها جميعا ، ولكن بعد تاخير طفيف ، فحاولت أن توضح لهم الموقف في كلمات ، ثم تقدمتهم إلى الطابق العلوي ، فلما بلغوه انطلقوا إلى غرفة نوم "سكين" ولكنهم لم يعثروا له على اثر .

- لحظة واحدة يا مستر "برنشلي" .. هل كان مستر "سكين" يرتدي بذلة المساء بعد طعام العشاء ؟

- قالت "هيلين" إنه كان يرتدي سترة العشاء ، ونعود إلى قصتنا .. قلت إنهم لم يعثروا على "جوليان سكين" في غرفته ، فغادروها واخذوا يبحثون عنه في باقي أجزاء الطابق العلوي فلما بلغوا الحمام رأت زوجته بقعا من الدم تلطخ الحوض ، ولكنها لم تكن تعدو قطرات معدودات كتلك التي تنزف من جرح تحدثه مدية ، او خنجر ، وفيما عدا ذلك لم يعثروا على شيء .

ولا أظنني بحاجة إلى وصف الفزع الذي استولى على المسكينة وقد قالت لي إن إحدى الخادمات أخذتها إلى غرفة النوم واجلستها فوق أحد المقاعد ، وبينما كانت تقدح زناد فكرها لعلها تهتدي إلى حقيقة ما حدث إذ حانت منها نظرة إلى الفراش ، ولاحظت أن إحدى حاشيتيه غير منتظمة كما يجب ، فتقدمت من الفراش لتستطلع جلية الأمر ، وتأملت الحشية فرات بقعا أخرى من الدم تلوث الجانب الآخر من

الحشية ومع أنها كانت قد حدثتني عن رائحة عطرية شمتها في مناسبة سابقة ، ولكنها لم تذكرها في هذه المناسبة .

* * *

وانصرف الزائران بعد ساعتين من قدومهما ، وأخذ "لوبين" يتشاور مع صديقه "ماك موران" وفجأة سأل المفتش :

- هل تعتقد أن "سكين" قد مات ؟

فتردد "لوبين" ثم أجاب :

- إن خطرا ما حقا يتهدده ، هذا ما أستطيع التصريح به الآن ولكننا سنعرف الحقيقة كلها بعد أيام قلائل !

* * *

وفي مساء اليوم ذاته تلقى المفتش "ماك موران" رسالة من أحد مساعديه ينبئه فيها بنتيجة مهمة كان قد عهد بها إليه بناء على طلب "لوبين"

وشرع "لوبين" يطالع الرسالة . وكانت محتوياتها كالآتي :

"سيدي العزيز ، لقد استطعت أن أظفر بالمعلومات التي تريدها إذ اتضح لي بعد البحث الدقيق أن اثني عشر منديلا مماثلة للمنديل الذي بعثت به إلي ، قد صنعت خصيصا لأحد العملاء في مصنع "بلومير" و "داوسن" في "هايماركت" خلال الأسبوع الأخير من شهر يوليو المنصرم وقد تحدثت إلى مدير المصنع فأخبرني أن هذا العميل زار المصنع في أحد الأيام ، ووصف له شكل المنديل الذي يريده وأمره بصنع اثني عشر منديلا منه ، أعني أن تكون مصنوعة من الحرير الأبيض . لها إطار أحمر عريض وفي أحد الأركان رسم نجم ونسر ممتلئ المنقار وتحته عبارة "دوناتين العظيم" .

وقد رفض العميل أن يذكر اسمه أو عنوانه ، وعندما حان موعد التسلم أتى بنفسه إلى المصنع ودفع الثمن وتسلم المناديل ، ثم انصرف لشأنه ، وقد بذلت مجهوداً كبيراً لعلي أستطيع الحصول على معلومات أكثر عن هذا العميل ، ولكن جهودي كلها ذهبت أدراج الرياح"

وإذ فرغ "لوبين" من مطالعة الرسالة التفت إلى صديقه وقال : هذا

مجهود مشكور ولو أنه غير مجد ، لقد بدأت على كل حال أرى خيطا طويلا من النور ، وبت أعتقد أننا على وشك مشاهدة الفصل الأخير من هذه المأساة الغامضة المعقدة .

*

وفي صباح اليوم التالي - أي ٤ نوفمبر - تلقى "لوبين" رسالة شاذة، جاءه بها "فير برازر" أثناء تناوله طعام الفطور .

وتأمل "لوبين" طابع الرسالة ، فإذا به صادر من مكتب بريد "هويتون" .. وأما العنوان فكان مطبوعا على الآلة الكاتبة .

استهل الكاتب رسالته بقوله : "إلى مستر "مارتن ديل" - أعظم مغرور في العصر الحاضر - أوجه هذه المعضلات الست وأنا واثق أنك برغم ما تدعيه من قوة الحجة ، والقدرة على الاستنتاج والاستنباط لن تستطيع الإجابة عن واحدة منها" .

وزادت دهشة "لوبين" عندما طالع الأسئلة الستة ، إذ كانت جميعها أسئلة دينية تتناول بعض القصص الواردة في الإنجيل ، ولاتمت بأية صلة لحوادث المأساة الغامضة ولكنها تنم عن نعرة إلحادية ذميمة . وأما التوقيع فكان "إيجل" .

وطالع "لوبين" الرسالة مرتين ، ثم علت شفتيه ابتسامة ساخرة .

وأقبل المفتش "ماك موران" في تلك اللحظة ، فقدم "لوبين" له الرسالة التي تلقاها ، فقرأها . ثم سأل :

- ومن يكون (إيجل) هذا ؟

فهز "لوبين" رأسه سلبا وأجاب :

- علم ذلك عند ربي ولكني أظنه اسما مستعاراً ، وعندي أن غريمنا الجبار يحاول ذر الرماد في عيوننا والسخرية منا ، والآن أخبرني هل استطعت أن تحصل على شيء من المعلومات من رجال البوليس المحلي؟

- نعم ، لقد عثر رجال البوليس على آثار عجلات سيارة خارج المنزل الذي كان يقيم فيه "سكين" وزوجته ، كما قرر بعض القرويين أنهم رأوا سيارة على مقربة من الدار ، ولا ريب أنها بقيت هناك حتى نقل إليها مستر "سكين" التعس ، ولكن البوليس لم يستطع الحصول على

معلومات اكثر .. والآن علام عولت ؟

- سوف ترى ، أعطني هذه الرسالة السخيفة .

والتقط "لوبين" قلمه .. وسجل العبارة التالية تحت توقيع (إيجل):

"ابحث عن الفوطة المقلوبة .. لقد اثرت حماستي ، فاعلم أنني عثرت على الفوطة المقلوبة .. والدمية الأثرية ، وهكذا بدأت النهاية وأخذت الجرذان تهرب من السفينة الغارقة - م . د"

ودهش "ماك موران" ، وسأل :

- ماذا بحق السماء ..؟!

فتألقت عينا "لوبين" .. وبدلا من أن يجيب عن سوال "ماك موران" . وضع الرسالة في غلاف اغلقه . وكتب عليه العنوان التالي :

"مسز هيلين سكين" - المنجتون هاوس - هويتون - نور ثمبرلاند

الفصل الرابع عشر

بعث "لوبين" برسالته إلى "هيلين سكين" مع رسول خاص .

ومضى النهار في هدوء ، ولما أقبل المساء ، ونشر الظلام جناحيه وقف "لوبين" يتأمل بعض القرويين الجالسين فوق المقاعد الخشبية المستطيلة التي كانت منثورة في فناء الخان .

وفجأة .. لاحظ على البعد أضواء تعلو وتخفت .. فادرك أن القرويين بدءوا يقيمون أحد احتفالاتهم الشعبية المحلية .

ونادى "لوبين" صديقه "ماك موران" ، ولفت نظره إلى السنة "النار الجميلة" التي كانت تتصاعد في الجو على مبعدة .. ثم قال:

- إليك العلامات الأولى يا "ماك موران" .. إليك التقاليد التي تتمخض عن الغدر والخيانة .

فقال "ماك موران" : إن ألسنة النار تبدو كمصابيح حمراء على الأفق، لعمري إني لم أر حرائق مفزعة كهذه .

واقبل "فير برازر" ومعه كهل ريفي .. قال إن الآنسة "سانت آلاري" قد عهدت إليه بإيصال رسالة إلى مستر "مارتن لوثر نجتون" .

ومزق "لوبين" الغلاف وشرع يقرأ الرسالة التالية بلهفة شديدة :

(عزيزي مستر "ديل" - أرجو أن تصفح عني لإزعاجك في مثل هذه الساعة ، ولكنني مرغمة أمام الحوادث السيئة على تخطي حدود اللياقة .. فإن أخوف ما أخافه أن يكون مكروه جديد قد حل بـ"هيلين" .. أظنك تعلم أنها أتت للإقامة في "المنجتون هاوس" منذ اختفى زوجها ، ولقد سارت الأمور في مجراها الطبيعي حتى ظهر اليوم ، عندما رأيتها تهبط الدرج إلى الطابق الأرضي وقد ارتسمت على وجهها علامات الانفعال الشديد ، والفزع المجسم ، فلما رأتني تقدمت نحوي وقالت إنها تلقت أنباء عن زوجها وأن عليها أن تذهب في التو ، ولما كانت الساعة بين الثالثة والنصف والرابعة بعد الظهر . فقد حاولت أن أثنيها عن عزمها حتى أتصل بك ولكنها رفضت الإصغاء إلي أو العمل بنصحي .. وانصرفت من المنزل وهي تحمل حقيبة يدها فقط وكان آخر ما قالته لي إنها لن تتأخر كثيرا - "صوفي سانت آلاري" .

وتحول "لوبين" إلى الرسول .. وصرفه . وعندما أغلق "لوبين" الباب تحول إلى "ماك موران" وقال :

- يبدو أن "هيلين" تلقت رسالتين بعد ظهر اليوم .. ومن ثم ينبغي أن نوزع قوتنا .

وأخرج "لوبين" خريطة لمقاطعة "نور ثمبرلاند" من جيبه . ونشرها فوق المنضدة ، ثم قال :

- انظر إلى هذا الطريق أيها المفتش ! إنه الطريق الذي يمر بهذا الخان .. وانظر إلى هذ المنعطف ! إنه يؤدي إلى قرية "توربث" التي تبعد عن هنا حوالي أربعة أميال .. وما أريده منك هو أن تستقل سيارتك وتنطلق إلى هذه القرية . وتنتظر عند حدودها وأما أنا فسأقوم بمهمة مماثلة في منطقة "باكثر" ، أعني سأنطلق إلى الكوخ المهجور لأنني أعتقد أن حادثا مهماً سيمثل على مسرحه ، وما أظن هناك حدثا أخطر في الدنيا كلها من الجريمة . وفوق ذلك فإنني أتوقع هناك لقاء زائر جاء إلى هذه البلاد من سومطرة .

وأخرج "لوبين" مسدسه من جيبه ، وحشاه بالرصاص ، ثم تقدم من الفراش وأخرج من تحته حقيبة كتلك التي يستعملها القصابون.

فصاح "ماك موران" مأخوذا :

- ما هذا يا "ديل" ؟

- إن هذه الحقيبة مملوءة بالعظام ، وفوق ذلك فإن بها ساطورا.

الفصل الخامس عشر

حنقت "هيلين سكين" عندما أبصرتها عمتها "صوفي" وهي تهرول إلى الخارج . إذ أدركت أن عليها أن ترضي فضول عمتها العنيدة ، ومن ثم صارحتها بالحقيقة كما أسلفنا ، ثم انطلقت إلى الكوخ المهجور الذي حدده لها مراسلها الغامض .

وغادرت الفتاة القصر ، ونفسها نهب موزع بين القلق واللهفة ، وبعد حوالي الساعة بلغت القنطرة الصغيرة ، ومرت بجوار مجموعة من الأعشاب الطويلة ، وعندئذ سمعت صوت تنفس إنسان فاستدارت على عقبيها ولكن بعد فوات الأوان ، ذلك أن رجلا وثب فوقها ، وأرغمها على السقوط فوق الأرض ، ثم لطمها فوق مؤخر رأسها ، ففقدت الوعي.

وعندما استردت وعيها ، أحست بصداع اليم في رأسها ، ولما فتحت عينيها ، لم تستطع أن ترى شيئا لأن عينيها كانتا معصوبتين وكانت يداها موثقتين .

وحاولت الفتاة أن تستجمع شوارد أفكارها ، وخالجها خاطر ملح ، مؤداه أنها لم تكن وحيدة ، ومع أنها لم تسمع حسا ولا حركة ، إلا أن هذا الشعور كان طاغيا ، ومن ثم عولت على محاولة قطع الشك باليقين، فتحركت قليلا . وعندئذ سمعت صوتا أشبه بالزفيف ، أعقبه صوت آخر كقرع السوط ، وبعد قليل سمعت صوتا ملازما للزفيف يقول صاحبه : إني آسف يا مسز "سكين" ولكن الظروف ترغمني على ألا أكون سخيفا معك في آخر لياليك في هذا العالم ، على أنني أعتقد أن هناك عزاء واحداً يمكن أن يخفف من وطأة هذه الآلام التي تقاسينها ، وذلك أن زوجك معك الآن ، وما لم تحدث معجزة فإنكما ستنطلقان من هذا العالم معا .

وأعقب ذلك ضحكة شيطانية مخيفة .. ولكن الأصوات كانت تبدو ضعيفة مختلطة في أذني الفتاة نظرا لأن العصابة كانت تغطيهما .
وانتفضت الفتاة ، وذهبت نفسها حسرات ولم تلبث أن سمعت زوجها يقول بصوت أجش يشف عن الخوف العميق :

- أيها الشيطان القاسي .. اصنع بي ما شئت ولكن دع زوجتي وشانها !

وسمعت "هيلين" صوت لطمة جبارة صمت "سكين" على أثرها .

وكان أخر ما سمعته قبل أن تفقد وعيها تلك الضحكة الشيطانية، ضحكة خيل إليها أنها سمعتها من قبل وبعد لحظات كان الكوخ المهجور طعمة للنار .

ورأى سكان قرية "توربث" ألسنة النار وهي تتصاعد إلى عنان السماء ، فأخذوا يحسدون سكان قرية "هويتون" على هذا الحريق العظيم . وبعد ساعة خمدت النار وتحول الكوخ وما بداخله إلى رماد .

الفصل السادس عشر

وأصبح صباح يوم ٥ نوفمبر .. ولا أثر لـ"مارك كنريستون" أو "جوليان سكين" أو "هيلين سكين" وبدأ أفراد المأساة يتوافدون على قصر "المنجتون هاوس" كأنما كانوا على موعد سابق ، أما مستر "إيوارت كنريستون" فكان يبدو مهدماً .. على وشك الموت .

وجاء "لوبين" وبرفقته "ماك موران" إلى القصر ، فاستقبلهما "هولدرنز" وقادهما إلى غرفة المكتبة .. وما كاد "كنريستون" يرى "لوبين" حتى نسي همومه ، ونهض يرحب بـ"لوبين" وهتف :

- يسرني أن تعود لزيارتي يا مستر "لوثر نجتون" .. كيف حالك؟ ومن هذا السيد ؟ إنني لم أشرف بمقابلته من قبل ؟

فقال "لوبين" باقتضاب وجفاء :

- إنني مدين لك بالاعتذار يا سيدي ، فإن اسمي ليس "لوثر نجتون" كما أوهمتك ، ولكني أدعى "مارتن ديل" ، وما جئت إلى هذه القرية إلا لأحقق حادث اختفاء ابنك "مارك" أو بعبارة أدق لأحقق حادث مصرعه .

وفتح الباب في تلك اللحظة وولجت "صوفي سانت آلاري" الغرفة، ولكن "لوبين" لم يتوقف في حديثه ، ومضى يقول :

- لقد عهد إلي بعض كبار موظفي البوليس بناء على تعليمات السير "أوستن كمبل" رئيس إدارة سكتلنديارد ، أن أفضي إليك ببعض أنباء جديدة ويؤسفني أن أقول إنها أنباء سيئة ، وهي تتعلق بابنتك "هيلين" وزوجها مستر "سكين" .

وتوقف "لوبين" هنيهة ، ولاحظ أن مستر "كنريستون" قد فر لونه، واضطربت أوصاله .

وقال الأب التعس :

- حدثني بما جئت من أجله يا سيدي فإنني على استعداد لمواجهة الكارثة !

فارتسمت علامات الرثاء والإشفاق على وجه "لوبين" ، ثم قال :

- يؤسفني أن أقول لك إن رجال البوليس يعتقدون أن مستر "سكين" وزوجته قد لاقيا حتفهما في الحريق الذي وقع أمس في كوخ مهجور

على مقربة من هنا .

وصرخت "صوفي سانت ألاري" صرخة ثاقبة ، بينما ابيض لون مستر "كنريستون" حتى حاكى وجهه وجوه الموتى ، ثم سأل :

- هل تعني أن جثتيهما قد وجدتا محترقتين في هذا الكوخ ؟

فأومأ "لوبين" برأسه . وأجاب :

- يؤسفني أيضا أن أقول إن النار قد التهمت الجثتين ولم تبق على شيء منهما غير عظام متفحمة .

- ومن أين إذن عرفتم أنهما جثتا "سكين" و "هيلين" ؟

فتحول "لوبين" إلى "ماك موران" ثم قال :

- لعل صديقي المفتش "ماك موران" يسمح بذكر التفاصيل التي تتلهفون بغير شك إلى معرفتها .

فقال "ماك موران" في صوت رصين :

- يؤسفني أن أقول إن الطبيب قرر أن بين بقايا الكوخ عظاما آدمية محترقة ، وقد عثر رجال البوليس المحلي على حقيبة يد مسز "سكين" خارج الكوخ ، وعندي أن القاتل انتزعها منها ، وسقطت منه أثناء إسراعه بالهرب .

وشمل الغرفة صمت رهيب ودفن رب الدار وجهه بين يديه ، وطرق الباب في تلك اللحظة ، ثم دخل كبير الخدم والتمس أن يتحدث إلى رب الدار ، فلما نهض إليه "كنريستون" قال له :

- إن مستر "برنشلي" والآنسة "برنيز" صديقة السيدة "هيلين" يريدان مقابلتك يا سيدي .

وقبل أن يحير مستر "كنريستون" جوابا ، أقبل "برنشلي" والآنسة "برنيز" ، وكان شرر الغضب يتطاير من عيني الشاب ، فلما رأى مستر "كنريستون" قبض على ذراعه بعنف ، وألقى عليه السؤال التالي في وحشية :

- هل حق ذلك النبأ الأليم الذي سمعت ؟ هل ماتت "هيلين" ؟

فأشار "كنريستون" إلى "لوبين" بيد مرتعشة ، وقال في صوت مبحوح:

- سله ، إنه يستطيع أن يخبرك بأكثر مما أستطيعه .

فتحول الشاب إلى "لوبين" وسأله في حدة :

- هل ماتت "هيلين" أم لا تزال على قيد الحياة ؟

ولم يجب "لوبين" ، وساد الصمت ثم تسلل "هولدرنز" و "ماك موران" من الغرفة .

الفصل السابع عشر

غاص "هوجو برنشلي" في أقرب مقعد إليه ، وقطع "لوبين" حبل الصمت بقوله :

- إن مستر "كنريستون" يبالغ كثيرا في تقدير المعلومات التي أعرفها، فما أعلمه لا يعدو أن يكون نبأ كوخ مهجور قد احترق في الليلة الماضية . وقد رؤيت النار من مسافة بعيدة وظنها الناس "نارا جميلة" أشعلت طبقا للتقاليد المعروفة في هذه البقاع ومن ثم فإن أحدا لم يعبأ بها ويعتقد رجال بوليس هويتون ان مستر ومسز "سكين" قد لاقيا حتفهما في هذه النار ، كما يعتقدون أنهما نقلا إلى الكوخ سرا وهما مشدودا الوثاق ، وأبقيا به فترة حتى ذهبا طعمة للنار .

فشهق "برنشلي" وغمغم بصوت أجش :

- إذن فإن الشائعة السارية في القرية صحيحة ؟!

وقال "لوبين" بعد قليل :

- لقد أبقي "مارك" سجينا في هذا الكوخ وفيه أيضا قطعت أزرار بذلته وجرد من بعض حاجاته الخاصة ، ولقد لاحظت أن القاتل كان يحرص دائما على ألا يدع سبيلا لأي عابر سبيل إلى دخول الكوخ فقد أحضر له قفلا جديدا وضعه على الباب .

فقال "برنشلي" في ضجر :

- إذا كنت ملما بهذا القدر الكبير من المعلومات . فهل هناك شخص تكتنفه ريبتك ؟ أعني هل عرفت شخصية القاتل ؟

وشمل الغرفة صمت عميق واشرأبت جميع الأعناق في انتظار جواب "لوبين" .

وأخيرا ألقى "لوبين" بالقنبلة التالية : نعم إني أعرف من هو القاتل ، بل إني أعرفه منذ وقت ليس بالطويل ، إن الشخص الذي قتل "مارك" في يوليو الماضي ، واعتدى على "جوليان" و "هيلين" وأحرقهما مع الكوخ ، رجل لا يعرف الرحمة ، إنه وحش يرتدي ثياب إنسان !

وفتح الباب في تلك اللحظة ، وأقبل "ماك موران" و "هولدرنز" من الداخل ، وعندئذ قال "أرسين لوبين" للمفتش :

- إذا كانت حالة مستر "سكين" تسمح له بسرد قصته فارجوك أن تحضره ، اكبر ظني أن جميع من في هذه الغرفة سيدهشون لرؤيته ، دعه يجلس في المقعد المجاور لمستر "هولدرنز" ، ثم قل لمستر "فير برازر" أن ينتظر قليلا .

وشهق جميع من في الغرفة من هول المفاجاة . وشد ما كان ارتياعهم عندما رأوا "ماك موران" يعود إلى الغرفة بعد لحظات ومعه "جوليان سكين" ، وكان الأخير يتوكأ على ذراع المفتش ويمشي ببطء وإعياء شديد ، بينما شد ذراعه اليسرى إلى عنقه واجلسه المفتش فوق المقعد الذي اختاره "لوبين" ، ثم طلب إليه أن يسرد قصته . وبدأ "سكين" يتكلم، وقال في صوت خافت ضعيف: يسرني أن أعود إليكم مرة أخرى أيها السادة ، لكن ، أين .. أين "هيلين" ؟

فقاطعه "لوبين" متسائلا :

- لقد كنت متعلقا بأهداب أمل طفيف وهو أن تكون "هيلين" قد نجت معك ، فهل أفهم من سؤالك أنها لم تنج ؟

فغمغم "سكين" في يأس :

- نجت معي ؟ كم كنت أود ذلك من صميم فؤادي ، إنني لم أرها منذ مساء أمس ..؟

- هل لك أن تخبرنا أين رأيتها لآخر مرة ؟

فقال "سكين" في صوت لا حيوية فيه :

- كان ذلك في الكوخ المهجور المقام على مقربة من طريق بلساز.. وإليكم القصة كلها .. إنكم تعلمون أننا ذهبنا لقضاء شهر العسل في منزل أخت مستر "برنشلي" وبعد ظهر اليوم الذي بدأت فيه الحوادث الأليمة تلقيت رسالة غريبة ولكني لم أولها كبير اهتمام، ولكن بينما كنا نتناول طعام العشاء خيل إلي أنني سمعت رنين جرس غريب ، ولما كنت أخشى الاعتداء على حياتي كما سمعت من مستر "مارتن ديل" . فقد ساورني القلق ، بيد أنني اطمأننت قليلا عندما سألت "هيلين" وقالت إنها لم تسمع أي رنين . ولما فرغنا من تناول الطعام ذهبنا إلى البهو ، ولم البث أن شعرت بالرغبة في التدخين فذهبت إلى غرفة التدخين لإحضار سيجار فلما غادرت الغرفة المذكورة سمعت رنين هذا

الجرس اللعين ثانية وكان صادراً من الطابق العلوي بغير شك . فادركت أنني كنت على حق ، وأن "هيلين" كانت مخطئة وعزمت على الصعود إلى الطابق العلوي ، ولكن شدما كانت دهشتي عندما لم أعثر على شيء غير عادي في جميع غرف الطابق العلوي ، ولما هممت بالهبوط إلى الطابق الأرضي سمعت صوتاً جعل الدم يجمد في عروقي سمعت صوت بوق على مقربة مني .. البوق الجهنمي .. وكلكم تعلمون ما معنى هذا الصوت وما سبب لنا من إزعاج ، وخشيت أن تسمع "هيلين" هذا الصوت فتصاب بصدمة مؤلمة ، وتلفت حولي وخيل إلي أن الصوت صادر من الحمام ، فتقدمت نحو الباب متحفزا ، وفتحته . وفي التو شعرت كأن مدية تقطع أصابع يدي ، فسحبتها على عجل وأطلقت صيحة دهشة ، وفجاة أحسست بشيء يلقى فوق رأسي ، ثم لطمني مهاجمي فوق رأسي ففقدت الوعي وعندما استعدت شعوري الفيتني في شبه كوخ وبجواري جرة بها ماء ، وبعض كسر من خبز جاف .

وكانت يداي مقيدتين ، ولكنني كنت قادرا على الانقلاب فوق بطني وبذلك استطعت أن أشرب من الجرة . وألتقط بعض كسر الخبز بفمي وقد بقيت ملقى فوق أرض الغرفة لعدة ساعات ثم سمعت وقع أقدام خارج الكوخ ، فظننت أن القادم سينقذني من محبسي ، ولكن خاب فألي ، إذ ما لبث الباب أن فتح ونفذ منه شبح مخيف جعل الدم يجمد في عروقي ذلك أن القادم كان يرتدي معطفا أسود . ويضع قناعا مماثلا فوق وجهه ، فادركت من فوري أنه غريمي ، وأنه جاء ليقتلني وزاد رعبي عندما بدأ هذا الشيطان يمطرني من شتائمه وسبابه ووعيده وينذرني بأنه لن يمضي وقت طويل حتى تلاقي زوجتي نفس المصير..

وصمت المتكلم قليلا ثم أردف :

- غادر معذبي الكوخ بعد ذلك ، وتركني وحيداً ، ولما كان الإعياء قد أخذ مني كل مأخذ فقد استسلمت للنوم ، ولست أدري بعد كم ساعة افقت ، ولكن الساعات أخذت تمر تباعا ولا جديد ، وأخيرا ، سمعت وقع أقدام مختلطة خارج الكوخ ، ثم فتح الباب بعد قليل وشد ما كان فزعي عندما رأيت زوجتي تجذب جذبا إلى الداخل .. وهي فاقدة

الشعور تماما .

وبعد قليل أفاقت التعسة من إغمائها ، ولكنها لم تستطع أن ترى شيئا لأنها كانت معصوبة العينين ، وإني اترك لكم تصور حالتي التعسة عند مارأيت زوجتي تعامل بمثل هذه القسوة والوحشية ولم أستطع دفاعا عنها . وخشيت إن أنا بدأتها الحديث أن أحدث صدمة سيئة في نفسها ، فلزمت الصمت مكرها ، وعندئذ بدأ القاتل يحدثها فقال لها إنني موجود معها في الكوخ ، وأن مصيرنا المشترك هو الموت المؤكد ، فرحت أتوسل إلى القاتل أن يعفو عن زوجتي . ولكنه لطمني فوق فمي ورأسي ، ثم اوقفني وهو يتوعدني بمسدسه وأمرني بالمسير.

فقاطعه "لوبين" :

- ومتى كان ذلك ؟ أعني من الناحية الزمنية ؟

- كان الوقت مساء .. أعني حوالي الساعة الثامنة .

- أشكرك .. استمر ..

- وجعلني هذا الوحش أسير ما يقرب من المائة ياردة ثم أمرني بالتوقف عند مجموعة من الأشجار الكثيفة .. والصق ظهري بإحدى هذه الأشجار ، وابتعد عني قليلا وأطلق علي النار ، ولكن حدثت المعجزة ولم تخترق الرصاصة قلبي كما كان القاتل يبغي بغير شك وإنما أصابت ذراعي . وشاء حسن حظي ألا أفقد قوة التفكير في هذه اللحظة الحرجة . فسقطت فوق الأرض وتظاهرت بالموت وانا ابتهل إلى الله أن يعمي عيني القاتل فيحسبني ميتا ، وقد كان.. ثم تركني ومضى لشأنه .

ولا أراني بحاجة إلى وصف حالة الإعياء والجوع الذي كنت أعانيه والألم الممض الذي سببته الرصاصة ، مضافا إليها علمي بأن الموت يتهدد زوجتي المحبوبة . وقد حاولت أن أنقذها .. فنهضت مترنحا ولكن لم ألبث أن سقطت فوق الأرض من فرط الإعياء .. وفقدت وعيي .

وعندما استرددت شعوري رأيت الكوخ شعلة من نار .. وبذلك فقدت أخر أمل في إنقاذ "هيلين" ، وتحاملت على نفسي .. وأخذت أزحف ببطء شديد حتى بلغت خان "رايفلمان" ، وقابلت "فير برازر" . فعاونني

على المجيء إلى هنا .
وإذ فرغ "سكين" من سرد قصته ، نهض "لوبين" واقفا وانتحى بالمفتش "ماك موران" في أحد أركان الغرفة . وتحدثا معا بضع دقائق .
ثم تحول المفتش إلى مستر "سكين" وقال له :
- أرجوك أن تجيب عن هذا السؤال ، ولكني ألفت نظرك إلى أنك تتحدث إلى ممثل القانون ، من تتهم بارتكاب جميع هذهَ الحوادث المروعة ؟
كانت اللحظة خطيرة ، فساد الغرفة صمت رهيب ، واشرأبت الأعناق وأخيرا تكلم "سكين" ، وقال في لهجة عميقة :
- إني أتهم "هوجو برنشلي" بارتكاب جميع هذه الجرائم المروعة !
وتقدم "لوبين" من "برنشلي" ، فقلب الشاب شفتيه في احتقار . بينما أسرع "هولدرنز" بالوقوف بجانب "لوبين" .
وكف المفتش ، ثم تحول نحو الباب وقال : ادخلي ؟
وفتح الباب ، ونفذت منه "هيلين كنريستون" ، كانت تترنح من فرط الإعياء فلما لاقت أول مقعد تهالكت فوقه .
وصاح أبوها غير مصدق عينيه : "هيلين" ابنتي ؟!
وصاح الجميع معربين عن فرط دهشتهم ، أما "جوليان سكين" فقد صعق ، وبدا كأنما فارقته حواسه .
وقال "لوبين" : يبدو أن الفتاة المسكينة على وشك الإغماء ، هلم وساعدني يا "سكين" على أن نذهب بها إلى مخدعها .
فنهض "سكين" وتقدم من زوجته ومال فوقها كيما يساعد "لوبين" على إنهاضها ، وفي التو أخرج "لوبين" قيداً حديديا من جيبه وأحاط به معصمي الزوج وقال :
- أيها المفتش ، وجه إلى هذا الرجل تهمة قتل "مارك فراين كنريستون" ، ومحاولة قتل "هيلين كنريستون" ، ثم اذهب به بعيدا عن عيني لأن رؤيته تؤذيهما فهو قاتل ومجرم خطر ، ولسوف تجد السيارة في انتظارك ، وقد أعطيت من بها الإرشادات اللازمة . حقا إن ذنوب الآباء تقع تبعتها على رؤوس الأبناء .
وصاح "سكين" بحقد : لعنة الله عليك من داهية ! .

الخاتمة

تحول "لوبين" إلى مستر "برنشلي" ، وقال له : أرجو أن تقبل اعتذاري عما سببته لك من إزعاج وقلق ولكن الظروف أرغمتني على اتخاذ هذه الخطوة الضرورية خشية أن يفلت هذا المجرم الداهية من أيدينا في أخر لحظة .

فجفف الشاب العرق الذي انثال فوق جبهته ، وهتف :

- أؤكد لك أنني مأخوذ حتى الآن يا مستر "ديل" ، واظن انه من الأوفق أن تشرح لنا هذه المعضلة العويصة منذ البداية .

فابتسم "لوبين" وقال :

- حسنا .. ولكني أرى أولا أن أبدأ بسرد قصة هذه الجرائم بالتسلسل ..

منذ يوم الأحد الثاني من شهر يوليو الماضي ، على أني أرى أولا أن أسأل مستر "كنريستون" كيف التقى لأول مرة بزوج ابنته؟

فقال رب الدار وكان قد استرد كثيرا من رباطة جاشه :

- إنني أعرف أسرته منذ أعوام طويلة أيام كان أبوه جاري ، وأؤكد لك أنني لم أرتب في الشاب في أحد الأيام .

- إذن فإن ما ساقوله لك سيكون بمثابة مفاجاة قاسية ، إن الرجل الذي عرفته باسم "جوليان سكين" ينحدر من أسرة فرنسية عريقة كان أحد أفرادها المركيز "دي ساد" المخيف ، الذي كان يعرف باسم "دوناتين" العظيم ، وأكبر ظني أنه من نسل ابنة "دي سانت" الوحيدة . "مادلين لورا" التي ماتت في "أشوفر" عام ١٨٤٤ ، وعندي أن "سكين" ورث كثيرا من الناحية العقلية عن قريبه المفزع .

فقاطعه "كنريستون" بقوله :

- إن هذا التصريح مدهش يا سيدي ، ولكني أذكر أن أبا الشاب قال لي ذات يوم إن أمه كانت فرنسية .

- لقد ورث "سكين" كثيرا من طباع المركيز "دي ساد" وأهمها كراهية الجنس الآخر . والغرور الشخصي . والجشع المادي ، فلما سمع بنصوص وصية المرحومة زوجتك مسز "كنريستون" سال لعابه ، وظن

أنه يستطيع افتراس "مارك" و "هيلين" ، ومن ثم بدأ يرسم خطته الجهنمية ببراعة منقطعة النظير ، واتخذ زفاف "مارك" نقطة أساسية للبدء بإنفاذ خطته لأنه كان يعلم أنه متى مات "مارك" قبل زواجه فسيعود نصف ثروته إلى "هيلين" أما إذا مات بعد ذلك فمن المحتمل كثيرا أن يكون الشاب قد أوصى بثروته لزوجته ، ومن ثم عول "سكين" على قتل "مارك" قبل زواجه ، وبدأ فعلا بإنفاذ خطته في الأسبوع الأول من شهر يونيو ، ولما كان حريق (النار الجميلة) التقليدي سيقع في اليوم الرابع من الشهر فقد أيقن المجرم أن الفرصة سانحة لإنفاذ ماربه ولكنه رأى أن يضيف إلى خطته بعض الرتوش فلجأ إلى عملية نفخ البوق وإزعاج الآنسة "هيلين" من نومها أثناء الليل ، أما البوق فكان بوق صيد عاديا ! استعاره أولا ، ثم سرقه ثانيا من "فير برازر" صاحب خان "رايفلمان" ، وأما الإزعاج فكان يتوسل إليه بشيء أخر ساشرحه فيما بعد وتدليلا على براعة هذا المجرم الخطر ، أذكر لكم ما حدث يوم اختفاء "مارك" ، كلنا يعلم أن الآنسة "برنيز" ومستر "هولدرنز" قد مرا بـ"سكين" وهو جالس فوق أحد المقاعد في الحديقة ، وبيده كتاب يطالعه ، ولقد حرص الرجل على أن يكون غلاف الكتاب ذا لونين يجتذب الأنظار .

وكف "لوبين" عن الكلام ثم غادر الغرفة ولما عاد كان يحمل كتابين وثلاثة طرود .

واستانف سرد قصته ، فقال : أرجو أن تقارنوا بين غلافي هذين الكتابين . إنهما من نفس اللون تقريبا ، ولكن أحدهما هو كتاب (الدمى الفنية) والآخر (ديوان شعر راو) .. ففي اليوم الثاني من شهر يوليو كان مستر "كنريستون" يطالع الكتاب الأول بينما كان "سكين" يطالع الثاني ، ولكنه ادعى أنه كان يطالع الأول ، وقد حرص على أن يرى مستر "هولدرنز" والآنسة "برنيز" الكتاب في يده لكي يؤكد أنه كان يطالعه يوم الحادث ، وبذلك يستطيع أن يبرئ نفسه ويلقي الريبة على مستر "كنريستون" .

ولكن خاب فاله ، فإنني ما كدت أرى الكتابين حتى عرفت لب المكيدة وزادها وضوحا أنني عثرت على عبارة (الفوطة المقلوبة) في ديوان

الشعر ، وهي نفسها العبارة التي سجلها كاتب رسالة مجهولة وردت إلى الآنسة "إيموجن" عقب اختفاء خطيبها ، أضف إلى ذلك أن "سكين" كان يعلم أن مستر "كنريستون" يحتفظ بالدمية التاريخية (إدنا) ولهذه الدمية فوطة مقلوبة فلما طالع العبارة السالفة لاقت هوى من نفسه ، فسجلها في رسالته إلى الآنسة "إيموجن هاليول" .. تلك الرسالة التي تلقتها الآنسة داخل طرد به بعض حاجات "مارك" الخاصة والتي كانت تحتوي على تواريخ ثلاثة .. وقد قصد من ذلك أنه إذا ما ظهرت العبارة المذكورة وعرف أصلها فستقع الريبة كلها على كاهل مستر "كنريستون" ..

أعود الآن إلى يوم الأحد التاريخي ، كان "سكين" قد ضرب موعداً لـ"مارك" ليقوما بجولة رياضية ، وقد رافق "سكين" الشاب إلى الكوخ المهجور ، وهناك باغت الأول رفيقه إما بالقتل أو بالتخدير على كل حال ، بقيت جثة "مارك" في الكوخ إلى أن نقلها "سكين" بالسيارة تحت جنح الظلام إلى قرية "توربث" ووضعها بين الأخشاب التي أعدت للحريق .. وأخفاها بعناية .. وقد حرص على أن يقطع أزرار بذلة "مارك" ويجرده من جميع حاجياته الخاصة كي لا يعثر عليها مصادفة في بقايا حريق "النار الجميلة" .

وقد عمد الرجل إلى حيلة جهنمية يستطيع بها إثبات براءته القاطعة إذا تطرق الشك في نفس أحد من ناحيته .. أتذكر يا مستر "هولدرنز" أنك لوحت له بيدك عند عودتك والآنسة "برنيز" من رياضتكما؟

- نعم أذكر ذلك تماماً .

- هل رد "سكين" تحيتك ؟ أرجو أن تفكر مليا قبل الإجابة .

فقطب "هولدرنز" حاجبيه ثم أجاب : لست أذكر أنه فعل ذلك .. ومع كل فقد كانت المسافة بيننا غير قصيرة .

فابتسم "لوبين" وقال :

- إني أرجح أن "سكين" لم يكن جالسا فوق المقعد في تلك اللحظة . لأن التخلص من "مارك" اقتضى منه وقتا طويلا .. وعلى ذلك فإنك لوحت إلى قبعته التي وضعها فوق عصاه بحيث يظهر جزؤها الأعلى

فقط من فوق مؤخر المقعد .. وتاييدا لهذا الرأي أذكركما بانه لم يات لتناول الشاي إلا بعدكما بنصف ساعة..أليس كذلك يا آنسة "برنيز" ؟

فاومات "شيلا" براسها .. واستطرد "لوبين" :

- ننتقل الآن إلى الشطر الثاني من الخطة .. بقي عليه بعد ذلك أن يتخلص من "هيلين" .. ولكن الرجل كان بعيد النظر كما قلت . فجاءني وعهد إلي ببحث القضية .. وقد أرغمتني الظروف منذ البداية على مصارحته .. ولكني فخور بانني استطعت التغرير به على طول الخط . فلم يدر بباله في أحد الأيام أنني له بالمرصاد . ويؤسفني أن أقرر أن الظروف أرغمتني على أن أدع الزفاف يتم في موعده .. وذلك لكي أوهمه بانني لا أرتاب مطلقا في أمره .. وزيادة في الحيطة أوهمته بأنني أخشى أن يعتدي أحد على حياته ورجوته أن يقيم معي في خان "رايفلمان" فوافق .. كما أوهمته أيضا بانني ساحافظ على حياة زوجته المستقبلة على قدر استطاعتي .. ولكنني كنت أعلم أن الخطر الذي يتهدد "هيلين" سيظل قائما بعد زفافها ، على عكس أخيها .. لأنها بلا شك كانت ستكتب وصيتها عقب زفافها تحت تاثير "سكين" وتهبه فيما بعد كل ثروتها ، أليس كذلك يا سيدتي ؟

وأؤمات "هيلين" براسها ، واستطرد "لوبين" :

- هذا ما خشيته ، فلما تم الزفاف ، انتقل الزوجان إلى منزل آل "دانكلاي" في الريف وهناك افتعل "سكين" الهجوم الذي شن عليه بعد أن أثار من حوله جوأ من الاضطراب والتوتر العصبي ، فجرح يده بموسى ثم صعد إلى الطابق العلوي ، ونفخ في البوق اللعين ، بعد أن ترك آثار دمه في الحمام . وفوق الحشية ، فلما صعدت زوجته ، والخدم للبحث عنه كان قد استطاع الاختفاء .

وتحول "لوبين" إلى "هيلين" وسالها :

- هل لك أن تحدثيني كيف نجح في استدراجك إلى الفخ ؟

فاجابت "هيلين" :

- تلقيت مكالمة تليفونية مؤداها أنني إذا أردت أن أنقذ حياة زوجي فينبغي أن أبادر بالذهاب إلى الكوخ المهجور ، فلما ذهبت أنقض علي شخص من الخلف ، ولطمني فوق راسي . فاغمي علي . فلما أفقت

وجدت نفسي في الكوخ المخيف .
- هكذا استنتجت وكنت قد ركزت كل شيء في ليلة السبت الرابع من شهر نوفمبر ، وهو التاريخ الذي ورد ذكره في رسالة "سكين" إلى الآنسة "إيموجين" ، والذي كان "سكين" يعتزم فيه ارتكاب جريمته الثانية ، ولما جاءتني رسالة الآنسة "سانت آلاري" ايقنت أن الرجل يتحفزللعمل ، وأنه استدرجك إلى الشرك ، ولما كنت أعلم أن كثيرا من النيران الجميلة ستشعل في هذه الليلة ، فقد ايقنت أن "سكين" يعتزم إما إحراق جثتك في الكوخ المهجوردون أن يخشى افتضاح أمره لانهماك أهل القرية في النيران الأخرى أو انه سيحاول نقل جثتك إلى قرية "توربث" ويضعها بين الأخشاب كما فعل بجثة "مارك" ، ومن ثم بعثت بـ"ماك موران" إلى قرية "توربث" . وانطلقت انا إلى الكوخ المهجور . وظللت أراقبه عن كثب حتى رأيت "سكين" يخرج منه وهو يحمل صفيحتين من البترول سكب محتوياتهما فوق جدران الكوخ وسقفه من الخارج ، ثم تطلع إلى ساعته ، وكانما أدرك أن الوقت لا يزال مبكرا لارتكاب جريمته فمضى في طريق "بلساز" على أن يعود إلى الكوخ بعد قليل لإنفاذ آخر قسم من خطته الجهنمية .

وحينئذ أتيحت لي الفرصة فتقدمت إلى الكوخ وعالجت فتحه ، ثم حملت مسز "سكين" إلى مكان آمن ، وأخذت بضعة أشياء معينة من الكوخ وأشعلت النار فيه ، وأنا مدرك أن "سكين" سيعتقد أن شرارة من إحدى حرائق "النار الجميلة" الكبيرة قد طارت وأشعلت فيه النار .

وقد صح ما توقعته وقد ذهب "سكين" إلى خان "رايفلمان" وهو يمسك بذراعه التي جرحها خصيصا لتأييد القصة التي اخترعها.. وكان "سكين" يعتقد أنه أصبح أرملا .. إلى أن صدمته الحقيقة المرة بظهور "هيلين" المباغت ..

وهنا سألت "صوفي" : وكيف ارتبت في أمر "سكين" لأول مرة يا مستر "ديل" !

- عندما جئت إلى "هويتون" كنت حريصا على أن أظل خالي الذهن من كل شيء ، ولكني كنت أملك دليلين ضعيفين ضد "جوليان سكين" .. أولهما غرامه الشديد بالمال ولذلك سببان . أحدهما مجيئه سائرا على

الأقدام إلى منزلي على بعد المسافة بين المنزل والمحطة . والأخرى تزكيته خان "فير برازر" لإقامتي بقوله إن الرجل يتساهل كثيرا في معاملته المادية .. أما السبب الثاني فثقتي المطلقة بأنه كذب علي .. وقد رجحت أن يكون المال هو الدافع له علي ارتكاب الجريمة .. ولما أردت التأكد من كذبه .. سألته ألم يتبعه أحد عند قدومه إلى منزلي .. فأحرج واضطر أن يخترع قصة واهية لم تجز علي .. وبذلك وضعته على رأس قائمة المشبوهين .. فلما جئت إلى الخان وأقمت فيه حدث أمر آخر زاد ريبتي .. وعندي أن الرجل أراد منذ البداية أن يضعني تحت رقابة مشددة فاتفق مع "فير برازر" على أن يتناول طعام العشاء في الليلة الأولى في الغرفة المجاورة .. وبالتأكيد كنت أجهل هذا الاتفاق .. وقد طالت حيرتي في معرفة الشخص الذي حمل إليه "فير برازر" الطبق الإضافي الذي كان موضوعا على المائدة وعلى كل حال فإنني أعتقد أن "فير برازر" كان يرتاب في "سكين" عقب ضياع بوق الصيد .

أما مادعم ريبتي فيه فحادث وقع ليلة أن خرجت لإلقاء رسالة في صندوق البريد .. إذ ما كدت أغادر الخان حتى سمعت صوت البوق على مقربة . فأدركت من فوري أن "سكين" أرادني على أن أسمعه .. ولما كنت أعلم أن لا أحد غيره والآنسة "سانت آلاري" يعلم بإقامتي في الخان .. فقد تسربت الريبة الشديدة إلى نفسي من ناحيته .

وتحول "لوبين" إلى مستر "إيوارت كنريستون" وقال : قد يهمك أن تعلم أنني والآنسة "هيلين" دبرنا مؤامرة صغيرة فيما بيننا .. كان من نتيجتها أن قضيت ليلة في مخدعها . بينما قضتها هي مؤقتا في منزل الآنسة "هاليول" . وقد التجأت إلى هذه الحيلة لثقتي من أن "سكين" سينتهز فرصة غيابي عن القرية ليضيف حلقة جديدة من حلقات الذعر التي كان يحيط بها "هيلين" وقد زارني (المزعج) فعلا في تلك الليلة !

ونهض "لوبين" ، وتقدم من المنضدة التي كانت توضع فوقها الطرود، وأزاح اللفائف عن أكبرها .. وأخرج منه صندوقا كبيرا به ثقوب للتهوية ثم قال : اسمحوا لي أيها السادة والسيدات أن أقدم لكم جرذاً

ضخما من سومطرة .. إنه غير مؤذ . فلا تخشوا شيئا منه إذا فر من سجنه .. لقد حصل عليه "سكين" إبان إحدى رحلاته خارج البلاد .. واحتفظ به تحت فراشه في الكوخ المهجور ليستعين به على إنفاذ مآربه .. فكان يأخذه إلى القصر ويحتفظ به تحت فراشه في الليالي التي يرى الاستعانة به فيها .. على أن المهم في ذلك أن "سكين" عود الجرذ على تتبع نوع معين من الروائح العطرية .. ولهذا كان يعمد إلى سكب بعض نقط من هذه الرائحة فوق وسادة "هيلين" في الليلة الموعودة فيذهب الجرذ في أثرها .. ويمر فوق وجهها فتهب من نومها مذعورة . وقد حرصت على إنقاذ هذا الجرذ من النار ليكون أحد أدلة الاتهام .

وكان للحظ نصيب كبير في كشف النقاب عن هذه الحوادث الغامضة. من ذلك أن مستر "برنشلي" رأى أن يطلق على جواده الذي ربح سباق كمبردج شير اسم "بال فير" (أى النار الجميلة) ولولا هذا الاسم لما تفتحت عيناي إلى عادات هذه البقاع . .

ولما عرفت أن اسم أبى الجواد "هورن بلوار" أي نافخ البوق .. فلقد أوحيا إلي بالكثير فيما يتعلق بموت "مارك" . ثم جاءت الحوادث فيما بعد مؤيدة لنظريتي . وبدأت أفطن إلى تسلسل الحوادث في عقل "سكين" وكيف ربطها ببعضها في حذق وبراعة .. وكذلك تدخل الحظ في الموقف عندما أقدم "سكين" على ارتكاب هفوة كبيرة استغلتها الآنسة "سانت آلاري" أحسن استغلال وأفدت أنا منها فائدة لا تقدر .. وأعنى المنديل الذي سقط منه بينما كان الجرذ يؤدي مهمته في إحدى الليالي فالعثور على هذا المنديل جعلني أتتبع مصدره ، وبالتالي الم بقصة المركيز "دي ساد" .

ولا شك لدي في أن "سكين" كان فخورا بقرابته لـ"دي ساد" وإلا لما لجأ إلى أحد المصانع وطلب إلى مديره أن يمده باثني عشر منديلا تحمل شعار جده الأكبر .. ولقد حاول الرجل أن يضللني فبعث إلي برسالة تحتوي على ستة أسئلة دينية بحتة تنم عن روح إلحادية شنيعة ، ولكنه كان يجهل أنني قرأت هذه الأسئلة في أحد مؤلفات "دي ساد" .. فما كدت أقرؤها حتى تلاشى من ذهني كل شك يتعلق بقرابته للمركيز

وقد أعدت هذه الرسالة إلى الآنسة "هيلين" بعد أن سجلت تحتها ملاحظاتي الخاصة . ولما كنت أعلم انه سيحاول أن يضرب زوجته الضربة الأخيرة في أقرب فرصة مستطاعة فقد رجحت انه سيعثر معها على الرسالة .

فقاطعته "هيلين" قائلة :

– أؤكد أن هذه الرسالة حيرتني كثيرا .

– ثم مسألة أخرى أخيرة يا مسز "سكين" .. لقد كنت تعتقدين أن زوجك سجين معك في الكوخ ، ولكن الواقع انكما كنتما وحيدين في الكوخ .. وما الدور الذي لعبه زوجك إلا دور يدل بوضوح على ذكائه النادر المفرط .. انظروا ..

ونهض "لوبين" إلى الطرد الثاني ، وأخرج منه أسطوانة جاك .. وقال لقد أعد الرجل هذه الأسطوانة منذ شهور . وأظنه قال للشخص الذي ملأها إنه يريد أن يسجل دوره في إحدى المسرحيات .. ولا أظن انه تبادر إلى ذهنك أن الصوت المنبعث من الحاكي كان صوت زوجك لأن العصابة كانت موضوعة فوق أذنيك .. وبينما كان الحاكي يتكلم كان هو نفسه يلعب دور الزوج السجين.

فسأله "هولدرنز" : وكيف طرأت فكرة الكوخ ببالك يا مستر "ديل" .؟

– تذكرون أن "مارك" اختفى يوم الأحد ٢ يوليو .. ولكن حريق "النار الجميلة" لم يقع إلا في اليوم الرابع .. ومن ثم فقد اعتقدت أن جثته خبئت في مكان ما خلال هذه الفترة .. ورجحت أن يكون هذا المكان كوخا قريبا ، فلما استفسرت مس "برنيز" .. أمدتني بمعلومات كانت هي فصل الخطاب .

– وأين كان "سكين" في الفترة الواقعة بين اختفائه المزعوم وليلة أمس ؟

– مختبئا في إحدى القرى المجاورة فيما أعتقد .. وبهذه المناسبة ، سأذكر لكم حادثا طريفا وقع لي ليلة أن اختبأت في غرفة الآنسة "هيلين" .. وذلك أنني تركت سيارتي خلف المنزل .. ولما افتقدتها لم أعثر عليها .. بيد أنني عثرت عليها متروكة على مقربة من الكوخ المهجور فادركت من فوري ان "سكين" استعان بها في إعادة الجرذ إلى الكوخ ..

وأكبر ظني أنه اعتقد أنها سيارة "برنشلي" .

فسأله "برنشلي" :

- لكن لماذا حاول أن يتهمني بارتكاب هذه الجرائم المروعة .؟

فالتفت "لوبين" ناحية "هيلين" .. وقال : سلها عن الجواب !!

"تمت"

الفصل الأول

فتاة مجهولة

كان من رأيه دائما أن الإنسان هو الذي يخلق مشاكله بنفسه ... وهو الذي يخلق بخيالاته وأوهامه الأسرار التي يحير بها نفسه .. وإن الحياة في الواقع أقل تعقيدا مما يتصور الإنسان .

بيد أنه لم يسعه إلا الشعور بالدهشة والعجب حين فتح باب غرفة المكتب .. ورأى أمامه فتاة في مقتبل العمر لم يسبق له أن رآها أو عرفها ..

هتف قائلا وعلى شفتيه ابتسامة :

- يا إلهي .. هاهي مفاجأة ظريفة .

وكان النور الكهربائي يسطع في غرفة المكتب كما كان يسطع في بهو الشقة فوقع بصر "راؤول" على وجه جميل تكلله ثروة من الشعر الأشقر كتلك الوجوه التي تتراءى في الأحلام العذبة .. ورأى قامة رشيقة متناسقة الأعضاء ..

اطمأن "راؤول" إلى أنه أمام مخلوقة جذابة ساحرة .. يلذ له أن يأنس بحديثها .. على أن نظرة ثانية منه إلى وجهها الصبوح كانت كافية لأن تشعره بأنه كذلك أمام مخلوقة حزينة مكتئبة ..

* * *

كان "راؤول" معروفا بظرفه ورقته .. ودماثة خلقه .. وكان لهذه الصفات جميعا محبوبا من النساء .. فطالما غمرنه بعطفهن .. ومنحنه سويعات من أمتع ما مر به في حياته .. وقد حسب عندما رأى هذه الحسناء الصغيرة أنه أمام إحدى الفتيات المغامرات اللائي يطيب لهن قضاء سهرة مع شاب رأينه مرة فأعجبهن .. ولم يجد "راؤول" ما يمنعه من قبول هذه المغامرة . ولكنه قال وهو يبتسم :

- إنني لا أعرفك ولم أرك قبل الآن .. أليس كذلك يا سيدتي ؟

فأومأت برأسها علامة الإيجاب .. فمضى يقول :

- فكيف بحق السماء استطعت دخول هذه الشقة ؟

فلم تجب الفتاة .. وقنعت بأن فتحت كفها فإذا بها مفتاح صغير .
هتف قائلا :

- هذا مفتاح باب شقتي .. ذلك في الحق عجيب ..

وازداد اقتناعه بأنه لابد قد أسر لب الفتاة فجاءته من تلقاء نفسها غنيمة سهلة .. وعشيقة راضية مستسلمة ..

تقدم إليها خطوة .. وهو معتزم الا يفلت من يده هذه الفرصة البديعة .. ولكن الفتاة تراجعت إلى الوراء في الحال .. : وارتسمت على وجهها علامات الذعر والفزع ..

قالت بصوت أجش :

- لا تدن مني .. إني أمنعك من الاقتراب ، ليس لك حق في أن...

ولم تتم جملتها .. وارتسم الذعر والهلع على وجهها .. وانفجرت تبكي وتضحك في وقت واحد .. كمن وقع فريسة نوبة عصبية حادة..

أخذته الشفقة بها .. وقال لها في صوت اجتهد أن يجعله هادئا مطمئنا :

- هدئي من روعك واطمئني يا سيدتي .. فلن ينالك مني أذى .

إنك لم تدخلي هذه الشقة لتسرقي .. أليس كذلك ؟ ولم تجيئي كذلك لتطلقي علي رصاصة من مسدسك الصغير ؟ وإذن فليس هناك ما يدعوني إلى إيذائك .. والآن أجيبي .. ماذا تريدين مني؟.

فبذلت الفتاة جهدا كبيراً لكي تسيطر على عواطفها .. ثم غمغمت قائلة :

- إنني جئت ألتمس المعونة .

- ولكن مهنتى ليست إغاثة الناس ..

- بل هذه هي مهنتك .. وكل محاولة تقوم بها تتكلل بالنجاح .

- يا لله .. هذه صفة جديدة عجيبة تخلعينها علي .. ولكن هل إذا حاولت أن أحتويك بين ساعدي وأضمك إلى صدري تتكلل محاولتي بالنجاح ؟

فكري في الأمر مليا .. سيدة صغيرة حسناء مثلك .. تجيء من تلقاء نفسها إلى غرفة رجل عزب في مثل هذه الساعة المتاخرة من الليل .. اعترفي في صراحة بأن لي في مثل هذه الظروف كل الحق في أن

اتصور ..

واقترب منها مرة اخرى .. فلم تتراجع .. ولم تنفر .. وتناول يدها .. وضغطها بين يديه . وأخذ يربت على ساعدها العاري . وخيل إليه انه إذا ضمها إلى صدره في تلك اللحظة فإنها لا تقوى على دفعه .. لفرط انزعاجها وضعفها بتاثير الاضطراب الذي استولى عليها .

مد يده وحاول أن يختصرها .. ولكنها لاحظت ذلك .. وارتسمت في الحال على وجهها البريء علامات الذعر والأسى .. ... والتوسل .. فسقط ساعده إلى جنبه .. وغمغم معتذرا :

- أرجو الصفح يا سيدتي .

فقالت بصوت خافت :

- إنني انسة ..

ثم استطردت على الأثر :

- نعم .. اعلم أن إقدامي على اقتحام شقتك .. ووجودي هنا في مثل هذه الساعة .. من شانه أن يثير اشمئزازك واحتقارك .

فقال وهو يبتسم :

- احتقاري ؟ ! حاش لله .. إنني من اعرف الناس بأخلاق النساء ولكن الواقع ان رأيي فيهن يختلف بعد منتصف الليل .. فانظر إليهن بغير العين التي انظر بها قبل ذلك .. فاتصور أشياء تنبو عن الذوق واللياقة .. وعلى ذلك فإنني أسألك المعذرة مرة أخرى .. فقد أسأت الظن فهلا صفحت عني ؟ هل انت ناقمة علي ؟

فأجابت :

- كلا ..

فتنفس الصعداء . وهتف :

- ياللّه ما أجملك .. مما يؤسف له انك لم تجيئي للغرض الذي تصورته .. وان غرضك من الزيارة هو الاستعانة برايي في أمر ما كما يستعين البعض باراء (شرلوك هولمز) في منزله بشارع (بيكر).

تكلمي يا آنسة إذن .. واوضحي لي غرضك بإسهاب .. إنني على استعداد لمعاونتك .. وهانذا اصغي إليك .

وأجلسها على مقعد أمامه .

وعلى الرغم من الطمأنينة التي أشعرها بها في صوته الهادئ ووجهه الباسم . فإنها ظلت شاحبة اللون .. متجهمة الوجه .. وإن كانت الثقة قد ارتسمت في عينيها الصافيتين .. اللتين تشبهان عيون الأطفال قالت له :

- أرجو المعذرة .. فإنني في أشد حالات الانزعاج . وهذا هو السبب في عقم تصرفاتي وسقمها وقد لا يكون هناك مبرر لذعري وانزعاجي ولكني أعلم أشياء كثيرة . أشياء غير مفهومة . وأعلم أن أمورا أخرى ستقع . ووقوع هذه الأمور يشعرني بالفزع سلفا . نعم .. إن قلبي مليء بالذعر والفزع . ولا أدري لماذا .. فليس هناك ما يدل على قرب وقوع ما اخشى ..

يا إلهي .. يا إلهي .. كم أعاني ! ومرت بيدها على جبينها بحركة تدل على التعب والملالة والسأم . كما لو كانت تريد أن تطرد من ذهنها خواطر وخيالات تزعجها وترعبها .

قال لها :

- يخيل إلي أنك في حالة انفعال وتأثر شديدين .. وذلك ليس من الصواب في شيء . فتشجعي يا آنسة .. لا موجب للخوف من أي إنسان .. إنك قادمة من الأقاليم . أليس كذلك ؟

- بلى .. إنني غادرت بيتنا في صباح اليوم . ووصلت بعد الظهر وركبت في الحال سيارة جاءت بي إلى هنا .. وقد ظنت حارسة الباب أنك هنا . فأرشدتني إلى شقتك . فدققت الجرس . ولكني لم أسمع جوابا ..

- الواقع أنني منحت الخدم إجازة اليوم . وتناولت طعام العشاء في أحد المطاعم . ثم قصدت إلى المسرح .

فاستطردت الفتاة قائلة :

- وعلى ذلك فإنني استخدمت هذا المفتاح ودخلت الشقة ..

- وممن أخذت هذا المفتاح ؟ :

- إنني لم أخذه . وإنما سرقته من أحد الناس .

- من هو ؟

- سأوضح لك كل شيء .

- إذن فارجوك الإسراع .. فقد أثرت فضولي وبودي أن أعلم كل شيء باسرع ما يمكن .. ولكن صبرا لحظة .. أنا واثق من أنك لم تتناولي طعاما منذ الصباح .. وأنك تكادين أن تموتين جوعا .

- كلا .. إنني وجدت قطعة من الشوكولاتة على هذه الطاولة :

- هذا حسن .. ولكن توجد عندي أشياء أخرى غير الشوكولاتة.. ساقدم إليك بعض الطعام .. ومن ثم نتحدث .. فهل توافقين ؟ .

الواقع أن الناظر إليك يخيل إليه أنه يرى أمامه طفلة في الحلقة الثانية من العمر .. فكيف وقعت في هذا الخطأ وظننتك سيدة ..

وضحك لكي يزيد طمانينتها . ثم نهض إلى أحد الدواليب وجاء بقدح من الشراب الفاخر وبعض البسكويت .

سالها وهو يقدم إليها قدح الشراب :

- ولكن ما اسمك ؟ ينبغي أن أعرف من أنت .. أليس كذلك ؟

- صبراً .. ساقول لك كل شيء في التو واللحظة .

- حسنا .. إن عدم معرفتي باسمك لا يمنعني من أن أقدم إليك أجود ما عندي من الشراب والبسكويت .. هل تريدين شيئا من الحلوى ؟

ولم ينتظر جوابها . وهم بالخروج من الغرفة ليأتيها بشيء من الحلوى . ولكن جرس التليفون دق في هذه اللحظة .. غمغم قائلا :

- هذا عجيب .. من ذا الذي يريد التحدث إلي في مثل هذه الساعة ؟

وتناول السماعة .. وهتف :

- آلو .. آلو .

فسمع صوتا بعيدا يقول :

- أهذا أنت ؟

فأجاب :

- نعم هذا أنا .

- ذلك من حسن الحظ .. فقد حاولت مرارا أن أتصل بك .

- عفواً أيها الصديق العزيز .. فقد كنت في المسرح .

- وهل عدت ؟

- أظن ذلك .

- هذا يسرني ..

فقال "راؤول" :

- ولكن هل تستطيع أيها الصديق العزيز أن تتكرم علي باستعلام بسيط ؟

- قل واسرع .

- من انت ؟

- كيف ذلك ؟. ألم تعرفني ؟

- أعترف لك أيها الصديق المجهول أنني لم أستطع حتى الآن أن ..

- أنا "بيشو" .. "تيودور بيشو" .

فظهرت على وجه "راؤول دافيناك" علامات الدهشة ولكنه ملك نفسه في الحال . وأجاب :

- لست أعرفك .

فاجاب صاحب الصوت :

- بل تعرفني .. أنا "بيشو" البوليس السري .. "بيشو" .. الملحق بإدارة الأمن العام .

- أنا أعرفك بالاسم فقط .. واسمع عن شهرتك . ولكن لم يكن لي قط شرف التعرف إليك .

- كفى هذرا .. إنك تعرفني حق المعرفة .. وقد تقابلنا مرارا .

- أنت مخطئ بغير شك .. فهل تعلم مع من تتحدث الآن ؟

- إنني أتحدث معك بالتاكيد .

- ومن أنا ؟

- أنت الفيكونت "راؤول دافيناك" .

- ذلك في الواقع اسمي .. ولكن الفيكونت ""راؤول دافيناك" لا يعرفك

- ربما .. ولكن "راؤول دافيناك" كان يعرفني عندما كان يتسمى باسماء أخرى .

- لا أستطيع أن أفهمك .. فاوضح غرضك .

- حسنا لقد عرفتك مثلا عندما كنت تدعو نفسك "جيمس بارنيت" .. وكنت تدير مكتبا لأعمال البوليس السري . وعرفتك كذلك باسم آخر فهل تريد أن اذكره لك ؟

فهتف "راؤول" :

- بالتاكيد .. بالتأكيد .. اذكره فليس هناك ما يجعلني احمر خجلا .

- حسنا .. إنني عرفتك كذلك باسم "أرسين لوبين" .

- آه تذكرت الآن .. حسنا .. إننا اتفقنا .. والموقف الآن صريح .. الواقع انني معروف بهذا الاسم الشريف .. والآن يا صديقي العزيز .. ماذا تريد مني ..

- إنني أريد معونتك . وفي الحال ..

- معونتي ؟. أنت أيضا تطلب معونتي ؟

- ماذا تعني بكلمة (أيضا) ؟

- لا شيء .. إنني طوع أمرك ورهن إشارتك .. أين أنت الآن ؟

- في (الهافر) .

- ماذا تفعل هناك ؟ هل تضارب على القطن ؟

- كلا .. إنني ذهبت إلى (الهافر) لكي اتصل بك تليفونيا .

- جميل منك أن تفعل هذا ... هل سافرت من (باريس) إلى (الهافر) خصيصا لكي تتصل بي تليفونيا ؟

* * *

وقد سمعت الفتاة "راؤول دافيناك" وهو ينطق باسم مدينة (الهافر) في حديثه التليفوني .. فاثار هذا الاسم اهتمامها .. وضاعف انزعاجها وذعرها ..

غمغمت بصوت خافت :

- الهافر ! يحدثونك من الهافر ! هذا عجيب ! ومن ذا الذي يتحدث إليك ! دعني أستمع إلى الحديث ..

وكانت للتليفون سماعتان فتناولت الفتاة السماعة الثانية على الرغم من إرادة "راؤول" وسمعت "بيشو" يقول :

- لقد كنت في إحدى ضواحي المدينة .. ولما لم اجد تليفونا فقد انتقلت إلى الهافر بإحدى السيارات .. وساعود الآن أدراجي ..

- إلى أين ؟

- هل تعرف "راديكاتل" ؟

- يا إلهي .. هذه جزيرة رملية قاحلة في وسط نهر السين ..

- نعم .. إنها واقعة بين (ليلبون) و (تتكارفيل) على بعد ثلاثين ميلا من الهافر .

- هل تظن انني لا أعرف هذه البقعة ؟ إنني قضيت كل حياتي بها .. أو بالأحرى .. لقد شهدت هذه المنطقة اهم أدوار حياتي .. وإذن فانت تنام على ضفة النهر ؟

- ماذا تقول ؟

- أقول إنك تفترش الآن الرمال وتلتحف السماء .

- توجد على مقربة من الشاطئ الرملي قرية صغيرة بديعة يقال لها "راديكاتل" .. وقد استأجرت فيها مسكنا بديعا للإقامة هناك بضعة أشهر طلبا للراحة .

- هذا بديع .. إنني أرجو لك الراحة التامة .

- وفي هذا المسكن غرفة خاصة حجزتها لك ..

- ولماذا هذا الكرم الحاتمي ؟

- هناك حادث عجيب معقد .. أريد أن أصل معك إلى حل معمياته وإماطة اللثام عن أسراره ..

- لأنك لا تستطيع بالتأكيد أن تحله وتعرف كنهه بمفردك ..

* * *

قال "راؤول" ذلك وهو ينظر إلى الفتاة بإمعان ، فلاحظ في الحال أن سحنتها قد انقلبت ، وأن وجهها قد تجهم . فحاول أن ينتزع منها السماعة ولكنها امتنعت ، وظلت ممسكة بها .

قال "بيشو" مستطردا :

- من الضروري جداً أن تحضر بأسرع ما يمكنك . لقد وقعت هنا حوادث عجيبة .. كان أخرها أن فتاة في مقتبل العمر اختفت اليوم .

- هذا حادث عادي لا يستوجب الانزعاج .. ففي كل يوم تختفي أكثر من فتاة واحدة ..

- هذا صحيح .. ولكن هناك ملابسات تدعو إلى الانزعاج والقلق..

فقال "راؤول" بفروغ صبر :

- أرجوك أن توضح .

- حسنا .. لقد حدث اليوم في الساعة الثانية .. انه بينما كان زوج

أخت هذه الفتاة يفتش عنها . إذ برصاصة مسدس تطلق عليه فتصرعه ..

ولما كان هناك قطار سريع يبرح باريس في الساعة الثامنة من الصباح .. فإن في مقدورك أن ..

ولم يسمع "راؤول" المزيد .. لأنّ نبأ الجريمة لم يكد يصل إلى سمع الفتاة . حتى سقطت سماعة التليفون من يدها .. وفتحت فمها لتتكلم ولكن صوتها احتبس في حلقها .. وافلتت من فمها آهة عميقة .. ثم دارت حول نفسها وسقطت على أحد المقاعد .

وقد رأى "راؤول" كل ذلك . فصرخ محدثا "بيشو" :

- إنك مغفل يا "بيشو" .. وطريقتك في إنهاء الأنباء مزعجة .. ونابية عن الحنكة .

ووضع السماعة .. وأسرع إلى الفتاة فحملها إلى أحد المقاعد الكبيرة .. وأسعفها بمادة منعشة حتى إذا ملكت نفسها راح يقول لها:

- ماذا أصابك يا أنسة .. إن حديث "بيشو" ليست له أية أهمية لأنه ينصب على حادث اختفائك .. وبعد .. فلعلك تعرفين "بيشو" .. فهو رجل ساذج أحمق يحب أن يقام وزن لكلامه .. فأرجو أن تملكي نفسك.. ولنتحدث في الأمر مليا .. لأعرف أوله من آخره .

* * *

ولكن الفتاة كانت مضعضعة الحواس . فأمهلها "راؤول" وتريث في انتظار الوقت المناسب لمعالجة الموضوع .

فكر في الأمر مليا .. وحزم رأيه على أمر .. ثم نهض إلى غرفة مجاورة .. غير من ملامح وجهه بواسطة بعض الأصباغ والمساحيق وأبدل ثيابه .. ثم رتب حقيبته .. وغادر الشقة مسرعا إلى باب الحظيرة . ثم صعد السلم . وعاد إلى الغرفة التي ترك بها الفتاة .. فوجدها كما تركها مضعضعة الحواس .. لا تقوى على الإتيان بحركة فحملها بين ساعديه .. دون أن يلقى منها اي مقاومة . وأجلسها في السيارة وهمس في أذنيها وهو يفعل ذلك قائلا :

- يفهم من كلام "بيشو" انك قادمة من راديكاتل" .. أليس كذلك؟

فأجابت "

- بلى .. إنني قادمة من راديكاتل" .
- سنذهب إلى هناك .
فظهرت على وجه الفتاة علامات الرعب والفزع. وخيل إلى "راؤول" أنها ارتجفت من قمة الرأس إلى أخمص القدم .. ولكنه همس في أذنها بعض كلمات رقيقة طمانتها .

* * *

كانت ثلاث ساعات كافية لـ"راؤول" لقطع مسافة الخمسة والأربعين فرسخا التي تفصل بين باريس وقرية (راديكاتل) ولم يتبادل مع الفتاة أية كلمة خلال هذه الساعات الثلاث . فانتهى الأمر بالفتاة أن غلبها النعاس فنامت .. وسقط رأسها على كتف "راؤول" .. فجرى بأصابعه على شعرها الأشقر الجميل في لطف وإشفاق .

كانت ملتهبة الجبين .. وقد راحت في غفوتها تردد ألفاظا مضطربة لم يتبينها "راؤول" .

* * *

وقفت السيارة أخيرا عند بزوغ الشمس أمام كنيسة صغيرة .. كائنة في سفح منبسط يغطيه العشب ويخترقه غدير ضيق يصب في نهر السين .

وكان كل شيء في القرية القريبة هادئاً ساكنا .. فالتفت "راؤول" إلى الفتاة وسألها :

- أين منزلك ؟ هل هو بعيد من هنا ؟

- كلا . إنه قريب جدا . موقعه في مواجهة الكنيسة مباشرة قالت ذلك وأشارت إلى الطريق الذي يجب أن يسلكاه إلى منزلها وكان طريقا معبدا نظيفا يحيط به صفان من أشجار السنديان ، وينحدر بجانب ضفة النهر . وينتهي إلى قصر صغير يحيط به سور من القضبان الحديدية .

ولاحظ "راؤول" أن الجزع والهلع يزدادان بالفتاة كلما اقترب بها من القصر .. وفهم من ذلك أنها كانت تؤثر الفرار والتشرد على الإقامة في ذلك القصر . الذي لابد أنها كانت تعاني فيه كثيراً .

قالت له :

- ينبغي الا يراني أحد وأنا أدخل .. يوجد في جدار المنزل باب جانبي صغير لا يعلم أحد أن معي مفتاحا له . سأنفذ إلى المنزل من هذا الباب .

فسألها "راؤول" :

- هل تستطيعين السير ؟

- نعم ..

- الا تشعرين بالبرد ؟

- نعم لا أشعر .

فقدم إليها "راؤول" ساعده لتستند إليه .. ورافقها حتى الباب الصغير الذي تكلمت عنه . وهناك قال لها :

- لم أر من الضروري أن أزعجك بكثرة الأسئلة . فسوف أقف على التفاصيل من صديقي "بيشو" وسنتقابل فيما بعد .. ولكن لي سؤالا بسيطا .. هل أخذت مفتاح شقتي من "بيشو" ؟

فأجابت :

- نعم ولا .. إنه كثيراً ما كان يحدثني عنك . وقد علمت منه أن لديه مفتاحا لباب شقتك . وأنه يضع هذا المفتاح في درج طاولة بغرفته .. فسرقته من الدرج دون أن يعلم .

- حسنا أعطيني هذا المفتاح .. لكي أرده إلى مكانه فلا يعلم "بيشو" بشيء على الإطلاق .. نعم يجب ألا يعلم هو أو سواه أنك ذهبت إلى باريس .. أو أنك قابلتني .. أو أن أحدنا يعرف الآخر.

فأجابت :

- لن يعلم بذلك أحد .

- كلمة أخرى .. لقد جمعت الحوادث بيننا في ظروف غير عادية ودون أن يعلم أحدنا شيئا عن صاحبه . فعليك الآن أن تعتمدي علي .. والا تقدمي على عمل دون إرشادي .

هل اتفقنا على ذلك ؟

- نعم .

- في هذه الحالة أطلب إليك أن توقعي على هذه الورقة .

وأخرج من جيبه ورقة بيضاء كتب عليها بالقلم العبارات التالية :

"إنني أخول مسيو "راؤول دافيناك" الحق في استجلاء الحقائق واتخاذ كل الإجراءات والقرارات التي تتفق مع مصلحتي الشخصية" .

وقدم إليها هذه الورقة فوقعت عليها بإمضائها . فقال وهو يسترد الورقة :

- حسنا .. إنك نجوت .

وألقى نظرة على الإمضاء . ثم قال :

- "كاترين" ؟ اسمك "كاترين" ؟ إنه اسم يعجبني .. والآن ... إلى اللقاء وكوني مطمئنة .

ففتحت الباب الصغير بمفتاح معها .. ودخلت . وأغلقته . وسمع "راؤول" وقع خطواتها وهي تبتعد .. ثم ساد السكون .

* * *

وكانت "كاترين" قد دلته أثناء الطريق على البيت الذي استأجره "بيشو" وأقام فيه .. فغادر "راؤول" القرية وعاد أدراجه في الطريق الذي سلكه . وترك سيارته في إحدى الحظائر . ثم وقف أمام بيت "بيشو" .

وفحصه عن كثب .. فرأى في الطابق الأول نافذة مفتوحة .. فتسلق واجهة المنزل بخفة النمر .. ووثب إلى الداخل في هدوء دون أن يحدث أية ضجة توقظ النائم في الفراش .

وبعد أن أجال الطرف حوله . قصد لتوه إلى مائدة في الغرفة ففتح درجها . ووضع فيه مفتاح شقته .

ودار في انحاء المنزل دورة سريعة . خوفا من أن يكون قد استدرج إلى فخ لأن "بيشو" كان من خصومه القدماء الذين لا يتورعون عن الإيقاع به في أية لحظة .

وبعد أن اطمأن عمد إلى الباب الخارجي ففتحه . وجاء بحقيبته من السيارة . ثم عاد أدراجه وقصد توا إلى الغرفة الخالية التي حدثه عنها "بيشو" . وقال له إنه احتجزها له . فخلع ثيابه . وتركها على أحد المقاعد وأرفق بها ورقة كتب عليها .

"أرجو عدم إيقاظي" .

ثم وثب إلى الفراش .

وفي هذه اللحظة دقت الساعة الخامسة . فقال يحدث نفسه .

- سيغلبني النوم بعد ثلاث دقائق . فانام . وأنسى المصير المجهول الذي ستسوقني إليه هذ الفتاة المجهولة :

الفصل الثاني

"بيشو" يتكلم

وثب "راؤول دافيناك" من فراشه . وأمسك بعنقه ، وراح يصيح :

- لقد أمرت بالا يوقظني أحد ، فكيف وجدت الجراة على إزعاجي .

فاجاب "بيشو" محتجا :

- كلا .. كلا .. إنني لم أوقظك .. كنت فقط أتاملك وأنت نائم فلم أعرفك .. لقد لفحت الشمس بشرتك .. وأكسبتك سمرة أهل الجنوب .

وشد كل منهما على يد الآخر بشيء كثير من العطف والمودة .

ذلك أنه كان قد سبق لهما الاشتراك في كثير من المغامرات كل على طريقته .

قال له "راؤول" :

- هل تذكر ذلك العهد الذي كنت أتسمى فيه باسم "جيمس بارنيت" وكنت أدير فيه مكتبا لأعمال البوليس السري ؟ وهل تذكر شهر العسل الذي قضيته مع زوجتك ؟ وبهذه المناسبة .. كيف حال زوجتك ألا يزال الطلاق يفرق بينكما ؟

- بلى ..

- ياله من عهد سعيد .

- لقد كان ذلك منذ عامين تقريبا .- ولكن كيف عرفت مقري .. كيف علمت أنني "راؤول دافيناك" ؟

فأجاب "بيشو" :

- علمت ذلك بطريق الصدفة .. بفضل رسالة سرية من أحد أعوانك السابقين إلى إدارة الشرطة . ولكني أفلحت في حجز الرسالة عن ذوي الشأن فضمه "دافيناك" إلى صدره وقال :

- إنك في الحق أخ مخلص يا "بيشو" .. نعم أخ مخلص وسارد إليك هذا الصنيع . بل سأفعل ذلك في الحال .. فاعيد إليك مبلغ ثلاثة الآلاف فرنك التي تخبئها في مكان خفي من محفظتك .

وهنا جاء دور "بيشو" ، فوثب إلى عنق "راؤول" وهو يصيح في

غضب وحنق :

- أيها اللص .. أيها المحتال .. لا شك انك دخلت غرفتي الليلة ، وسرقت محتويات محفظتي .. إنك لص لا يمكن إصلاحك ..

فضحك "راؤول" حتى استلقى على قفاه ، وقال :

- إنك مغفل عجوز يا "بيشو" .. الإنسان يجب الا يترك غرفة نومه مفتوحة النوافذ .. : وقد أردت أن أبين لك الأخطار التي تنجم عن هذا الإهمال .. إليك نقودك : إنني أخذت المحفظة من تحت وسادتك دون أن تشعر

فاختطف "بيشو" الأوراق المالية التي اختلسها "راؤول" من محفظته.. وقال في حنق :

- إنك لا تتغير أبدا .. الا تخجل من نفسك ؟ ألا تكف عن الهذر والاحتيال وانت في مثل هذه السن ؟

- إن في استطاعتك أن تشي بي .. وتبلغ رجال البوليس بوجودي هنا .

فاجاب "بيشو" وهو يتنهد :

- لا فائدة من ذلك .. إن في مقدورك الإفلات من شر المازق .. وبعد فإن من قلة الذوق وعدم اللياقة أن أشي بك بعد الخدمات التي قدمتها إلي في كثير من الحوادث التي كلفت بتحقيقها .

- بل وساقدم إليك المزيد من الخدمات .. ألم تر كيف أن مجرد إشارة منك جعلتني أسرع إليك لأشاطرك مسكنك وأحرمك من الطعام الذي أعددته لفطورك .

* * *

والواقع أن "بيشو" كان قد كلف إحدى جاراته بأن تعد له الطعام وتعتني بشؤون البيت .. فرآها "راؤول" قادمة حاملة طعام الفطور ... فهجم عليها .. واقبل على تناول الطعام في نهم وجشع.

ومن ثم أزال لحيته .. واجلس "بيشو" أمامه وقال له :

- الآن تستطيع أن تلقي خطبتك وتدلي بمعلوماتك يا "بيشو" ... وارجو أن توجز في ذلك بقدر الإمكان .. بحيث تكون بليغا فصيحا وبحيث لا تترك صغيرة أو كبيرة من التفاصيل .. ولكن دعني أولا

أتاملك .. فإنني لم أرك منذ عامين .

وأمسك بكتفيه . وراح يحملق في وجهه ويصعده بعينيه ويقول :

- إنك لا تزال كعهدي بك .. طويل الساعدين .. على وجهك علامات الامتعاض والكبرياء .. ولا تزال كما أعرفك رشيقا كخدم المقاهي ..

والآن تكلم يا صاحبي .. ولن أقاطعك مرة واحدة .

ففكر "بيشو" مليا . ثم قال :

- إن البيت المجاور ...

وهنا قاطعه "راؤول" قائلا :

- صبرا : لي كلمة واحدة .. بأية صفة تهتم بالحادث الذي سترويه .. بصفتك مفتش بوليس أو ..

- كلا .. وإنما بصفتي صديقا لأهل البيت الذي أحدثك عنه .. وهي صداقة يرجع عهدها إلى شهر إبريل الماضي . حين جئت (راديكاتل) التماسا للنقاهة من مرض النزلة الشعبية الذي كاد أن..

- ليست لي مصلحة في معرفة هذه التفاصيل . فامض في حديثك ولن أقاطعك ..

فاستطرد "بيشو" :

- حدث أمس أن القوم في قصر (باريفا) ..

فقاطعه "راؤول" قائلا :

- قصر (باريفا) ؟ تعني القصر الصغير الواقع في نهاية الطريق الذي تحف به أشجار السنديان ؟

- نعم .. هو بعينه .. قلت لك إنه حدث حوالي ظهر أمس أن أرسل القوم في (باريفا) يدعونني ..

- هل يقيم بالقصر قوم كثيرون ؟

- تقيم به شقيقتان ..

- شقيقتان ؟

- إنك تقاطعني بعد كل كلمة .. ويستحيل علي أن ..

فقاطعه "راؤول" وهو يضحك :

- حسنا .. دعني أنا أسرد عليك ما تريد أن تقوله .. وإذا أخطأت فاصلح لي خطئي .. ولكني لا أخطئ أبدا .. ذلك مبدأ أساسي . فاصغ

لي :

- "كان قصر (باريفا) الذي تتكلم عنه جزءا من إقطاعية (بسم) وفي منتصف القرن الثامن عشر .. ابتاع هذا القصر رجل من أصحاب مصانع بناء السفن (الهافر) . ورزق فيه بولد اسمه "ميشيل مونتسييه" فولد "ميشيل" في هذا القصر وتربى ونشأ فيه ثم تزوج .. وماتت زوجته .. ثم ماتت ابنته وتركت له حفيدتين هما الشقيقتان "برتراند" و "كاترين" .. اللتان تحدثت عنهما ..

"على أن النكبة المزدوجة التي نزلت بـ"ميشيل مونتسييه" أحزنته.. فهجر قصر (باريفا) إلى باريس وراح يقيم في العاصمة ولا يزور القصر إلا مرتين .. الأولى في عيد الفصح ، والثانية في موسم الصيد والقنص .. وكان في كل فترة يقضي في هذه الناحية شهرا أو ما يقرب من هذه المدة .

وقد اقترنت كبرى الشقيقتين وهي "برتراند" برجل من أصحاب المصانع في باريس يدعى مسيو "جرسان" .. ولهذا الرجل أعمال كثيرة في أمريكا ..

هل نحن على اتفاق في كل هذا ؟ ألم أقع في خطأ ؟

فأجاب "بيشو" في شيء من الدهشة :

- كلا .. كل هذا صحيح

فاستطرد راؤول وهو يبتسم :

- حسنا .. سأسرد عليك الباقي .. بقيت "كاترين" صغرى الشقيقتين تعيش مع جدها "ميشيل مونتسييه" . وكان في خدمتهما خادم شاب يدعى "ارنولد" عرف بالإخلاص الشديد لسيده .

وقد نشأت "كاترين" نشأة حسنة .. ولكنها كانت فتاة عصبية المزاج تميل إلى الوحدة والإكثار من القراءة .. وقد أثرت الإقامة في قصر "باريفا" نظرا لشغفها بالسباحة . ولا سيما بالسباحة في نهر "أوريل" ذي الماء البارد النقي ..

وكان جدها يحبها حباً جما . ولم يكن يشغله عنها سوى شغفه العجيب بالعلوم الروحانية والغامضة .. وبعلم الكيمياء .. وخرافة صنع الذهب .

هل أنت مصغ إلي يا "بيشو" ؟

- كل الإصغاء .

- حسنا وقد حدث منذ عشرين شهرا تقريبا .. أى في نهاية شهر سبتمبر الأسبق .. أن عاد "مونتسييه" وحفيدته إلى باريس بعد أن قضيا فترة من الوقت في قصر "باريفا" .. على أن الرجل لم يكد يصل إلى باريس حتى مات فجأة .

وكانت "برتراند" كبرى الشقيقتين تقيم وقتئذ مع زوجها في "بوردو" فذهب إلى باريس على عجل .. ومنذ ذلك العهد والشقيقتان تقيمان معا .

وقد ترك الرجل عند وفاته ثروة أقل بكثير مما كان منتظرا .. غير أنه لم يترك وصية ما .

وهجر القوم قصر "باريفا" فاغلقت ابوابه .. وأصبح لا يدخله أحد .

فقال "بيشو" :

- نعم . لم يكن يدخله أحد على الإطلاق .

قال "راؤول" :

- ولكن حدث في هذا العام أن قررت الشقيقتان قضاء فصل الصيف هنا في (باريفا) .

وكان مسيو "جرسان" زوج "برتراند" قد عاد من أمريكا ثم سافر إلى أمريكا .. ثم عاد أخيرا ولحق بالشقيقتين في (باريفا).

ولم يكن يقيم مع القوم في القصر سوى الخادم "أرنولد" وطاهية قضت في خدمة "برتراند" عدة سنوات .

واستخدمت الشقيقتان كذلك فتاتين من فتيات القرية . واهتم الجميع بتنظيم القصر والحديقة .

هل توافقني على كل ما ذكرت حتى الآن أيها العزيز "بيشو" ؟

وكان "بيشو" قد أصغى إلى حديث "راؤول" وهو ممتلئ دهشة وعجبا ولكنه عرف فجاة المصدر الذي استقى منه "راؤول" هذه المعلومات حرفيا ..

تذكر أنه سجل كل هذه الاستعلامات في دفتر صغير وضعه في درج الطاولة بغرفة نومه . وادرك أن "راؤول دافيناك" لابد قد استولى على

هذا الدفتر عندما زار غرفته ليلا . فقرا محتوياته .. ووقف على كل هذه المعلومات التي راح الآن يسردها بكل دقة .

أجاب "بيشو" على سؤال "راؤول" بقوله :

- نعم .. نحن على اتفاق بصدد هذه التفصيلات فقال "راؤول" وهو يغمز بعينه :

- حسنا .. هذا كل ما سجلته في دفترك الصغير .. ولكنك للأسف لم تذكر في هذا الدفتر كلمة واحدة عن الحوادث التي وقعت هنا أمس.. ولذا أترك لك أن تتم القصة ..

نعم .. أكمل القصة .. واذكر لي ما حدث أمس من اختفاء "كاترين مونتسيبه" .. وقتل لا أدري من من الناس .

فقال "بيشو" :

- حسنا .. فاصغ إلي .. إن الحوادث المحزنة التي وقعت أمس .. لم تستغرق أكثر من بضع ساعات .. ولكن يجب أن تعلم أولا أن مسيو "جرسان" زوج "برتراند" قد جاء إلى (باريفا) أمس الأول . ومسيو "جرسان" هذا هو رجل من رجال الأعمال الحقيقيين . ممتلئ الجسم .. قوي البنية .. يتمتع بصحة جيدة . وقد اجتمعت به في سهرة أمس الأول .. فالفيته طروبا .. وكذلك كانت "كاترين" رغم تجهمها بسبب بعض حوادث وقعت في المدة الأخيرة . وأزعجتها .

نعم . كانت "كاترين" تضحك في سرور وغبطة . وقد تركت الجميع في خير حال . وجئت إلى منزلي في منتصف الساعة الحادية عشرة .

ولم يحدث شيء أثناء العمل .. ولم يسمع القوم في القصر اية ضجة أو حركة غير عادية .. وحول الظهر .. جاءتني "شارلوت" خادمة "برتراند" وقالت لي وهي في حالة يرثى لها من الذعر والفزع إن الآنسة "كاترين" اختفت .. وانه يخشى أن تكون غرقت في النهر .

وهنا قاطعه "راؤول" بقوله :

- إن هذا الافتراض لا يمكن أن يقوم على أساس صحيح يا عزيزي "بيشو" . الم تذكر في الدفتر الذي سجلت فيه معلوماتك أن "كاترين" كانت تجيد السباحة في النهر ؟

فاجاب "بيشو" :

- هذا صحيح .. ولكن السباح مهما كان ماهراً فإنه عرضة دائما للغرق .. إذا أصيب بضعف أو دوار فجائي ..

ومهما يكن من امر فإنني قصدت إلى القصر في التو واللحظة .. فالفيت "برتراند" شديدة الاضطراب والانزعاج . وكذلك زوجها والخادم "ارنولد" .. وقد أرشدوني في مكان بين الصخور على ضفة النهر إلى الوشاح الذي كانت "كاترين" تستخدمه عندما تذهب إلى النهر :

- ولكن وجود هذا الوشاح لا يثبت أن ..

- بل إنه قد يعتبر دليلا على أنها هبطت إلى ماء النهر وغرقت ويجب أن اقول لك بهذه المناسبة إنه لوحظ على الفتاة في المدة الأخيرة انها كانت شديدة الاضطراب والانزعاج والقلق . ولهذا خطر لنا جميعا أنها ربما ..

فسأله "راؤول" في هدوء :

- إنها ربما اقدمت على الانتحار ؟

فأجاب "بيشو" هذا على الأقل ما خشيته أختها "برتراند" :

- إذا صح هذا فلابد أنه كان هناك من الأسباب ما قد يحملها على الانتحار .

- ربما .. والواقع أنها كانت مخطوبة . وكان زواجها ..

فقاطعه "راؤول" بان هتف :

- الفتاة مخطوبة ؟ وهل تحب خطيبها ؟

- نعم .. وهو شاب في مقتبل العمر عرفته "كاترين" في باريس في الشتاء الماضي .. ولهذا السبب قدمت الشقيقتان إلى هذا القصر .. لأن الشاب الذي أحبته "كاترين" هو الكونت "بيير دي بسم" الذي يقيم مع والدته في قصر "دي بسم" .. وفي استطاعتك أن ترى هذا القصر من هنا .. انظر ..

- وهل هناك عقبات تحول دون الزواج ؟

- إن والدة الشاب لا تريده على أن يتزوج فتاة لا تملك ثروة ولا تحمل لقبا من القاب النبلاء .

وقد تسلمت "كاترين" صباح أمس رسالة من "بييردي بسم" وفي هذه الرسالة التي عثرنا بها فيما بعد .. يخطر الشاب حبيبته بانه سيرحل

في الحال نزولا على إرادة والدته . وأنه سيغيب ستة أشهر على الأقل . وقد ذكر في رسالته انه شديد الياس والقنوط وأنه يرجوها - أي يرجو "كاترين" - بأن تنتظره ولا تنساه وبعد ساعة من ورود هذه الرسالة حوالي الساعة العاشرة اختفت "كاترين" من هنا دون أن يراها أحد بعد ذلك .

- ربما سافرت من هنا دون أن يراها احد .

- مستحيل .

- هل تعتقد إذن أنها انتحرت !

فأجاب "بيشو" بلهجة التأكيد :

- أنا شخصيا لا أعتقد أنها انتحرت . ولكني أظن أنها قتلت .

- يا للشيطان . ولكن ا ما الدافع إلى هذا الاعتقاد ؟

- الدافع إلى هذا الاعتقاد أنني عثرت أثناء البحث عنها بأدلة مادية ظاهرة تثبت أن شريرا سفاكا كان يجوب الأدغال المجاورة.

- وهل رأيت هذا الشرير ؟

- كلا ولكننا رأينا أعماله .

- هل قتل أحدا ؟

- نعم . إنه ارتكب جريمة قتل أخرى كما أنبأتك بذلك تليفونيا أمس.. وقد ارتكبها في الساعة الثالثة تحت سمعي وبصري .

كان مسيو "جرسان" وقتئذ يجتاز جسرا عتيقا قائما على ..

وهنا هتف "راؤول" :

- اصمت ..

- كيف أصمت .. إنني لم أسرد عليك كل شيء .

- اصمت يا "بيشو" ..

- إنني لم أسرد عليك الوقائع الأساسية بعد . نعم . لم أوضح لك من المأساة تفاصيلها التي نحن على يقين منها .. وإذا كنت ترفض ..

- إنني لا أرفض الوقوف على هذه التفاصيل . ولكني لا أحب سماعها مرتين . ومادمت ستسردها حتما بعد ساعة أو أكثر على المحققين ورجال النيابة .. فإنني أرفض إضاعة الوقت الآن في سماعها.

- ولكن ..

- كلا يا صديقي .. إنك لا تجيد استعراض الحوادث . وسردها ومن يسمعك لابد أن يستولي عليه الملل والسأم فدعني أسترح قليلا .. دعني أتنفس الصعداء .

- إذن !

- إذن عليك أن تذهب بي أولا إلى الدغل الذي تكلمت عنه .. ولكن بشرط ألا تذكر لي كلمة واحدة أثناء ذلك ..

مما يؤسف له حقاً أيها الصديق "بيشو" أنك رجل ثرثار كثيرالكلام وقد كان يحسن بك أن تتعلم الكتمان من صديقك "لوبين" الذي عرف بالرزانة .. وقلة الكلام .

وقد شعر "بيشو" بالمطاعن التي يوجهها إليه "راؤول" في لباقة . ولكنه كتم غيظه .. وانصرف الاثنان من المنزل .. وقد عقد كل منهما ساعده بساعد الآخر كأنهما من خير الأصدقاء .

وكان يتلاعب على شفتي "بيشو" أثناء الطريق سؤال يود أن يلقيه ويخشى أن يقابله "راؤول" بلهجته الساخرة اللاذعة .. إلى أن ضايقه الصمت والكتمان فقال .

- إن لي سؤالاً أخيرا أود أن ألقيه عليك .

- سل .

- هل تجيبني بلهجة جدية ؟

- نعم .

- حسنا .. السؤال هو ما رأيك بصفة عامة في هذا السر المزدوج ؟

فأجاب "راؤول" وهو يبتسم :

- رأيي فيه أنه ليس مزدوجا .

- كيف ذلك ؟ إنه سر مزدوج .. أو بالأحرى . إن هناك سرين أحدهما اختفاء "كاترين" . والثاني مقتل مسيو "جرسان" .

- إذن فالذي قتل مسيو "جرسان" ؟

- نعم ..

- حسنا .. هذا أول سر .. فما السر الثاني ؟

- إنه اختفاء "كاترين" كما قلت لك .

- ولكن "كاترين" لم تختف .

- أين هي إذن ؟

- إنها نائمة في غرفتها .

فنظر "بيشو" إلى صاحبه من طرف عينه وتنهد ..

كان من المستحيل حمل هذا الرجل الخبيث على ترك الدعابة والهذر.

* * *

وكانا قد اقتربا في هذه الأثناء من سور الحديقة . فابصرا امرأة طويلة القامة سمراء البشرة .. تطل من بين قضبان السور وتشير إليهما بالإسراع ..

قال "بيشو" بلهجة تنم عن القلق :

- هذه هي "شارلوت" خادمة "برتراند جرسان" .. لقد ضربت الحراسة حول القصر .. وصدرت الأوامر إلى الحارس بأن يمنع الدخول إلى القصر أو الخروج منه قبل حضور المحققين .

ولكني أرى على وجهها من علامات القلق مثلما رأيت أمس عندما جاءت لتنبئني باختفاء "كاترين" .. فترى أي جديد وقع ؟

قال ذلك وأسرع الخطى وتبعه "راؤول" عن كثب .. إلى أن دخلا القصر فانتحى "بيشو" بالخادمة جانبا وسألها :

- ماذا يا "شارلوت" .. أمل الا يكون قد وقع جديد ؟

فهتفت الخادمة :

- إنها الأنسة "كاترين" يا سيدي لقد بعثت بي سيدتي لأقول لك إن ..

فهتف "بيشو" في ذعر :

- ماذا حدث لها ؟ هل وقعت نكبة جديدة ؟ ألم أقل لك ذلك يا "راؤول"؟ ألم أكن على حق إذ توقعت كارثة جديدة أن الفتاة المسكينة ...

ولكن "شارلوت" قاطعته بقولها :

- كلا يا سيدي .. كلا .. إن الأمر على عكس ما تتوهم . أريد أن أقول إن الأنسة "كاترين" عادت ليلا .

فهتف "بيشو" :

- عادت ليلا .. ماذا تقولين ؟

- إنني أقول الحقيقة يا سيدي .. كانت سيدتي جاثية بجانب فراش

مسيو "جرسان" .. حين رأت الآنسة "كاترين" مقبلة عليها وهي تبكي .

كانت منهوكة القوى ومتعبة .. فحملناها إلى فراشها .. وأخذنا نعتني بها .

- وكيف حالها الآن ؟

- إنها نائمة في غرفتها .

فهتف "بيشو" وهو ينظر إلى "راؤول" :

- يا إلهي .. تأمل هذا .. إنها في غرفتها .. ونائمة .. فنظر إليه "راؤول" كمن يريد أن يقول له :

- ألم أقل لك هذا ؟

الفصل الثالث

الجريمة

يشغل قصر (باريفا) والمزارع المحيطة به قطعة من الأرض مثلثة الشكل تربو مساحتها على خمسة الأفدنة .. ويشطرها النهر الصغير المعروف باسم (أوريل) إلى قسمين .

وتوجد في وسط هذا النهر جزيرة صغيرة يصلها بضفتي النهر جسر قديم .. مهدم القوائم .. من الخطر جداً عبوره . وفي وسط الجزيرة برج قديم للحمام قد أعمل فيه الزمن يد التخريب ..

وقد أخذ "راؤول" يجول في أنحاء تلك المنطقة .. لا كما يجول رجال البوليس السري الذين يبحثون وينقبون .. ويفحصون كل صغيرة وكبيرة بحماسة كلاب الصيد .. وإنما كما يفعل الشخص الذي يتنزه في مكان يود أن يشبع باصرتيه من جماله .

سأله "بيشو" أخيراً :

- هل انتهيت إلى شيء ؟

- نعم .. إن هذا المكان بديع . يلذ للشعراء أن يقيموا به .

- لست أعني هذا .

- ماذا تعني إذن ؟

- أعني هل انتهيت إلى رأي في حادث مقتل مسيو "جزسان" ؟

- إنك تكثر من الخلط . هذا موضوع يجب عدم التحدث عنه إلا في الوقت المناسب .

- وهذا هو الوقت المناسب .

- إذن فهلم بنا ندخل القصر .

* * *

لم يكن القصر آية في فن البناء ، بل كان مجرد منزل بسيط منخفض يتألف من جناحين . وكان يقوم على حراسته اثنان من رجال الشرطة .

نفذ إليه "بيشو" و "راؤول" .. واجتازا بهوا في وسطه سلم يفصل بين قاعة الطعام وقاعتي الاستقبال و (البلياردو) وكانت جثة القتيل قد

نقلت بعد الحادث إلى إحدى غرفتي الاستقبال .

وقد رأى "راؤول" في الغرفة امرأتين من أهل العزبة تسهران على الجثة .. وأبصر زوجة القتيل جاثية بالقرب من جثته . وهي مرتدية ثياب الحداد .

* * *

دخل "بيشو" غرفة القتيل . وهمس كلاما في أذن "برتراند" .. فنهضت على الأثر وتبعته إلى غرفة الاستقبال الأخرى . وهناك قدم إليها "راؤول دافيناك" بقوله :

- اسمحي لي أن أقدم إليك صديقي .. إنه من أكرم أصدقائي وطالما حدثتك عنه .. وقد وعد بأن يمد إلينا يد المساعدة .

* * *

كان الشبه عظيما بين "برتراند" و "كاترين" بل لقد كانت الأولى أوفر جمالا من شقيقتها . وإن يكن الألم قد ترك طابعه على وجهها الفتي .

وارتسم في عينيها الحزينتين اللتين كانتا ترسلان نظرات تنم عن الذعر والرعب ..

أحنى "راؤول" قامته باحترام أمام "برتراند جرسان" وقال في أدب :

- إذا كان القبض على القاتل الأثيم من شأنه أن يرفه عنك يا سيدتي ويخفف من آلامك وأحزانك . فثقي بأنني سأبذل قصارى جهدي في إماطة اللثام عن سره حتى ينال عقابه . ويلقى جزاء جريمته المنكرة .

فأجابت "برتراند" بصوت خافت :

- ذلك هو غاية ما أتمناه يا سيدي . وسأبذل من ناحيتي كل ما أستطيع في هذا السبيل . وذلك ما سيفعله أيضا جميع أولئك الذين يحيطون بنا في هذا المنزل .. أليس كذلك يا "شارلوت" .

* * *

وفي هذه اللحظة سمعت ضجة محرك سيارة . ففتحت "شارلوت" إحدى النوافذ ورأى القوم سيارتين مقبلتين .

وفي ذات اللحظة دخل الخادم "أرنولد" مسرعا ..

كان رجلا نحيفا نحيلا أسمر البشرة يناهز الخمسين من العمر . ويرتدي ثوبا أشبه بثياب الحراس منه بثياب الخدم .

قال محدثا "بيشو" :

- لقد أقبل قاضي التحقيق ورجال العدالة واثنان من الأطباء أحدهما طبيب (ليلبون) الذي جاء أمس . والثاني من الأطباء الشرعيين.

ثم تحول إلى "برتراند" وسألها :

- هل تستقبلهم سيدتي هنا ؟

فاجاب "راؤول" بصوت هادئ .. وبلا تردد :

- صبرا .. هناك مسألتان يجب بحثهما . الأولى الاعتداء على مسيو "جرسان" .. وهي مسألة يجب أن نتركها بحذافيرها لرجال العدالة .. والثانية يا سيدتي هي اختفاء الآنسة شقيقتك : وهي مسألة يجب أن نراعي فيها جانب الحذر .. فهل أنبأت رجال الشرطة أمس باختفائها ؟

فأجاب "بيشو" :

- بالتأكيد .. إذ خيل إلينا أن في الأمر جريمة ودخل في روعنا أنها قتلت وأن الشخص الذي فتك بها هو بعينه الشخص الذي قتل مسيو "جرسان" .

فسأل "راؤول" .

- ولكن هل رآها الحراس عندما عادت صباح اليوم ؟

فأجابت "برتراند" بلهجة التأكيد :

- كلا .. لقد قالت لي "كاترين" إنها تسللت إلى الحديقة من الباب الجانبي الصغير القائم في السور ... وإنها دخلت المنزل عن طريق إحدى النوافذ فلم يرها أحد .

فسأل "راؤول" :

- ألم يتحدث أحد عن أمر عودتها ؟

فأجاب الخادم "أرنولد" :

- إنني تحدثت في هذا منذ لحظة إلى رئيس الشرطة .. فقلت له إننا وقعنا في خطأ إذ ظننا أمس أن الآنسة اختفت أو قتلت .. وأن الواقع هو أنها كانت متعبة . فتمددت في إحدى الغرف المهملة غير المطروقة فغلبها النعاس فنامت .. ولم نعلم بذلك إلا في المساء.

فقال "راؤول" :

- حسنا فعلت . ولكن مهما تكن قيمة هذه القصة التي سردتها على رئيس الشرطة .. فإن من الواجب التمسك بها ، وعدم الانحراف عنها .. هل سمعت يا سيدتي ؟

إن ما فعلته أختك نهار أمس لا يعني رجال العدالة ، وإذن فليس هناك سوى حادث واحد ، هو حادث الجريمة .. أليس هذا رأيك أيضا يا "بيشو" .

فأجاب "بيشو" في الحال :

- إنك تنظر إلى الأمور كما أنظر إليها تماماً .. بلى .. ذلك هو رأيي كذلك .

* * *

قصد الطبيبان إلى غرفة الاستقبال لفحص الجثة وقصد المحققون إلى قاعة الطعام ، حيث اجتمعوا بأصحاب القصر .

وقد بدأ المحققون عملهم بسماع تقرير أحد رجال الشرطة .. وبعد أن تلا الشرطي تقريره .. ألقى عليه قاضي التحقيق (واسمه فرتيليه) ووكيل النيابة بضعة أسئلة .

بيد أن أكثر الاهتمام انصرف في الحال إلى سماع أقوال "بيشو" الذي كان معروفا جيدا من المحققين .. والذي راح يؤدي الشهادة لا كأحد رجال البوليس السري .. وإنما كشاهد وقعت الجريمة تحت سمعه وبصره .

وقد بدأ "بيشو" بأن قدم "راؤول" إلى المحققين قائلا عنه إنه من خير أصدقائه ، وأنه يقضي الإجازة في ضيافته . ثم راح بعد ذلك يصف الحادث كما شهده بلهجة سليمة وبصوت هادئ ، وأسلوب واضح شأن الرجل الذي لا يقول إلا ما يعلم عن يقين .

قال :

- يجب أن أقرر أولا أننا كنا أمس في هذا القصر الذي توثقت بيني وبين أصحابه أواصر المعرفة والصداقة في الشهرين الأخيرين . أقول كنا بالأمس في حالة قلق شديد .. لم يكن ثمة في الواقع ما يبررها فلقد دخل في وهمنا لأسباب من تحصيل الحاصل ذكرها . والإسهاب في إيرادها أن الآنسة "كاترين مونتسييه" ذهبت ضحية

حادث ما . وأقول الحق .. إنني على الرغم من تجاربي العديدة التي كان يجب أن تحول بيني وبين الرضوخ لمخاوف لا مبرر لها .. أقول .. رغم تجاربي الكثيرة فإنني شاركت القوم في شعورهم بالقلق على مصير الآنسة "كاترين" عندما عثرنا على ضفة النهر . بوشاح اعتادت أن تخرج به كلما أرادت الاغتسال والاستحمام .. ولم يدر بخلدنا أن الآنسة خرجت من النهر متعبة منهوكة القوى .. وعادت إلى القصر دون أن يراها أحد.

وهنا كف "بيشو" عن الكلام . ونظر إلى "راؤول" كمن يريد أن يقول له "انظر هانذا قد أنقذت الموقف .. وأخرجت "كاترين" من الموضوع" .

ثم مضى في حديثه فقال :

– دعيت إلى القصر في الساعة الثالثة مساء للمساهمة في الجهود التي بذلت عبثا للعثور على الآنسة "كاترين" .. ومن ثم تناولنا معا طعام العشاء ونحن في أشد حالات القلق .. ولكن قلقنا لم يكن يخلو من الأمل .

فقد قلت لنفسي "مادمنا لم نعثر بجثة الآنسة في النهر .. فلابد إذن أننا أغفلنا في البحث عنها أمراً سوف ينكشف فيجلو الغامض" .

وكانت مدام "جرسان" قد هدأت ثائرتها نوعا ما فقصدت إلى غرفتها وتناول "أرنولد" و "شارلوت" طعام العشاء في المطبخ .. وهذا المطبخ يقع في الجناح الأيمن من القصر . ويطل على الناحية التي تقع فيها واجهة القصر .

أما أنا ومسيو "جرسان" .. فقد شرعنا نبحث الموضوع ونعالجه إلى أن قال مسيو "جرسان" فجاة :

– ولكننا نسينا أمراً .. لقد نسينا أن نفتش الجزيرة الواقعة في عرض النهر .

فأجبته : ولماذا نفتشها ؟

ويجب أن أذكرك يا سيدي القاضي بأن مسيو "جرسان" كان قد جاء منذ يوم واحد فقط بعد أن غاب عن القصر سنوات عديدة . ولذلك فإنه كان يجهل الكثير مما علمناه نحن خلال الشهرين اللذين قضيناهما هنا .

سألته لماذا يريد الذهاب إلى الجزيرة .. في حين أن الجسر الموصل إليها مهدم ومن الخطر اجتيازه . ولا أحد يقدم على عبوره إلا عند الضرورة القصوى .. وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن الآنسة "كاترين" بعد أن اغتسلت وسبحت في النهر قد فكرت في طلب الراحة بالجزيرة أو على ضفة النهر الأخرى .

وقد أجابني مسيو "جرسان" بأننا لن نخسر شيئا ثم قمنا بتفتيش الجزيرة .

وهنا صمت "بيشو" مرة أخرى .. ثم طلب إلى قاضي التحقيق ووكيل النيابة أن يرافقاه إلى شرفة القصر .

وهناك قال :

- لقد دار الحديث بيني وبين المسيو "جرسان" في هذا المكان ، ولكني لم أبرح مقعدي .. وأخذ المسيو "جرسان" في الابتعاد قاصداً ضفة النهر .. وفي استطاعتكما تقدير المسافة التي تفصل القصر عن الضفة، أليس كذلك ؟ إنني أعتقد أننا إذا رسمنا خطا مستقيما بين هذه الشرفة وأول الجسر فإن طول هذا الخط لا يمكن أن يربو عن ثمانين مترا .. أريد بذلك أن أقول إن الشخص الجالس هنا يستطيع أن يرى ما يقع على ضفة النهر وفي الجزيرة بكل وضوح وجلاء .. لأنه لا توجد في الطريق أشجار مرتفعة تحجب الأفق عن العين ... والشيء الوحيد القائم في مواجهة البصر هو برج الحمام القديم المتداعي القائم في الجزيرة .. على أن المأساة وقعت في هذه الناحية من البرج ، فلا محل إذن للظن بأن في مقدور أي إنسان أن يتوارى في هذه الناحية من البرج ؛ لأنها كما قلت مكشوفة للعين المبصرة .

فقال مسيو "فرتيليه" :

- ولكن في مقدور الإنسان أن يتوارى في برج الحمام .

فأجاب "بيشو" موافقا :

- هذا صحيح .. سوف نفحص هذه النقطة .

سار مسيو "جرسان" إذن في الطريق إلى ضفة النهر وبلغ إلى الجسر ، وأخذ يعبره في حذر .. ولكن بعزيمة قوية .. ونجحت محاولته فبلغ إلى الجزيرة دون أن يصيبه أذى من جراء تهدم البرج ..

فسأله مسيو "فرتيليه" :

- ألا ترى من الأوفق أن نقترب قليلا من ضفة النهر .. لنلم بالحادث تمام الإلمام ؟

فهتف "بيشو" :

- نعم . نعم ليس ذلك ضروريا . المهم أن تتصور الحادث كما وقع أمامي وكما شهدته من هذا المكان .

ويجب أن أقول كذلك إنني لم أكن الوحيد الذي شهد المأساة . بل شهدها كذلك الخادم "أرنولد" . الذي جلس أمام نافذة المطبخ وراح يدخن لفافة تبغ .. والمطبخ كما سبق أن قلت يشرف تماما على نفس الأفق الذي نراه من هذه الشرفة .

كذلك كانت الخادمة "شارلوت" جالسة على مقربة منه . وقد أتبع كلاهما مسيو "جرسان" البصر وهو يبتعد نحو ضفة النهر .

إن الموقف صريح واضح في مخيلتك يا سيدي القاضي .. أليس كذلك ؟

- بلى .. فامض في حديثك .

فاستطرد "بيشو" قائلا :

- سألت نفسي لماذا يقصد مسيو "جرسان" إلى برج الحمام؟..

وليس هناك ما يدعو الآنسة "كاترين" إلى الالتجاء إلى هذا البرج .. وأجبت عن هذا السؤال بأن الدافع له على ذلك ربما كان مجرد فضول والرغبة في معرفة نظام البرج والحالة التي وصل إليها .

أخذ مسيو "جرسان" يقترب من باب البرج حتى أصبح منه على بعد أربع خطوات .. ثم على بعد ثلاث خطوات .. ألا ترى باب البرج من هنا يا سيدي القاضي ؟ إنك بالتأكيد تراه . فهو في مواجهتنا تماما إنه باب منخفض كأبواب السراديب .

فتحه مسيو "جرسان" ، وما كاد يهم بالدخول . حتى دوى فجأة طلق ناري . فسقط المسكين مضرجا بدمائه .

وصمت "بيشو" لحظة .

كان قد وفق في وصف المأساة وصفا دقيقا .. بصوت حزين .. فأثار بذلك شجون مدام "جرسان" فبكت بكاء مرا ..

وانتظر القوم بفارغ الصبر أن يستمر "بيشو" في حديثه فقال:

- مما لا شك فيه يا سيدي القاضي أن الرصاصة أطلقت من داخل البرج .. وعندي من الأدلة على ذلك شيء كثير . ولكني اذكر دليلين بصفة خاصة . أولهما استحالة اختباء المجرم في أي مكان آخر بالجزيرة .. وثانيهما أن الدخان الذي اقترن بانطلاق المسدس صعد إلى الجو لصق جدار البرج .

لاحظت ذلك في الحال . فوثبت من مكاني وأخذت أعدو شطر الضفة يتبعني "أرنولد" .

قلت لنفسي في الطريق إن القاتل مختبئ وراء باب البرج بغير شك ومعه مسدس . فسوف أتعرض إذن لرصاصاته إذا أنا دنوت منه .

ولكن مع ذلك لم أضع دقيقة واحدة . فاجتزت مع "أرنولد" الجسر دون أن نعبأ بالخطر الذي نستهدف له بسبب تداعي هذا الجسر واقتحمنا باب البرج في جرأة .. ولشد ما كانت دهشتنا حينما لم نجد أحدا وراء باب البرج .

فقال مسيو "فرتيليه" :

- مما لا شك فيه إذن أن المجرم كان مختبئا داخل البرج .

فأجاب "بيشو" :

- هذا مما لا شك فيه .. وقد طلبت إلى "أرنولد" أن يرقب البرج من الخلف خشية أن تكون هناك نافذة يفر منها القاتل .. ثم جثوت بجانب مسيو "جرسان" .. وكان الرجل يحتضر .. ولا قدرة له على النطق بغير كلمات مضطربة غير مفهومة .

حللت رباط رقبته وبنيقته (ياقته) فوجدت قميصه ملوثاً بالدم وكانت مدام "جرسان" قد سمعت الطلق الناري .. فلحقت بنا وهي في أشد حالات الذعر .. وأسلم زوجها الروح بين ساعديها .

* * *

وهنا ساد الصمت مرة أخرى . وتبادل قاضي التحقيق ووكيل النيابة بضع كلمات بصوت خافت .

أما "راؤول دافيناك" .. فإنه قنع بالإصغاء والتفكير .. ولم ينطق بكلمة واحدة .

قال "بيشو" :

- والآن يا سيدي القاضي .. أرجو أن تتكرم بمرافقتي إلى مكان الحادث .. لتكون إيضاحاتي أتم وأكمل .

فوافق قاضي التحقيق ، وقصدوا الجسر : الذي كانت نظرة سريعة إليه ، كافية لإقناع "راؤول" بانه اثبت مما توهم "بيشو" .

أما برج الحمام فكان منخفضا ، وقد شيد بقوالب من الطوب الأحمر والأبيض والأسود ، وسدت بالأسمنت تلك الثغرات الصغيرة التي كانت تستخدم لخروج الحمام ودخوله .

دخل القوم البرج : وكانت أرضه مليئة بالأوحال والماء الآسن ، فسأل مسيو "فرتيليه" :

- هل قمت بتفتيش هذا البرج يا مسيو "بيشو" ؟

فأجاب "بيشو" :

- نعم يا سيدي .. ولم يكن متعذرا علي أن الاحظ في الحال أن القاتل لم يكن مختفيا في هذا المكان البادي لعيوننا .

ولكني عندما سألت مدام "جرسان" انباتني بوجود طابق في أسفل البرج أشبه شيء بقبو أو سرداب . وأنها تذكر أنها كثيراً ما هبطت مع جدها إلى هذا الطابق وهي صغيرة .

ولم أكن أريد إضاعة شيء من معالم الجريمة . فأرسلت "ارنولد" بالدراجة لاستدعاء أحد الأطباء من "ليلبون" وإخطار رجال الشرطة هناك بالجريمة .

وانطلقت الخادمة "شارلوت" للإتيان بأغطية لإخفاء الجثة . وركعت مدام "جرسان" بجانب زوجها وراحت تصلي . أما أنا فشرعت في الحال في إجراء البحث والتحقيق .

- هل قمت بالتحقيق وحدك ؟

- نعم ولكن بكل ما أملك من ذكاء ومقدرة .. وسرعان ما عثرنا في هذا الماء الآسن بالسلاح الذي ارتكبت به الجريمة .. وهو مسدس ذو سبع رصاصات .. تستطيع يا سيدي أن تراه في الماء حيث وجدته .

قال ذلك وأشار باصبعه إلى حيث كان المسدس . ثم استطرد :

- واكتشفت كذلك باباً صغيرا من الخشب يؤدي إلى سلم حلزوني

يوصل إلى الطابق الأسفل الذي ذكرت مدام "جرسان" أنها كانت تهبط إليه مع جدها وهي صغيرة .. وقد وجدت هذا الطابق خلوا من كل إنسان .. هل تتفضل بمرافقتي إليه يا سيدي القاضي ؟

وأضاء "بيشو" مصباحه الكهربائي وأخذ في هبوط السلم ، وتبعه قاضي التحقيق ووكيل النيابة و "راؤول" .

كان القبو عبارة عن غرفة صغيرة لا تزيد مساحتها عن خمسة أمتار مربعة .. وكانت هذه الغرفة في وقت تضاء بالكهرباء بدليل وجود بعض بقايا الأسلاك الكهربائية .

سأل القاضي وهو يضع منديله على أنفه ليحجب عن خياشيمه رائحة الرطوبة والعفونة :

– وهل فتشت هذا المكان جيدا فلم تجد به أحدا يا مسيو "بيشو" ؟

– نعم يا سيدي القاضي . لم أجد به أحداً .

– ألم تجد به أي مخبأ ؟

– إنني قمت بزيارة ثانية لهذا القبو برفقة رجال البوليس واستوثقت من أنه لا يوجد أي مخبأ آخر .. وبعد فإن من المستحيل على الإنسان أن يجد جوا صالحا للتنفس في مكان تحت هذا القبو .

– وماذا استنتجت يا مسيو "بيشو" ؟

– أعترف بخضوع يا سيدي القاضي أنني لم أستنتج شيئاً ... كل ما أعلمه أن مسيو "جرسان" قتل وأن الذي قتله هو شخص كان مختبئا داخل هذا البرج .. ولكن ماذا كان مصير هذا الشخص .. وإلى أين ذهب . وكيف اختفى ؟ كل هذه أسئلة لم أوفق إلى جواب عنها .

كذلك سألت نفسي : لماذا قتل القاتل مسيو "جرسان" ؟ وهل كان يترصده وينتظر ذهابه إلى البرج ليفتك به ؟ وهل الغرض من الجريمة هو الانتقام ؟ أو أنها ارتكبت عفوا ؟ ولكني لم أوفق إلى معرفة الجواب..

أنا واثق من أن شخصا كان مختبئا هنا.. وراء باب البرج .. وأن هذا الشخص قد أطلق الرصاص على مسيو "جرسان" .. وها هو المسدس .

ذلك كل ما نعلمه . ولم أستطع .. وكذلك لم يستطع رجال البوليس

معرفة المزيد .

* * *

وقد نطق "بيشو" بعباراته الأخيرة بلهجة التأكيد . مما أشعر القوم بأنهم أمام جريمة غامضة من نوع لا يرجى كشفه .

قال مسيو "فرتيليه" في شيء من التهكم :

- ومع ذلك فهناك قاتل .. وهذا القاتل موجود حتما في مكان ما.. هذا إذا لم يكن قد غاب في بطن الأرض أو تبخر في الهواء.

فأجاب "بيشو" في شيء من الحدة :

- ابحث عنه يا سيدي القاضي .

- سنبحث عنه بالتأكيد يا سيدي المفتش .. ولكني واثق أن تعاونك معنا سيؤدي إلى أفضل النتائج .

لا توجد في الجرائم معجزات .. ولكن توجد حيل وألاعيب .. وأنا واثق أن التحقيق الدقيق يكشف حتما عن حقائق الجريمة مهما اكتنفها الغموض .

وشعر "بيشو" أن مهمته قد انتهت مؤقتا .. فقال محدثا "راؤول دافيناك" وهو يتأبط ساعده :

- ما رأيك في هذا ؟

- رأيي ؟ لا شيء .

- لابد أن تكون لديك فكرة ما ..

- في أي شأن ؟

- في شأن المجرم والطريقة التي فر بها .

- عندي طائفة من الأفكار والآراء .

- ولكني كنت أرقبك عن كثب ، وقد خيل إلي أنك في شغل بالتفكير في أمر آخر .. بل وخيل إلي كذلك أنك متبرم ..

- هذا صحيح ، لقد كنت متبرما بالقصة التي سردتها .. إنك تطيل وتسهب بغير مبرر .

فقطب "بيشو" حاجبيه وأجاب :

- إنني قلت كل ما يجب ذكره .

- ولكنك لم تفعل كل ما كان يجب عليك أن تفعله .. والدليل على ذلك

أنك لم تصل إلى نتيجة .

- وأنت ؟ هانت قد سمعت التفاصيل .. فاعترف بانك لم تدرك اكثر مما أدركت ، ولم تتقدم عني خطوة واحدة .

- بل لقد تقدمت خطوات كثيرة .

- أوضح غرضك ..

- إنني اعرف كيف وقع الحادث . وذلك امر لا يستهان به .

فنظر إليه "بيشو" في ارتياب وسأل :

- هل تقول لي ماذا عرفت ؟

- لا بالتاكيد .

- لماذا ؟ ..

- لأنك لا تستطيع أن تفهم ..

الفصل الرابع

هجوم

لم يغضب "بيشو" ولم يحتج على "راؤول" ..

كان يعلم عن صاحبه أنه رجل دقيق الملاحظة .. وأنه لابد قد أدرك من هذه الحوادث أكثر مما أدرك هو .. فأراد أن يستدرجه ليعرف ما عنده

فسار معه في الطريق إلى القصر .. وراح يقول كمن يحدث نفسه :

- ما أكثر المعميات التي تعتري هذا الحادث .. وما أكثر الأمور التي يجب جلاؤها قبل إماطة اللثام عن الحقيقة .. أليس كذلك ؟ إنك تسلم معي بالتأكيد أنه من غير المعقول أن يبقى المجرم في البرج بعد أن ارتكب جريمته .. فلو أنه بقي في البرج لعثرنا به .. وألقينا القبض عليه ..

كذلك من المستحيل أن يكون قد خرج .. لأن أحدا لم يره وهو يخرج . فالنتيجة إذن ...

وبعد .. فما هو سر الجريمة ؟ لقد وصل مسيو "جرسان" منذ يومين فكيف أمكن للشخص الذي أراد التخلص منه - لأن الغرض من الجريمة هو بغير شك التخلص من القتيل - أقول كيف أمكن للقاتل أن يتوقع زيارة مسيو "جرسان" للبرج ؟

وصمت "بيشو" .. ونظر إلى وجه "راؤول" كمن ينتظر الجواب ولكن "راؤول" لزم الصمت

استطرد "بيشو" قائلا :

- أعلم أنك ستعترض علي بقولك إن الجريمة ربما ارتكبت عفوا وعن غير قصد .. وأن القاتل أطلق الرصاص لأن مسيو "جرسان" فاجأه في ذلك البرج الذي اتخذه مقراً له .. ولكن هذه النظرية سخيفة وغير معقولة .. لأن مسيو "جرسان" قضى دقيقتين أو ثلاثا في محاولة فتح البرج وهي مدة كافية لفرار اللص .. أضف إلى ذلك أنه لا يوجد دليل على أن القاتل لص اتخذ من البرج مقرا له .. اعترف بأن هذا التدليل كما لو كان "راؤول" قد أدلى حقا بالاعتراض الذي اهتم هو بتنفيذه .

غير أن "راؤول" أصر على الصمت . ففكر "بيشو" في الهجوم بطريقة أخرى فقال :

- إن حادث الجريمة ليس أقل غموضا من حادث اختفاء "كاترين مونتسييه" . والإنسان يجب أن يسأل كيف قضت هذه الفتاة يوم أمس وكيف اختفت ثم كيف عادت . وفي أية ساعة عادت ؟

كل هذه أسرار .. وأسرار عويصة لا أفهم كنهها .. ولا شك أنك كذلك لا تفهم كنهها .. لأنك لا تعلم شيئا عن حياة هذه الفتاة أو ماضيها . ولا تعرف آمالها ومخاوفها . فقال "راؤول" :

- هذا صحيح .. إنني أجهل كل شيء عنها .

- وأنا كذلك . ولكني أستطيع على الرغم من هذا أن أقدم إليك بعض المعلومات .

- هذه المعلومات لا تهمني في الوقت الحاضر .

فأسقط في يد "بيشو" وصاح :

- إذن ماذا يهمك ؟ وفيم تفكر ؟

- إنني أفكر في شخصك .

- في شخصي ؟

- نعم ..

- وكيف تفكر في ؟

- كما اعتدت أن أفكر فيك دائما .

- أي على اعتبار أنك رجل غريب الأطوار .

- ماذا تعني ؟

- أعني أنني لم أستطع أن أعرف حتى الآن لماذا جئت إلى (راديكاتل)؟

- ألم أقل لك إنني جئت أقضى هنا أيام النقاهة بعد المرض الطويل الذي أصابني .

- إن لك كل الحق في أن تعنى بصحتك . ولكن لماذا لم تقصد مثلا إلى (بانتان) أو (شارنتون) ؟ ولماذا اخترت هذه البقعة الحافلة بالمستنقعات ؟؟ هل هي مسقط رأسك ؟

فأجاب "بيشو" في شيء من الحيرة :

- كلا . ولكني آثرتها على غيرها لأن المنزل الذي أقيم فيه ملك لأحد أصدقائي .. ولذلك ..

- أنت تكذب .

- ماذا تعني ؟

- دعني أر ساعتك أيها العزيز "بيشو" .

فأخرج "بيشو" ساعته في غير تردد فقال "راؤول" :

- هل تريد أن أقول لك ماذا تحت غطاء هذه الساعة ؟

فأجاب "بيشو" وقد ازداد اضطرابه :

- لا يوجد شيء .

- بل توجد ورقة صغيرة . وهذه الورقة هي عبارة عن صورة لعشيقتك .

- عشيقتي ؟!

- نعم .. عشيقتك الطاهية .

- بماذا تهذي يا هذا ؟

- أنت عشيق "شارلوت" الطاهية ..

- إن "شارلوت" ليست طاهية .. ولكنها وصيفة .

- إنها وصيفة تقوم بطهو الطعام وتشغل عندك وظيفة العشيقة.

- أنت مجنون .

- لا أقل من انك غارق في حبها إلى اذنيك .

- أنا لا أحبها .

- إذن لماذا تحتفظ بصورتها ؟

- وكيف علمت ذلك ؟

- إنني نظرت إلى ساعتك في الليلة الماضية . كانت تحت وسادتك ..

فغمغم "بيشو" قائلا :

- يالك من شقي .

واشتد به الحنق وأغضبه أن يجد "راؤول" سببا جديدا للهزء به.. وهل هناك سبب أهم من أن يعلم عنه أنه عاشق طاهية ؟

قال بلهجة التأكيد :

- أكرر عليك القول إن "شارلوت" ليست طاهية . وإنها وصيفة فقط..

بل إنها تكاد تكون صديقة لمدام "جرسان" .

وقد تعرفت بها في باريس عندما دخلت في دور النقاهة وهي التي حدثتني عن هذه المنطقة وعن هوائها النقي . فلما جئت إلى (راديكاتل) قدمتني إلى مدام "جرسان" واختها . وعملت على توثيق أواصر الصداقة بيني وبينهما .. هذا كل ما هنالك .

إنها امرأة ذات فضيلة وطهارة .. وأنا أحترمها ولا يخطر لي ببال أن أطلب إليها أن تصبح عشيقة لي .

- اطلب إليها إذن أن تصبح زوجتك .

- هذا من شؤوني الخاصة .

- بالتأكيد .. ولكن كيف لامرأة لها كل هذه الصفات التي تتغنى بها أن ترضى بالإقامة مع أحد الخدم في غرفة واحدة ؟

- إن "آرنولد" ليس خادما .. ولكنه وصيف .. وهو فضلا عن ذلك رجل حقيق بكل احترام .

فصاح "راؤول" :

- يا "بيشو" .. إنك فيلسوف سعيد الحظ . سوف تصنع لك زوجتك الجديدة أشهى الأطعمة .. ولهذا سوف أستأجر غرفة في منزلكما ..

وبعد .. فإنني أعجب بخطيبتك هذه .. فهي جميلة التقاطيع .. جميلة التكوين .. نعم .. نعم .. إنني خبير بجمال النساء كما تعلم..

ولهذا لا يسعني إلا أن اهنئك .

فعض "بيشو" على شفته قهرا . وهتف :

- كفى .. كفى .. هاهي الآنسة "كاترين مونتسييه" مقبلة نحونا. وهي بالتأكيد لا تهتم لهذا الحديث .

وكانا قد بلغا إلى القصر فهم "بيشو" بأن يقدم صديقه إلى "كاترين".. ولكن "راؤول" أسرع إلى الفتاة وقبل يدها باحترام . وقال في لهجة تنم عن الصداقة الوطيدة :

- طاب صباحك يا "كاترين" . كيف حالك ؟

فسأل "بيشو" في دهشة وحيرة :

- ما معنى هذا ؟ هل تعرف الآنسة ؟

- كلا .. .. ولكنك حدثتني كثيراً عنها .

فراح "بيشو" ينقل البصر بينهما ويفكر ..

"ما معنى هذا ؟ هل من الممكن أن يكون "راؤول" قد عرف الفتاة من قبل . ولذلك سعى إلى إنقاذها من مضايقات التحقيق ؟"

ويئس "بيشو" من الوصول بتفكيره إلى نتيجة . فحول إلى "راؤول" ظهره وابتعد .

أما "راؤول" . فإنه انحنى أمام الفتاة مرة أخرى وقال :

- عفوا يا آنسة إذا كنت قد تحدثت إليك في غير كلفة .. ولكن الواقع أنه يلذ لي دائما أن أوقع صديقي "بيشو" في الحيرة .. وقد نجحت في التو واللحظة في مضايقته وحمله على الابتعاد عنا.

فقالت له :

- لك أن تفعل ما يروقك يا سيدي ..

وخيل إليه أنها متعبة . فنصح لها أن تتجنب المحققين ما أمكن قال لها :

- لا تبرحي غرفتك يا آنسة إلى أن أتبين الموقف على حقيقته.. يجب أن نتخذ جميع الاحتياطات ضد كل هجوم مفاجئ .

فسألته في شيء من الجزع :

- هل هناك ما تخشاه يا سيدي ؟

- كلا .. ولكني أشفق دائما من المواقف الغامضة غير الجلية .

* * *

ثم طلب إليها أن تسمح له بتفقد القصر ، فأمرت "أرنولد" بأن يرافقه.. فزار الطابق الأرضي ثم صعد إلى الطابق الأول حيث تتفرع جميع الغرف من بهو كبير .. بيد أن الغرف ذاتها كانت ضيقة . وقد شيدت على طراز القرن الثامن عشر .

ووجد "راؤول" أن هناك سلما يفصل بين غرفتي "برتراند" و"كاترين" وأن هذا السلم يؤدي إلى الطابق الثاني . حيث يوجد مخزن للغلال وقاعات صغيرة للخدم .. وكانت قاعة "شارلوت" تقع مباشرة فوق غرفة "كاترين" . وقاعة "أرنولد" تقع فوق غرفة "برتراند" .. أما نوافذ الغرف في الطابقين فكانت تطل على الحديقة .

فرغ "راؤول" من تفقد غرف القصر .. ولما هم بالانصراف : وجد

قاضي التحقيق ووكيل النيابة يواصلان البحث والتحقيق برفقة "بيشو" فاراد أن يتجنب الجميع .. وقصد لتوه إلى الباب الصغير الذي نفذت منه "كاترين" في الصباح . وكان قد أخذ منها مفتاحه . ففتح ذلك الباب وانصرف منه دون أن يشعر به أحد .

* * *

انطلق "راؤول" لتوه إلى قصر (بسم) حيث تقيم الكونتس "دي بسم" التي أقامت العراقيل بين ابنها وخطيبته "كاترين" .. فدار به من كل ناحية . ووجد أنه صورة مكبرة للقصر الصغير الذي تقيم فيه "كاترين" واختها .

ثم تناول "راؤول" طعام الغداء في أحد المطاعم . ثم أخذ يتحدث إلى بعض المزراعين .. فعلم أنهم يعلمون بأمر خطوبة "بيير دي بسم" إلى "كاترين مونتسييه" . وباعتراض الكونتس على هذه الخطوبة .. وقال بعضهم إنهم كثيراً ما رأوا الشابين المتحابين ينتزهان معا في الغابة .

قال "راؤول" لنفسه :

- كل هذا واضح جلي . فقد حتمت "الكونتس" على ولدها أن يرحل لينسى "كاترين" وتقطع الصلة بينهما . فكتب الشاب إلى صاحبته تلك الرسالة التي ما كادت "كاترين" تتسلمها وتقرأ مضمونها حتى استولى عليها الجزع . واليأس . ففرت من قصر (باريفا) وفزعت إلى المكان الذي طالما اجتمعت فيه بحبيبها . ولكنها لم تجده .

وقصد "راؤول" إلى الغابة التي حدثه عنها المزارعون فاخذ يجول في أنحائها . حتى انتهى إلى بقعة فسيحة فيها بساط بديع من العشب . وتحيط بها طائفة من الأشجار تكاد تحجبها عن العيون . فترجح لديه في الحال أنها البقعة التي اعتاد العاشقان أن يقضيا فيها أمتع اللحظات .

جلس هناك .. وشرع يفكر .. ولكنه ما لبث أن رأى ما أدهشه .

رأى على بعد عشرة أو خمسة عشر متراً شيئا يتحرك .

كان ذلك الشيء هو طائفة من أوراق الأشجار .. خيل إليه أنها مرتكزة على جسم غير ثابت .. فقصد إليها . وما كاد يقترب منها حتى اشتدت حركتها . ثم خرج من بينها رأس عجيب . رأس امرأة عجوز

متوج بإكليل من ورق االشجر .

وفي ذات الوقت . خرج من تحت أوراق الشجر جسم نحيف هزيل . ورأى "راؤول" أمامه مخلوقة تنظر إليه بعينين مروعتين . وتحاول النهوض ..

وكأنما قد أعجزها الضعف عن الوقوف . فسقطت على الأرض مرة أخرى . واحتوت رأسها بين كفيها وراحت تئن وتتوجع .. كما لو كانت قد أصيبت في جمجمتها إثر ضربة شديدة آلمتها .

راح يلقي عليها الأسئلة .. ولكنه لم يسمع منها سوى تمتمة غير مفهومة ولم يدر ما يصنع بها .. فعاد أدراجه إلى القرية وحدث صاحب المطعم الذي تناول فيه طعامه عن هذه العجوز فأجابه الرجل على الفور :

- إنها معروفة باسم مدام "فوشيل" .. أو الأم "فوشيل" . وهي امرأة أفاقة فقدت رشدها وراحت تهيم على وجهها منذ مات ولدها.

كان ابنها قصابا (جزارا) وقد حدث أنه كان يقتطع إحدى أشجار السنديان فسقطت عليه الشجرة وسحقته . .

وقد اشتغلت هذه العجوز فترة من الوقت في مزارع قصر (باريفا) في عهد مسيو "مونتسييه" .

* * *

وقد عاد "راؤول" وصاحب المطعم إلى حيث كانت الأم "فوشيل" . فتعاونا على نقلها إلى الكوخ الصغير الحقير الذي اتخذته مسكنا لها بالقرب من طرف الغابة . وقد راحت المرأة طيلة الطريق تردد كلمات استطاع "راؤول" آخر الأمر أن يتبين منها قولها .

(أشجار الصفصاف الثلاث .. أقول لك يا آنستي الحسناء إن ذلك السيد . إنه يريدك أنت وسيقتلك أيتها الحسناء . فكوني على حذر) .

فقال صاحب المطعم محدثا "راؤول" :

- إنها معتوهة كما قلت . إلى اللقاء يا مدام "فوشيل" . اجتهدي أن تنعمي بالنوم .

فبكت العجوز في هدوء وخفوت . وهي لا تزال تضغط رأسها بين كفيها .. وتبدو على وجهها علامات الألم الشديد .

وقد رأى "راؤول" في رأسها خصلة من الشعر ملوثة بالدم .. فادرك في الحال سر تألم العجوز . ودار ببصره حول الكوخ فعثر بغصن شجرة تدل جميع الدلائل على أنه قطع حديثا وكان أحد طرفي الغصن ملوثا كذلك بالدم .

قال لنفسه :

- هذا هو السر إذن . لقد ضربت العجوز التعسة على أم رأسها حتى أغمي عليها . فظن المعتدي أنها ماتت . وحملها إلى الغابة حيث دفنها تحت أوراق الشجر . ولكن ترى من هو هذا المعتدي . ولماذا حاول الفتك بها ؟ ترى هل لهذا الحادث علاقة بمصرع مسيو "جرسان"؟

وتذكر "راؤول" الكلمات التي كانت تتمتم بها العجوز كقولها :

"آنستي الحسناء" فسأل نفسه : ألا يحتمل أن تكون هذه الآنسة الحسناء التي تعنيها العجوز هي "كاترين مونتسييه" ؟ وهل يبعد أن تكون "كاترين" قد قابلت العجوز وهي شاردة في الغابة ؟ .. فنطقت العجوز بتلك النبوءة المزعجة إذ هتفت بها "إنه سيقتلك يا آنستي العزيزة فكوني على حذر" فذعرت الفتاة وفرت إلى باريس . ولجأت إليه في طلب المعونة ؟!

نعم .. لا يبعد أن يكون ذلك هو تعليل الحادث ..

وحاول "راؤول" عبثا أن يفهم شيئا عن "أشجار" الصفصاف الثلاث" التي ذكرتها العجوز في هذيانها .

وأخيرا قرر أن هذه الأشجار ربما كانت لغزا آخر من تلك الألغاز التي لا تبطئ أن تحل نفسها بنفسها كغالب الألغاز التي يصادفها الإنسان في حياته .

* * *

وعاد "راؤول" إلى القصر عند الغروب . فوجد أن قاضي التحقيق ووكيل النيابة والطبيبين قد رحلوا ، ولم يبق في القصر سوى "بيشو" ..

قال له يشير إلى الجندي المكلف بحراسة القصر :

- إن حارسا واحداً لا يكفي يا "بيشو" .

فأجابه "بيشو" في حدة :

- لماذا ؟ هل عندك من جديد ؟ هل تشعر بالقلق ؟
- وأنت ؟
- ولماذا أشعر بالقلق ؟ إننا بصدد حادث وقع وانتهى .. ولست أنتظر وقوع حادث جديد .
- أما أنا فاعتقد أن الآنسة "كاترين مونتسبيه" مهددة بخطر ماحق .
- هذا كلام أجوف أعلم أن غرضك منه إثارة مخاوفنا .
- على رسلك يا عزيزي "بيشو" .. افعل مابدا لك .. اذهب إلى بيتك وتناول طعام العشاء . ودخن سيجارتك .. وتأمل صورة صاحبتك .. أما أنا فلن أتحرك من هنا .

فصاح "بيشو" :

- أتريدنا على أن تقضي ليلتنا هنا ؟
- نعم . وفي هذه الغرفة على هذين المقعدين الكبيرين . وإذا شعرت بالبرد خلعت عليك ثوبي . وإذا عضك الجوع جئتك بشيء من الحلوى . وإذا ارتفع صوت شخيرك استخدمت حذائي .. وإذا..

فصاح "بيشو" وهو يضحك .

- إنني لا أنام إلا بعين واحدة .
- وأنا أنام بالأخرى .

* * *

وتناولا طعام العشاء في القصر . ثم أخذا يدخنان ويسترجعان ذكريات الماضي والحوادث التي اشتركا فيها ثم دارا حول القصر مرتين وحول منتصف الليل . قال "راؤول" محدثا زميله :

- بأي العينين ستنام يا "بيشو" ؟
- باليمنى .
- أما أنا فسأنام باليسرى . ولكن سأترك أذني مفتوحتين .

* * *

وساد السكون في الغرفة والقصر . وكان "بيشو" قليل الثقة بوجود خطر فغلبه النعاس مرتين .. ارتفع شخيره في إحداهما فركله "راؤول" بقدمه حتى أيقظه .

واستولى النعاس على "راؤول" بدوره فنام نوما عميقا زهاء ساعة .

ثم وثب فجأة من مكانه . إذ خيل إليه أنه سمع صرخة انبعثت من مكان ما .

واستيقظ "بيشو" بدوره فقال له "راؤول" :

- لقد سمعت صراخا ..

- هذا غير صحيح .

ولكن الصراخ انبعث من جديد .. فصاح "راؤول" وهو يندفع نحو السلم :

- إن الصراخ منبعث من الطابق الأعلى .. من غرفة "كاترين" .. فقال "بيشو" :

- سأنطلق إلى الخارج . لأقبض على الشقي إذا وثب من النافذة ..

- وهل تنتظر حتى يقتل الفتاة ؟

قال "راؤول" ذلك .. وأطلق رصاصة في الفضاء . ليوقع الذعر في نفس المعتدي أولا ويوقظ الخدم ثانيا ..

وصعد "راؤول" السلم وثبا . وتبعه "بيشو" عن كثب .

وضرب "راؤول" بقبضة يده ضربة حطمت الزجاج ومد "بيشو" ساعده في الفراغ الذي أحدثه تحطم الزجاج . وحرك المفتاح . ففتح الباب . ودخل الرجلان الغرفة .

كانت مضاءة بمصباح كهربائي صغير . فأبصرا على ضوئه نافذة نصف مفتوحة . ولم يجدا بالغرفة أحدا سوى "كاترين" . وكانت الفتاة ممدة في فراشها وهي تئن أنين المختنق . فصاح "راؤول" :

- انطلق إلى الحديقة يا "بيشو" ريثما أعنى بها .

وأقبلت "برتراند" في هذه اللحظة . وانحنى الاثنان فوق الفتاة.. وشعرا في الحال بأنه ليس ثمة ما يستوجب القلق .

كانت تنفساتها لاهثة مضطربة .. فغمغمت تقول :

- أراد أن يخنقني .. فلم يتسع له الوقت .. فصاح "راؤول" مضطربا:

- أراد أن يخنقك .. قبحه الله .. من أين دخل هذا الشقي ؟

- لا أعلم .. أظن أنه جاء من النافذة .

- هل كانت مغلقة ؟

- كلا .. إنني لا أغلق النافذة أبدا .

- ومن هو ؟

- لا أعلم .. إنني لم أر غير شبح ..

ولم تفصح بأكثر من ذلك ... إذ غلبها التعب والانفعال فأغمي عليها.

الفصل الخامس

أشجار الصفصاف الثلاث

بينما كانت "برتراند" في شغل بمعالجة شقيقتها اندفع "راؤول" نحو النافذة بغية الاستطلاع فالفى "بيشو" ممسكا إفريزها بإحدى يديه ومتعلقا بالأخرى بحديد الشرفة المجاورة .

صاح به :

- ما هذا أيها الغبي .. أما أن لك أن تثب لتلحق به ؟

- وما الفائدة ؟ إن الليل شديد الحلكة ، وليس في الاستطاعة عمل شيء في هذا الظلام الدامس ..

- ربما استطعت من هنا أن أرى ..

وكان قد أخرج مصباحه الكهربائي وسلط ضوءه على الحديقة وحذا "راؤول" حذوه .. وما هي إلا لحظة حتى كانت الحديقة تسبح في الضوء :

قال "راؤول" :

- انظر .. إنني ألمح شبحا هناك .

- نعم من ناحية الخرائب .

وكان الشبح يثب وثبات غير منتظمة أشبه ما تكون بقفزات وحش مخبول .

وقال "راؤول" :

- ارقبه جيداً فسألحق به .

ولكنه قبل أن يثب من النافذة دوى صوت طلق ناري من الطابق الأعلى ، وكان الخادم "أرنولد" هو الذي أطلقه ، وفي الحال دوت في الحديقة صيحة ألم مزعجة . ودار الشبح حول نفسه وسقط على الأرض ، ثم نهض ثم سقط ثانية وظل في هذه المرة على الأرض بلا حراك .

والقى "راؤول" بنفسه في الفضاء وهو يصيح صيحات الانتصار ويهتف :

- أحسنت يا "أرنولد" .. لقد وقع في أيدينا .. لا تكف يا "بيشو" عن تصويب ضوء المصباح على هذا الوحش الضاري .. ارشدني إلى الطريق .

لكن "بيشو" لم يتمكن لسوء الحظ ، بدافع حماسته واندفاعه ، من الرضوخ لأمر "راؤول" بل وثب كذلك ليلحق به بعد أن أطفأ مصباحه ولما بلغا إلى المكان الذي سقط فيه الوحش الضاري - على حد تعبير "راؤول" - لم يجدا غير بعض الحشائش التي أدركها التلف من وطء الأقدام ولم يعثرا على أية جثة .

فزمجر "راؤول" وقال مؤنباً صاحبه :

- يالك من أبله يالك من مغفل .. إنك أخطأت خطأ فاحشا بلحاقك بي.. فقد اغتنم الأثيم فرصة الظلام وهرب .

فارتبك "بيشو" وكانت حاله تدعو إلى الإشفاق وقال :

- لقد حسبته مات . فلم أر موجبا للاستمرار في إضاءة الحديقة .

- لقد كان موته حيلة للفرار .

- ذلك لا أهمية له على كل حال : فسوف نقتفي أثره .

وانضم إليهما رجل الشرطة المكلف بالحراسة وتقدم ثلاثتهم زاحفين على الحشائش مدى أربع أو خمس دقائق ، وقادهم تتبع آثار الأقدام إلى ممر من الحجر تلاشى فيه كل أثر للمجرم الهارب ، فرأى "راؤول" من العبث الاستمرار في البحث وعاد لتوه إلى القصر .

أما "أرنولد" فإنه هبط السلم حاملا إحدى بنادق الصيد وكان قد استيقظ على صوت الرصاصة التي أطلقها "راؤول" فحسب بادئ الأمر أن عراكا نشب بين الشرطي وقاتل "جرسان" وفتح نافذته ليتبين الحقيقة ، ولكن لمح في غير وضوح شبح رجل يثب من غرفة "كاترين" فتربص به حتى سقط عليه نور المصباحين الكهربائيين وعندئذ أطلق البندقية فاصاب الهدف .

فقال "أرنولد" محدثا "راؤول" :

- مما يؤسفني حقا أنكما أطفأتما النور ، لكنه لن يفلت من بين أيدينا على كل حال فقد أصيب برصاصة في جنبه وسوف ينفق كحيوان وسوف نعثر على جثته في الوادي أو تحت شجرة أو جدار.

بيد أن تلك الأمنية لم تتحقق لأن البحث لم يسفر عن نتيجة وعلم "راؤول" من "برتراند" و "شارلوت" أن "كاترين" استغرقت في نوم هادئ .

فأخذ هو و "بيشو" قسطهما من الراحة ، ونهض "راؤول" في الصباح المبكر وخرج في البحث عن القنيصة ، بيد أنه لم يلبث عند عودته أن أقر بأن جميع ما بذله من محاولات وجهود قد انتهى إلى الفشل ، ولم يسفر عن أية نتيجة .

قال "بيشو" :

- في رأيي أن الشقي الذي قتل مسيو "جرسان" وهم باغتيال حياة "كاترين" لم يتجاوز أسوار هذه الحديقة فلا ريب أنه قابع في مخبأ أمين لا نستطيع الوصول إليه بسهولة ، ولا ريب كذلك أنه يسخر منا ويترقب أول فرصة ، بعد أن يسترد قواه ليعاود الكرة .

فأجاب "راؤول" ولم يكن قد نسي كلمات الأم "فوشيل" :

- ينبغي علينا في هذه المرة ، بصفة خاصة ، أن نكون أعظم حنكة وأوفر مكراً مما كنا في الليلة الماضية ، وإلا ذهبت "كاترين" ضحية هذا القاتل الأثيم .

وفي اليوم التالي رافقت "برتراند" جثة زوجها إلى باريس حيث ووريت التراب . وفي أثناء غيابها ، اشتدت وطأة المرض على "كاترين" إذ أصيبت بحمى وازداد ضعفها فلم تبرح فراشها .

أما "راؤول" و "بيشو" فقد أقاما في غرفتين ملاصقتين لغرفتها، وراحا يتناوبان الحراسة .

وكان التحقيق في هذه الأثناء مستمرا ؛ بيد أنه كان مقصورا على جريمة قتل مسيو "جرسان" . لأن "راؤول" اهتم بكتمان حادث المحاولة التي وقعت على "كاترين" . وهكذا ظلت الفتاة بعيدة عن التحقيق ، فلم توجه إليها إلا بضعة أسئلة لإثبات أقوالها لا أكثر ولا أقل ، وقد أجابت عن تلك الأسئلة بأنها لا تعرف شيئا عن كل ما وقع من الحوادث.

أما "بيشو" فقد أحنقه ما رآه من تراخي "راؤول" وعدم اكتراثه، وقعوده عن مساعدته في حل ألغازها . ولذلك استقدم من باريس اثنين من زملائه كانا مثله بالإجازة . وما إن التقوا - ثلاثتهم - حتى شرعوا

في استخدام وسائل رجال البوليس السري في البحث والتحقيق فقسموا الحديقة إلى مناطق وضعوا عند كل منطقة منها إشارة خاصة للدلالة عليها . ثم راحوا يفحصون كل حصاة وكل عود يصادفهم ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فلم يكشفوا عن مغارة أو نفق أو حفرة يحتمل أن يكون الجاني قد لجأ إليها .

قال "راؤول" لـ"بيشو" متهكما :

- إنكم لم تكتشفوا ثقب فأر . لكن لم تفكروا في الأشجار يا "بيشو" ؟ من يدري .. ربما كان هناك قرد أثيم مختبئا بين أغصانها ؟

فاحتدم "بيشو" وأجاب :

- يخيل إلي أنك نفضت يديك من الحادث وأصبحت لا تعبأ لشيء .

- كلا .. إنني لا أعبأ لغير الآنسة "كاترين" .

- وهل تعتقد أنني استقدمتك من باريس لتنعم بسواد عينيها أو لقضاء الوقت في صيد السمك ؟ إنك تضيع الوقت في هذا العبث، أو في مشاهدة قطعة من الفلين وهي تطفو فوق الماء ، فهل رأيت في هذه القطعة من الفلين كلمة السر ؟

فقهقه "راؤول" وقال :

- بالتأكيد . إن كلمة السر هي عند نهاية خيط السنارة فامسك بها والق بها في الماء الذي يغمر جذع هذه الشجرة أيها الأعمى ؟

فانبسطت أسارير "بيشو" وقال مستبشرا :

- هل وقفت على جديد ؟ هل اختبأ الرجل تحت الماء ؟

- لقد فعل ذلك بلا ريب ، فاتخذ من قاع النهر فراشا له ، وقبع هناك يأكل ويشرب ويسخر منك .

فنظر "بيشو" إلى السماء وهز رأسه . وتركه "راؤول" ومضى إلى غرفة "كاترين" .

واستردت "كاترين" صحتها نوعا ما في الأسبوع التالي واستطاعت أن تجلس على مقعد طويل وأن تقابل "راؤول" وتتحدث إليه . فأخذ يتردد عليها كل يوم فيواسيها في مرضها ويرفه عنها بأحاديثه ونكاته .

قال لها "راؤول" بلهجة تذهب بين الجد والدعابة :

- إنك أصبحت الآن لا تخافين شيئا ؛ أليس كذلك ؟ إن ما اتفق لك طبيعي ، فلا يكاد يمضي يوم دون أن تقع فيه مثل هذه المحاولة التي أوشكت أن تكوني ضحيتها . نعم .. هذه الحوادث عادية ، وإنما المهم هو ألا تتكرر : وأنا هنا على كل حال لحمايتك . إنني أعرف ما يستطيع ان يفعله عدونا أو أعداؤنا ، وأنا المسؤول .

وظلت الفتاة فترة طويلة ملتزمة جانب الكتمان . فكانت تبتسم باطمئنان رغم ما حدث لها . وتقهقه ضاحكة إذا همس "راؤول" في أذنها إحدى النكت : لكنها كانت تصمت إذا سألها عن بعض الوقائع .

ولقد أعوزه وقت طويل ، وكثير من الكياسة واللباقة . والمداراة ، حتى أفلح في أن يشعرها بحاجتها إلى الترفيه عن نفسها بالكلام . وقد رآها ذات يوم أكثر تبسطا فقال لها :

- هيا يا "كاترين" .. تكلمي .. تكلمي .. وأفضي إلي بما كان في نيتك الإفضاء به عندما جئت إلي في باريس وطلبت معونتي . إنني ما زلت أذكر الكلمات التي نطقت بها . فقد قلت .. (إنني أعرف انني محوطة بأشياء غامضة . وأن أشياء أخرى ستقع .. وهي تخيفني) وقد وقع فعلا بعض ما كنت تخشين في الماضي فإذا أردت أن تكوني بمأمن من كل خطر فعليك أن تتكلمي في صراحة .

وكانت الفتاة لا تزال حائرة مترددة فمس "راؤول" يدها بلطف ونظر إليها نظرة عطف احمر لها وجهها وأخيرا قالت لتستر ارتباكها :

- إنني في الواقع أرى مثل رأيك ، بيد أنني نشأت منذ نعومة أظفاري على بعض عادات لا أستطيع أن أتحول عنها ، ومن هذه العادات التحفظ والكتمان . لقد كنت سعيدة فيما مضى وكنت أميل إلى الوحدة والعزلة ولما فقدت جدي ازددت ميلا إلى العزلة والصمت. وكنت شديدة الحب لشقيقتي غير أنها تزوجت وكانت كثيرة الأسفار . وقد أدخلت عودتها السرور على نفسي ، ولشد ما ابتهجت بالمجيء إلى هنا للإقامة معها . ولكن بالرغم من ذلك ، وبالرغم من الحب المتبادل بيننا . فإن كلا منا تفتقر إلى الثقة التي تحملها على أن تكشف للأخرى عن مكنون قلبها . وأعترف أن ذلك كان خطئي ، فأنت تعلم بغير شك أنني خطبت وأنني أحب من صميم قلبي خطيبي "بييردي

بسم" وأنه يبادلني الحب . ومع ذلك فإن بيني وبينه شبه حاجز منيع، وذلك أيضا نتيجة للوحشة الغريبة التي تملأ جوانب نفسي ، وعدم اندفاعي وراء العواطف الجامحة وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

- هذا الإسراف في التحفظ قد يكون مقبولا فيما له علاقة بالعاطفة وأسرار القلب ، ولكنه يصبح سخفا وحمقا عندما يتعدى ذلك إلى الحوادث اليومية سيما إذا اتخذت هذه الحوادث شكلا شاذا أو على الأقل غير عادي وذلك بالذات ما اتفق لي منذ جئت قصر (باريفا) . كان ينبغي لي أن أقول الحقيقة في صدد بعض الحوادث الغريبة التي أذهلتني ، ولكني بدلا من ذلك قد لزمت الصمت حتى وصفوني بأنني أعيش في الخيال وأصبحت أخيرا لا أطيق احتمال المخاوف التي لم أشأ أن يشاطرني أحد أعباءها.

وصمتت من جديد فقال لها "راؤول" :

- أرى أنك مازلت مترددة كأنك لا تريدين أن يشاطرك أحد مخاوفك .

- كلا ..

- هل في نيتك إذن أن تفضي إلي بما لم تفضي به لأي إنسان آخر ؟

- نعم .

- لماذا ؟

- لا أدري .

قالت "كاترين" ذلك في حزن ثم استطردت :

- نعم ... لا أدري .. ولكني لا أستطيع أن أفعل غير ذلك إني مرغمة على أن أطيعك ؛ وأعتقد في ذات الوقت أنني على حق في طاعتي لك ... ربما بدت لك قصتي لأول وهلة صبيانية : ومخاوفي قليلة الأهمية ؛ ولكن لا ريب أنك ستفهمني ..

ثم راحت بعد ذلك تروي له قصتها ، فقالت :

- "لقد وصلت شقيقتي إلى ضيعة باريفا في مساء ٢٥ أبريل الماضي؛ وكان المنزل رطباً ، وكان مهجوراً منذ مات جدي أي منذ ثمانية عشر شهراً تقريباً . فقضينا تلك الليلة تتجاذبنا عوامل القلق . ولكنني شعرت في صبيحة اليوم التالي عندما فتحت نافذة غرفتي بابتهاج عظيم إذ رأيت من جديد تلك الحديقة التي نعمت بها في

طفولتي . وعلى الرغم مما أصاب الحديقة من التلف ، وازدحامها بالنباتات الطفيلية والأغصان الجافة فقد كنت لا أزال أرى فيها تلك الحديقة التي تمتعت فيها بأوفر قسط من السعادة . فكل ما كنت أراه جميلا في حياتي الماضية بعث من جديد أمام ناظري . ولم يدر بخلدي غير خاطر واحد هو إحياء ذكريات الماضي التي حسبتها قد اندثرت . فما كدت أرتدي ثيابي حتى سارعت وأنا أنتفض من الفرح إلى تجديد العلاقة بيني وبين أصدقاء طفولتي من نهر جميل وأشجار يانعة وأحجار قديمة أنقاض وخرائب وبقايا التماثيل التي كان جدي مغرما بإقامتها في مماشي الحديقة . إن عالمي الصغير المستقل كان يتمثل في كل تلك الأشياء الصغيرة الجميلة ، وكان يخيل إلي أن هذا العالم ينتظرني ، وانه قابل عودتي بذات الحنان . وذات العطف اللذين شعرت بهما عندما جئت إليه .

لكن كانت هناك بقعة حفظت لها في نفسي أجمل الذكرى ، فلم يكن يمر بي يوم في باريس إلا تمثلتها في ذهني لأنها كانت مبعث كل أحلامي كفتاة تعيش بخيالها وتؤثر الوحدة والعزلة على كل شيء آخر. كنت في باريس الهو والعب إرضاء لغرائزي الطائشة العابثة ، أما هنا فلم أكن أحرك ساكناً . كنت فقط أنقاد وراء خيالاتي فأبكي بلا سبب ؛ وانظر دون أن أبصر إلى النمل وهو يجري ؛ وإلى الطيور وهي تسبح في الفضاء . وكنت أقول لنفسي. إذا جاز أن تكون السعادة سلبية : وأن تتمثل في هذا الخمول اللذيذ ، وهذا الاستغراق التام في الغيبوبة ، فلا شك أنني نلت أقصى حدود السعادة باستسلامي للخيال في هذه البقعة المحبوبة بين هذه الأشجار الثلاث المنعزلة أشجار الصفصاف الجميلة التي كنت أحبها . فكنت اضطجع فوق أغصانها . أو أهتز في أرجوحة مريحة ثبتها بين جذوعها .

سرت نحو تلك الأشجار كما يسير المؤمن إلى الكعبة برغبة حارة أكيدة ؛ وخشوع عميق ، فذهبت أشق طريقي بين العوسج والنباتات الطفيلية التي تسد الطريق إلى الجسر العتيق . ذلك الجسر المتداعي الذي طالما رقصت عليه عناداً وتحدياً لأهلي الذين كانوا يمنعونني من أن أغامر بنفسي بالوقوف عليه . اجتزت الجسر . وعبرت الجزيرة

وتبعت مجرى النهر . وكانت بعض الشجيرات التي نمت منذ رحيلي تخفي عني الأكمة الصغيرة التي كنت أريد بلوغها ، فنفذت بين أغصانها الكثيفة . ثم وقفت فجاة وقد استولى علي الذهول .

ذلك أنني لم أجد أشجار الصفصاف الثلاث التي كنت أحن إليها .. كانت قد اقتلعت من مكانها ... ولكني لم أكد أجيل الطرف حولي بعينين حزينتين كانما قد أخلف وعده معي أحب الناس إلي حتى أبصرت بتلك الأشجار الثلاث بعينها وقد غرست في موضع انحراف النهر ...

في اتجاه قصر (باريفا) الذي كثيراً ما كنت اتاملها منه على مبعدة...

وصمتت "كاترين" لحظة ونظرت إلى "راؤول" في قلق .

وكان "راؤول" قد كف عن الابتسام . كما كف عن السخرية وكان يخيل إلى الناظر إليه انه يقر "كاترين" على الأهمية التي علقتها على اكتشافها .

سألها :

- هل أنت واثقة كل الثقة من أن احداً لم يدخل قصر (باريفا) منذ توفى جدك ؟

- ربما استطاع بعضهم أن يثب من فوق الجدار .. ولكن جميع مفاتيح القصر كانت معنا في باريس . ولما عدنا إلى هنا لم نجد قفلا واحدا مكسوراً .

- إذن فهناك تاويل يتعين علينا أن ناخذ به وهو انك خدعت وأن الأشجار الثلاث كانت دائما حيث وجدتها في المرة الأخيرة ...

فارتعدت "كاترين" وقالت بحدة :

- كلا .. كلا .. إنني لم أخدع ، ولم أكن واهمة .

واجتذبته إلى الخارج فسارا معا في الطريق التي أرشدته إليها . وتبعا مجرى النهر الذي كان ينساب في خط مستقيم عمودي بالنسبة إلى القصر ثم انحدرافي الطريق المؤدية إلى الأكمة الصغيرة . فلما بلغاها لم يجدا اي أثر عن اقتلاع الأشجار أو نقلها .

قالت "كاترين" :

- تأمل معي جيداً هذا المنظر وعليك أن تقارن بينه وبين المنظر الآخر الذي كنت أراه هنا من القصر .

وواصلا السير حتى بلغا إلى بقعة ينحرف فيها النهر انحرافا فجائيا . بالقرب من رابية مغطاة بطبقة من العشب كان يطلق عليها اسم "جبل الرومان" .

وهناك أشارت "كاترين" بأصبعها إلى أشجار الصفصاف الثلاث المغروسة على شكل مروحة : وقالت :

- هاهي الأشجار الثلاث فلست إذن مخدوعة أو واهمة ..

- ولكن هل سألت عن هذه الأشجار ؟؟

- نعم . لقد سألت دون أن أتظاهر بأي اهتمام بالموضوع لأنني كنت أحرص على إخفاء اضطرابي . وقد بدأت بالاستفسار من شقيقتي ، ولكنها قالت إنها لا تتذكر لأنها غادرت قصر (باريفا) قبل أن أغادره بمدة طويلة .. ومع ذلك ...

- ماذا ؟

- ومع ذلك فإنها تميل إلى الظن بأن الأشجار كانت موجودة حيث هي موجودة الآن .

- و "أرنولد" ؟

- أما "أرنولد" فإنه لم يؤكد لي شيئا بل قال إنه يشك في أن المكان الحالي هو المكان الحقيقي الذي كانت فيه الأشجار .

- ألم تتح لك الفرصة للاستفسار من شخص آخر ؟

فأجابت بعد تردد :

- بل سألت امرأة عجوزاً كانت تشتغل في القصر وأنا لا أزال طفلة .

قال "راؤول" :

- هل تعنين الأم "فوشيل" ؟

فأفلتت من شفتي "كاترين" صيحة ذعر وفزع وسألت :

- أو تعرفها إذن ؟

- إنني قابلتها منذ أيام .. وقد فهمت الآن ماذا كانت تعني بحديثها عن أشجار الصفصاف الثلاث ...

فقالت "كاترين" في انفعال :

- إنها كانت تشير إلى هذه الأشجار الثلاث .. أشجار الصفصاف التي كنت أحبها .. إن هذه المرأة مصابة بخبل ، ولكن بعض السبب في جنونها يرجع إلى هذه الأشجار الثلاث ..

الفصل السادس

الأم "فوشيل"

رأى "راؤول" الفتاة في حالة انفعال شديد يخشى منه على صحتها وهي ما تزال ضعيفة فعاد بها إلى القصر ..

وقضى يومين متواليين في محاولة الترفيه عنها وإظهار الحادث في نظرها أقل خطورة مما تتوهم .

ونجح في ذلك نجاحا شجعه على مطالبتها بإتمام قصتها فنزلت على إرادته في غير تردد ..

قالت :

- لا شك أن حادث الأشجار الثلاث لم يكن في البداية على جانب عظيم من الخطورة . ولكنه مع ذلك أثار اهتمامي فذهبت أفكر كيف أمكن نقل هذه الأشجار ؟ .. ولأي غرض نقلت ؟ .. بيد أن الحادث لم يلبث أن لاح لي في مظهر آخر محرج للصدر ، مثير للقلق والغم : فبينا كنت أفتش القصر ، بدافع الاستطلاع تارة : والرغبة في بعث بعض الذكريات الجميلة تارة أخرى ، إذ بى أعثر في أحد أركان مخزن الغلال حيث أعد جدي معملا صغيراً جهزه بطاولة وموقد ، وأنابيب وغير ذلك من الأدوات اللازمة لأبحاثه الكيميائية ، على لوحة من الورق المقوى ، وعليها رسم للحديقة .

تذكرت للحال أنني ساهمت منذ أربع سنوات أو خمس في إعداد هذه الخريطة . فقد كنت وجدي نقيس أبعاد الحديقة ونسجل الأرقام وكنت أفخر بالمهمة التي أنيطت بي فأديتها خير أداء . ورأيت جدي أخيراً وهو يضع رسما لها ويوقع عليه بإمضائه .

قالت ذلك وبسطت الخريطة على طاولة فانحنى "راؤول" ليفحصها .

كان النهر مبينا على الخريطة باللون الأزرق وهو أشبه شيء في تعاريجه بثعبان يزحف ؛ وكان ينحدر عند الرحبة الفسيحة الممتدة أمام القصر ثم يصعد حتى يكاد يمس زاويته وتتسع ضفتاه عند موضع الجزيرة ثم ينحرف فجأة انحرافا شديدا . ويلتمس طريقه بعد

ذلك بين الصخور وجبل الرومان وكانت الخريطة تبين كذلك جميع الأماكن المحيطة بالقصر ، والغابة المخصصة للصيد ، وبها علامات تحدد مواضع الأشجار . وقد كتب تحت كل شجرة نوعها.

وضعت "كاترين" إصبعها على الخريطة في مكان قد كتب تحته بالمداد وبخط يدها "أشجار الصفصاف الثلاث" .

قالت :

– نعم .. إن موضعها مبين في الخريطة خلف الصخور .. وخلف جبل الرومان ... أعني في المكان الذي هي قائمة فيه الآن .

واستولى عليها الانفعال مرة اخرى فراحت تقول بصوت متهدج والفاظ متقطعة :

– أقول لك الحق إنني كدت أفقد صوابي عندما رأيت هذه الخريطة... فقد كنت أعلم دائما أن هذه الأشجار كائنة فوق هذه الرابية ... بل لقد رأيتها هنالك لآخر مرة منذ عامين . فهل التبس علي الأمر يومئذ ؟ وهل كانت الأشجار قد نقلت من موضعها فعلا عندما رأيتها لآخر مرة ؟! ذلك لأن الخريطة التي رسمتها مع جدي يرجع تاريخها إلى خمس سنوات ... الواقع أنني لم افهم كنه هذا السر وقد تسلطت على ذهني الأوهام والخزعبلات فذهبت أناضل الحقائق الجلية الواضحة وانتهيت أخيراً إلى الاعتقاد بأن الأشجار قد نقلت لأسباب أجهلها . ولكن الخريطة كانت تكذب بصراحة عيني وذاكرتي وعقيدتي ... وهكذا بدأت حياتي تصبح سلسلة طويلة من الوساوس والشكوك والهذيان . وكان ماضي جميعه أضغاث أحلام لا تتراءى لي فيها غير رؤيا كاذبة ووقائع ملفقة .

* * *

وكان "راؤول" يصغي إلى الفتاة باهتمام ، ويحاول أن يجد بين الظلمات الحالكة التي كانت تتخبط في دياجيرها بصيصاً من النور يهديه إلى الحقيقة قال لها :

– أو لم تحدثي شقيقتك بشيء عن شكوكك وريبك ؟؟

– كلا .. لم أحدثها في ذلك ولم أحدث أي انسان آخر ..

– ولا "بيشو" ؟

- إنني لم أفض إليه بشيء على الإطلاق ، بل إنني لم أدرك بعد السر في قدومه إلى قرية راديكاتل ؛ ولم أكن أصغي إليه إذا قص علينا بعض مغامراتكما . وكنت في الواقع قد أصبحت دائمة الاكتئاب ، مبلبلة الخاطر ، شديدة النفور من كل شيء وكل إنسان؟!

- وهل كنت قد خطبت فعلا في هذه الأثناء ؟!

فاحمر وجهها وأجابت :

- نعم .. وكان ذلك مبعثاً لزيادة حيرتي وشقائي لأن الكونتس "دي بسم" لا تريدني على أن أكون زوجة لولدها ...

- وهل تحبينه ؟

فأجابت بصوت خافت :

- كان يخيل إلي أنني أحبه ، ولكني لم أفض إليه كذلك بشيء من شؤوني .. ولم أفتح مغلوق قلبي لأي مخلوق على وجه البسيطة: بل أخذت أجاهد بمفردي لزحزحة ذلك الكابوس الذي يجثم فوق صدري ، وللخلاص من الجو الثقيل الخانق الذي كنت أعيش فيه . ولذلك قررت أن أتحرى الأمر بنفسي من تلك القروية العجوز التي كانت تشتغل فيما مضى في تنظيف الحديقة وكنت أعرف أنها تقطن كوخا في غابة "موريلو" الصغيرة .

- وهل كنت تختلفين إلى هذه الغابة ؟؟

فصعد الدم إلى وجهها مرة أخرى وقالت :

- نعم ، كان خطيبي كلما عجز عن الحضور إلى (باريفا) ذهبت لمقابلته في الغابة . ففي أحد الأيام قصدت إلى كوخ الأم "فوشيل" . وكان ابنها يشتغل في ذلك الوقت بالتحطيب في غابة (تانكارفيل) ، وقد عرفتني في الحال . ولكنها ما لبثت أن استغرقت في تفكير عميق . وخيل إلي أنها تحاول أن تستذكر ماضياً بعيداً ، وأخيراً اقتربت مني وقالت لي بصوت يكاد يكون همساً ، لكنه لا يخلو من رهبة :

"أشجار الصفصاف الثلاث ... أشجار الصفصاف الثلاث ... كوني على حذر منها يا بنيتي الجميلة ..."

فاستولى علي الاضطراب وحرت في أمري .. وأزعجني أن تبادرني العجوز بالكلام عن أشجار الصفصاف الثلاث التي كانت عزيزة علي ،

والتي كنت أجد فيها مع ذلك لغزاً غريباً معقداً ، لم أفهم مغزى كلامها أو السر في تحذيرها .. فأردت أن أستوضحها. والقيت عليها عشرات الأسئلة فأرادت أن تجيبني عنها . بل وحاولت ذلك فعلا . ولكن العبارات كانت تخرج من بين شفتيها ناقصة مشوهة . وقد كان المعروف عنها انها لا تستمتع بكامل قواها العقلية .. وكل ما استطعت أن أفهمه منها هو اسم ولدها ..

فقد راحت تقول :

"دومنيك" ... "دومنيك" ..."

فاجبتها :

- نعم ... أعلم أن "دومنيك" ولدك ... هل يعرف شيئا عن هذه الأشجار الثلاث ؟ ... هل يجب أن اقابله ؟ ... أهذا ما ترمين إليه؟.

سأراه غداً إذن ... عند المغيب بعد أن يعود من عمله ... قولي له إنني سأقابله واطلبي إليه أن ينتظرني غداً .. غداً في الساعة السابعة مساء.

وخيل إلي انها فهمت كلامي وأدركت غرضي فتركتها وفي نفسي شعاع من الأمل .. وكان الليل قد أرخى سدوله . فشبه لي عندما انصرفت انني أرى في الظلام شبح رجل مختبئ وراء الكوخ . فاستولى علي نوع من الذعر .. وانحدرت مسرعة في الطريق إلى القصر .

* * *

وفي اليوم التالي صعدت الرابية قبل الموعد المحدد ولكن "دومنيك" لم يكن قد عاد من عمله ، فانتظرت طويلا إلى جانب الأم "فوشيل" التي لزمت الصمت في شيء كثير من القلق واخيرا اقبل أحد الفلاحين وقال إن رفيقين له يتبعانه ، وإنهما يحملان "دومنيك" الذي وجد صريعاً تحت شجرة سنديان كان يحتطبها . وقد أدركت من حالة الرجل أنه يكتم امراً جللا وتحققت مخاوفي عندما قدم الرجلان إلى الأم جثة ابنها فذهبت النكبة في الحال بالبقية الباقية من عقل المرأة .

وصمتت "كاترين" لحظة ثم عادت فاستطردت :

- ليس في استطاعتي أن أصف لك مبلغ ريبتي في موت "دومنيك"

فقد كان عجيبا حقاً أن يموت الشاب في ذات الساعة التي كان مقررا فيها أن يقول لي كلمة السر ، وخيل إلي أن في الأمر جريمة . وأن الشاب قتل لغرض وهو منعه من الكلام ولم أكن أملك البرهان المادي على حدوث القتل ، وإن يكن الطبيب قد أبدى دهشته أمامي من بعض الآثار غير العادية في الجثة ، وأخصها الجرح الذي رآه في القتيل بيد أنه لم يعر ذلك كبير اهتمام وأثبت رسمياً أن الوفاة بالقضاء والقدر . ولكني قصدت إلى مكان الحادث وهناك عثرت بهراوة ملوثة بالدم وملقاة على الأرض فايقنت أنها أداة الجريمة .. ولكن من أتهم ؟!

فقاطعها "راؤول" قائلا :

- من تتهمين ؟.. تتهمين بغير شك ذلك الرجل الذي لمحت خياله وراء كوخ الأم "فوشيل" ، فهو الذي كان يعرف أنك ستقابلين "دومنيك" في اليوم التالي لمعرفة سر أشجار الصفصاف الثلاث .

فأجابت "كاترين" :

- ذلك في الواقع ما جال بخاطري ، وهو كذلك ما ذهب إليه ظن المرأة المسكينة أم "دومنيك" ، فكنت كلما قصدت إلى الغابة لملاقاة خطيبي قابلتني في الطريق وراحت تجهد ذاكرتها الشاردة ثم تقول لي بكلمات متقطعة مخيفة :

- "أشجار الصفصاف الثلاث ... أشجار الصفصاف الثلاث ... كوني على حذر منها يا بنيتي الجميلة" .

استولى علي القنوط بعد ذلك وغمرني الأسى فكنت أحسب تارة أن بي خبلا ... ويدخل في روعي تارة أخرى أن خطرا ما حقا يتهددني .

ولكن بالرغم من ذلك كله كتمت الأمر عن كل إنسان بيد أنني كنت أشعر بحاجتي إلى مرشد نصوح لأنني تعبت من النضال بمفردي فإلى من ألجأ في طلب النصح .. إلى خطيبي ؟ . إلى "بيشو" ؟ . إلى أختي ؟

كلا .. كنت واثقة أنهم سيهزءون بمخاوفي . ومن هنا نشأ تفكيري فيك .

قال "راؤول" :

- ولكن لابد أن هناك سببا خاصا مباشراً حملك على أن تقرري

الالتجاء إلي في الحال .

- هذا صحيح .. فإنني ذهبت إلى الغابة لأرى خطيبي لآخر مرة قبل رحيله ، فقابلتني الأم "فوشيل" بعنف غير مألوف . إذ قبضت على ساعدي ... وهزتني بشدة ... وقالت لي في غلظة وخشونة :

- أشجار الصفصاف الثلاث يا بنيتي الجميلة .. إن السيد حانق عليك وسوف يقتلك .. فكوني على حذر منه ... إنه سوف يقتلك ... لأنه يريد ذلك .

قالت ذلك وانفرجت شفتاها القبيحتان عن ضحكة مخيفة نكراء وما عتمت أن أشاحت بوجهها وولتني ظهرها وسارت في طريقها مهرولة لا تلوي على شيء .. أما أنا فقد طار عقلي : وفقدت صوابي ، ومضيت هائمة على وجهي في جوف الغابة الموحشة : ولما أذنت الساعة الخامسة مساء قصدت شطر ليلبون . وركبت أول قطار إلى باريس .

فسألها "راؤول" :

- هل أفهم من ذلك أنك سافرت بعد قتل مسيو "جرسان" ؟!

- نعم ... ولكني لم أعلم بنبأ مصرعه إلا عندك من الحديث التليفوني الذي دار بين "بيشو" وبينك .. ولعلك تذكر بلا ريب كيف أظلم وجهي في تلك اللحظة .. واستولت علي الحيرة والفزع .

فاطرق "راؤول" برأسه مفكراً ثم قال :

- لي سؤال آخر يا "كاترين" . عندما حدث الاعتداء عليك ليلا في غرفتك ؛ ألم تلاحظي وجود شبه بين المعتدي وبين الشخص الذي لمحته ذات مساء خلف كوخ الأم "فوشيل" ؟

- لم الاحظ شيئا على الاطلاق .. كنت نائمة والنافذة مفتوحة وقبل دخول الرجل غرفتي لم أسمع أية حركة تنذر بدخوله . كل ما هناك أنني شعرت به فجأة وهو يقبض على عنقي ، فناضلت لأتخلص منه ، وصرخت ؛ بيد أن الشخص المجهول اختفى قبل أن يتسنى لي أن أرى وجهه .

ولكن كيف لا يكون هو بعينه الذي قتل "دومنيك فوشيل" . ومسيو "جرسان" ؟

قالت ذلك بصوت متهدج وقد فر لونها من شدة التأثر والاضطراب

فنظر إليها "راؤول" في رفق ... ولعبت على شفتيه ابتسامة هادئة فقالت له في دهشة :

- يخيل إلي انك تبتسم : فلماذا ؟

- لكي أعيد الثقة إلى نفسك ، واشعرك بالطمانينة ... وأنك في الواقع أكثر هدوءا من ذي قبل . وملامحك تنم عن هدوء أعصابك نوعا ما ...

فقالت بلهجة التاكيد :

- إنها قصة مخيفة حقا .

- نعم ... ولكن ليس بالقدر الذي تتوهمين .

- كيف لا أكون واهمة . وقد قتل رجلان في ظروف محوطة بالغموض ؟ ..

- هل انت واثقة من أن "دومنيك" مات مقتولا ؟ ..

- البرهان على ذلك لا يقبل النقض ... وهو تلك الهراوة الملوثة بالدماء .. وذلك الجرح الذي وجده الطبيب في راسه ! ..

- هل تعرفين ماذا حدث أيضاً ؟.. إنني أخشى أن أزيد مخاوفك ولكنني سأنهي إليك نبأ لا تعرفينه وهو أن الأم "فوشيل" أوشكت بدورها أن تذهب ضحية محاولة كالتي وقعت عليك فلقد عثرت بها غداة يوم وصولي دفينة تحت كومة من أوراق الشجر وقد شج رأسها بهراوة ثقيلة ومع ذلك فإنني مازلت أرتاب في أن "دومنيك" ذهب ضحية جريمة فهتفت "كاترين" :

- ولكن ما قولك إذن في زوج أختي .. هل تنكر كذلك انه لقي حتفه قتيلا ؟

- أنا لا أنكر شيئاً ، ولا أؤكد شيئاً ... وفقط ارتاب .... بيد أن هناك أمراً أعرفه عن يقين وهو أمر من شانه أن يرفه عنك كثيرا يا "كاترين"... نعم .... إنني أعرف عن يقين أنك قوية الذاكرة . وأن نظرك لم يخدعك وأن أشجار الصفصاف الثلاث كان يجب أن تكون في موضعها حيث كنت تنصبين أرجوحتك منذ سنوات . إن جميع المشكلة تدور حول محور واحد هو نقل الأشجار الثلاث من مكانها ولا ريب أن حل هذه المعضلة سيلقي الضوء على كل ما يتصل بها من خفايا .. وإلى أن

نتمكن من اكتشاف الحقيقة .. ينبغي الآن أيتها العزيزة "كاترين"....

- ماذا ؟ ....

- أن يفتر ثغرك عن ابتسامة ...

فابتسمت "كاترين" ابتسامة لم يتمالك معها "راؤول" أن قال :

- يا إلهي !... ما أروع جمالك !.. إنك لا تستطيعين أن تتصوري أيتها العزيزة الصغيرة .. كم أنا سعيد إذ أكرس نفسي وحياتي في خدمتك . وكم أنا راض عن ذلك بمجرد نظرة واحدة من نظراتك الساحرة الخلابة !..

* * *

لم يتقدم التحقيق الذي قام به رجال القضاء خطوة واحدة .. وبعد أن قضى المحقق بضعة أيام في استجواب الشهود أسقط في يده . وقرر أن يترك الأمر للمصادفات . أو لحوادث جديدة تكشف عن سر الجريمة ..

أما "بيشو" وصاحباه فإنهم يئسوا من النجاح . وبعد ثلاثة أسابيع رحل صديقاه إلى باريس . ولم يخف "بيشو" عن "راؤول" فشله ويأسه وراح ينحي عليه باللائمة لتراخيه وإهماله.

قال له :

- ما الفائدة من بقائك هنا ؟ نعم قل لي بالله ماذا تصنع هنا؟... :

فأجاب "راؤول" :

- إنني أدخن ..

- وما غرضك ؟ .

- إن غرضنا مشترك .

- وخطتك ؟

- تخالف خطتك تماماً . فأنت تتعب نفسك بتقسيم الحديقة إلى مناطق والمناطق إلى أقسام وفروع أقسام ولا أدري أية سخافة أيضاً ، أما أنا فإني أتبع خطة سهلة ميسورة يحلو فيها الاستسلام للتأملات.

- ولكن القنيصة ستفلت من بين أيدينا ...

- كلا يا عزيزي .. سوف ترى في غمضة عين أنني أصبحت في قلب

الميدان .

- ماذا تعني ؟

- إذا أردت أن تفهمني فاتبعني إلى "أشجار الصفصاف الثلاث" .

فأطاعه "بيشو" وقصدا معاً إلى تلك الأشجار . وهناك تسلق "راؤول" الشجرة الوسطى وجلس على جذعها ونادى :

- "بيشو" ...

- ماذا ؟

- أرسل بصرك فيما وراء النهر ، إلى ذلك الممر الصخري الضيق ، حيث توجد الأكمة الصغيرة ..

- إنني أراها ..

- إذن فاذهب إلى هناك ....

فصدع "بيشو" بالأمر . وقصد إلى حيث أراد "راؤول" . وراح يناديه هناك . وكان "راؤول" قد اضطجع على بطنه فوق أحد الأغصان . وراح ينقل البصر في جهات مختلفة .

وصاح قائلا :

- قف مكانك ولا تتحرك ، فأطاع "بيشو" .

قال "راؤول" :

- ارفع يدك ؛ وابسط سبابتك نحو السماء . كما لو كنت تشير إلى أحد الكواكب .

حسناً .. لا تتحرك الآن ... فسأقوم بتجربة مهمة أرجو أن تحقق ظنوني ...

ووثب من فوق الشجرة ثم أشعل لفافة ومشى إلى "بيشو" الذي لم يتحرك من مكانه . وظل يشير بأصبعه نحو السماء .

قال له "راؤول" بلهجة تنم عن الذهول :

- ماذا تفعل ؟ إن منظرك عجيب في هذا الموقف !...

فتمتم "بيشو" قائلا :

- لقد نفذت تعليماتك !...

- تعليماتي ؟... أنت معتوه ...

ثم اقترب منه وهمس في أذنه قائلا :

- لقد كانت ترقبك في شغف .

- من هي ؟

- صاحبتك الطاهية : انظر إليها . إنها في غرفتها .. لا شك أنها وجدتك أشبه الناس بالإله أبولون ... سوف تموت شغفاً بك .

فغضب "بيشو" . وأزعجته هذه الدعابة . فراح يرغي ويزبد .

لكن "راؤول" قال له وهو يبتسم :

- لا تغضب .. لا تغضب ... لقد نجحت خطتي إنني الآن ممسك بطرف الخيط .

وانطلق إلى القصر تاركا "بيشو" في حالات الذهول والحنق .

* * *

وقد تردد "راؤول" مراراً بعد ذلك على كوخ الأم "فوشيل" بصحبة "كاترين" .. وكان في كل مرة يعمل على اجتذاب العجوز بالنقود والطعام والحلوى . ويحاول استدراجها إلى ذكر ما عندها فيلقي عليها الأسئلة تباعا في أناة وصبر .

- قال لها مرة

- هل تعرفين أشجار الصفصاف الثلاث .. إنهم نقلوها . أليس كذلك ؟ من الذي نقلها ؟ .. كان ابنك يعرف ذلك .. فمن ذا الذي نقلها ... أجيبى .

كانت عينا العجوز تلمعان أحيانا ، فيومض في ذاكرتها شعاع من النور وتحاول أن تتكلم وتقول ما تعرف . تقول كلمة واحدة فينجلي السر وكان يخيل إلى الناظر إليها أن هذه الكلمة المنتظرة توشك أن تخرج من فمها ولكنها تعود فتحتبس فجاة .

قال "راؤول" محدثا "كاترين" :

- إنها ستتكلم في أحد الأيام على كل حال أنا واثق من ذلك .

وقد ذهبا إلي كوخها في اليوم التالي فوجداها ممددة على الأرض تحت جذع شجرة وبالقرب منها سلم خشبي مزدوج في حالة تدل على أن العجوز أرادت أن تتسلق . فانزلق السلم وهوت إلى الأرض . ودق عنقهاعلى الفور .

الفصل السابع

كاتب مسجل العقود

لم يوقظ موت الأم "فوشيل" أية شبهة فقد ساد الاعتقاد بأنها ماتت بالقضاء والقدر كما مات ولدها .

ولكن "راؤول دافيناك" لاحظ أن بعض أجزاء السلم المزدوج كانت قد نزعت من مكانها عمداً . فاخلت بتماسك السلم وترتب على ذلك سقوط العجوز وموتها .

أما "كاترين" فلم تشك في أن الخطر قد غدا منها قاب قوسين أو أدنى، فعاودتها الهواجس والمخاوف .

قالت تحدث "راؤول" :

هانت ترى كيف يهاجمنا خصمنا المجهول وكيف يفتك بنا الواحد تلو الآخر فاجابها ليطمئنها :

- إنني لست واثقا من ذلك : لأن من أركان جريمة القتل أن يتعمد الإنسان الجريمة .

- إن أركان القتل العمد متوفرة في هذا الحادث .

فكرر قوله :

- لست واثقا من ذلك .

ولم يحاول هذه المرة أن يهدئ من روع الفتاة أو يقلل من أهمية الأخطار التي تهددها وتهدد أهل القصر جميعا . والواقع أنه حدثت بعد ذلك طائفة من الحوادث أدخلت الذعر على قلوب أهل القصر من ذلك أن الجسر هوى فجاة في أحد الأيام تحت أقدام "أرنولد" الذي سقط في النهر ولكنه لم يصب بسوء لحسن الحظ وفي اليوم التالي انهار مخزن قديم للأخشاب في ذات اللحظة التي كانت فيها "شارلوت" تهم بمغادرته وكان إنقاذها من تحت الأنقاض معجزة حقيقية .

وقد تاثرت أعصاب "كاترين" من جراء هذه الحوادث المزعجة فسقطت مرة في غيبوبة وراحت تهذي على مسمع من أختها و"بيشو" والخدم بجميع ما اتفق لها وما سردته على "راؤول" فتكلمت عن نقل أشجار

الصفصاف الثلاث وعن تحذير الأم "فوشيل" . ومصرعها ومصرع ابنها والأدلة الناطقة على وقوع هاتين الجريمتين .

وقد كان من نتائج هذا كله أن استولى الذعر كذلك على "برتراند جرسان" .

* * *

وكان "ارنولد" و "شارلوت" يشاطرانها مخاوفها . وقد وقع في روع الجميع أن العدو المجهول يحوم داخل القصر وحوله . وأنه يدخل أو يخرج كيفما شاء من منافذ مجهولة . ويظهر ويختفي . كما يحلو له ويعمل في الساعات التي يختارها في جراة ومكر ودهاء بعيداً عن الأنظار .

أما "بيشو" فقد عرته هزة فرح وشماتة عندما لمس فشل "راؤول" وقد رأى أن الفرصة سانحة للتحرش به والانتقام منه فقال له مرة وهو يقهقه :

- إنك تخبط خبط عشواء يا صديقي العزيز .. لقد بؤت مثلي بفشل ذريع .. بل ربما كان خذلانك أعظم .. اسمع يا "راؤول" ... عندما يكون الإنسان في مهب عاصفة هوجاء ؛ فلا ينبغي له أن يركب رأسه . ويصمد للعاصفة مكابراً معانداً . بل افضل له أن يلوذ بالفرار ... وأن يعود بعد أن تسكن الريح ويتلاشى الخطر ...

- ماذا تعني، هل في نيتكم الرحيل إذن ؟

- لو كان الأمر قاصرا علي وحدي لسافرت منذ زمن بعيد ولكن..

- ولكن ماذا ؟ .

- إن "كاترين" لا تزال مترددة .. ولا تزال ترجو أن توفق أنت إلى إماطة اللثام عن جميع هذه الحوادث الغامضة .

- دعنا ننتظر ونرجو يا "بيشو" ..

وفي مساء اليوم الذي دار فيه هذا الحديث بين الرجلين ، كانت الأختان تلهوان بالتطريز في حجرة الاستقبال الصغرى التي اتخذتا منها بعد الحوادث الأخيرة مخدعا تبيتان فيه بينما كان "راؤول" يقرأ في غرفة أخرى ، و "بيشو" يعبث بكور البلياردو دون أن يتحدث أحدهما إلى الآخر . وكانا قد اعتادا الذهاب إلى فراشهما في الساعة

العاشرة .. ولكن ما كادت تدق ساعة الكنيسة الدقات العشر في ذلك المساء ، حتى دوى طلق ناري ، وكان الدوي آتيا من مكان قريب ، مصحوبا بتكسير بعض الألواح الزجاجية وبصرختين حادتين .

فهتف "بيشو" وهو يسرع إلى مخدع الشقيقتين :

- هذا الصراخ صادر من غرفتهما .

أما "راؤول" فإنه لم يفكر إلا في قطع الطريق على الشخص الذي أطلق النار فأسرع إلى نافذة الغرفة وحاول أن يفتحها . ولكنه وجدها مغلقة من الخارج بإحكام تعذرت معه كل محاولة . فعدل في الحال عن فتح النافذة ووثب إلى الغرفة المجاورة وقفز من نافذتها ولكنه كان قد أضاع وقتا طويلا ، فلم ير في الحديقة ما يثير الريبة . ولكنه وجد النافذة التي فشل في فتحها قد أوصدت من الخارج بمسمارين ضخمين تدل جميع الدلائل على أنهما وضعا هناك حديثا .

قصد "راؤول" بعدئذ إلى مخدع الشقيقتين فوجد أن "كاترين" و"بيشو" وسائر الخدم قد سارعوا إلى الالتفاف حول "برتراند جرسان" التي وقع عليها الاعتداء في هذه المرة ، ولكن لحسن حظها ، أن الرصاصة التي اخترقت زجاج النافذة وحطمته لم تصبها بأذى .

قال "بيشو" وهو يلتقط الرصاصة التي ارتطمت بالجدار وسقطت :

- إنها رصاصة مسدس . ولو أنها انحرفت عشرة سنتيمترات إلى اليمين لأصابت من مدام "جرسان" مقتلا .

ثم استطرد بلهجة قاسية :

- ماذا تقول في ذلك يا "راؤول دافيناك" ؟

فأجاب "راؤول" بعدم اكتراث :

- أظن يا "بيشو" أن الآنسة "كاترين" لن تتردد بعد الآن في الرحيل .

فقالت "كاترين" :

- نعم لن أتردد مطلقا .

كانت ليلة ذعر وهلع قضاها الجميع - عدا "راؤول" الذي استغرق في نوم عميق - ساهرين ، مرهفي الآذان ، مضطربي الأعصاب . كانت أقل فرقعة ترعدهم جميعا .

أعد الخدم الحقائب وحملوها إلى ليلبون حيث استقلوا القطار إلى

الهافر .

وعاد "بيشو" إلى منزله ليراقب قصر (باريفا) ومحوطاته بأكثر حرية.

وفي الساعة التاسعة رافق "راؤول" الأختين إلى الهافر وأنزلهما بفندق هناك كان يعرف صاحبته .

وطلبت منه "كاترين" منبسطة أثناء الوداع أن يصفح عنها : فقال :

- ولماذا الصفح ؟

- اصفح عني لأنني شككت في مقدرتك ..

- كان من المؤكد أن ترتابي في الأمر إذ لم أصل إلى أي نتيجة!

- هل وصلت في الواقع إلى نتيجة ؟

- كوني مطمئنة .. إنك بحاجة إلى استرداد قواك .

وسأعود بعد خمسة عشر يوما على الأكثر لأرافقكما .

- إلى أين ؟

- إلى (باريفا) .

فارتعدت فرائصها .. ولكن "راؤول" استطرد قائلا :

- وسوف نقضي هناك أربع ساعات أو أربعة أشهر ، كما تريدين فمدت إليه يدها مصافحة فطبع عليها قبلة طويلة ..

قالت :

- سأمضي هناك الوقت الذي تريده ..

وفي منتصف الساعة الحادية عشرة عاد "راؤول" إلى ليلبون واستعلم عن مكتب مسجلي العقود في تلك الدائرة . وفي الساعة الحادية عشرة قدم نفسه إلى الأستاذ "برنار" مسجل العقود وهو رجل ضخم قصير القامة قال له "راؤول" :

- إنني جئتك يا سيدي من لدن مدام "جرسان" والآنسة "مونتسييه".. لقد اتصل بك بالتأكيد نبأ مصرع مسيو "جرسان" والصعوبات التي تكتنف التحقيق . ولما كنت قد اشتركت في التحقيق مع مسيو "بيشو" مفتش البوليس الذي تربطني به علاقة صداقة ومودة ، فقد طلبت إلى الآنسة "كاترين مونتسييه" أن أزورك بصفتك مسجل عقود جدها ، لكي أستعلم منك نقطة غامضة . وإليك الخطاب الذي كلفتني بإيصاله

إليك .

وقدم إليه التفويض الذي استكتبه "كاترين" يوم وصولهما إلى راديكاتل وقد قرأ المسجل التفويض ثم سأل :

- وكيف أستطيع خدمتك يا سيدي ؟

فاجاب "راؤول" :

- يخيل إلي يا سيدي الأستاذ أن الجريمة التي ارتكبت وبعض الحوادث الغامضة التي أعقبتها والتي لا أرى فائدة في إضاعة وقتك بسردها ترجع إلى سبب واحد هو الحصول على ميراث الآنسة "كاترين مونتسييه" . ولهذا أرجو أن تسمح لي فالقي عليك بضعة أسئلة .

- إنني مصغ إليك .

- هل سجل عقد شراء قصر (باريفا) ومحوطاته في مكتبك ؟

- نعم . في عهد أبي الذي ورثت عنه مهنته . والذي طلب هذا التسجيل منذ نصف قرن تقريبا . هو والد مسيو "مونتسييه".

- وهل قرأت هذا العقد ؟

- لقد أتيح لي أن أدرسه مرارا بناء على طلب مسيو "مونتسييه" لأسباب كنت أراها ثانوية . على كل حال ليس في هذا العقد ما يميزه بصفة خاصة .

- هل كنت دائما مسجل عقود مسيو "مونتسييه" ؟

- نعم .. وقد كان صديقي وكثيرا ما طلب نصيحتي .

- هل جرت بينكما أحاديث بشأن وصيته ؟

- إننا تحدثنا فعلا في هذا الصدد ، ولا أذيع سرا إذا قلت لك ذلك ما دامت صلتك بمدام "جرسان" والآنسة "كاترين" كما ذكرت لي .

- وهل كانت هذه الوصية تنطوي على تمييز إحدى الشقيقتين عن الأخرى ؟

- كلا . إن مسيو "مونتسييه" لم يكن يخفي إيثاره للآنسة "كاترين" التي كانت تقيم معه والتي كان يريد أن يوصي لها بجميع أملاكه . ولكن مما لا شك فيه أنه كان ينوي في النهاية أن يعادل بين الشقيقتين .. ومهما يكن من أمر فإنه لم يترك وصية .

فقال "راؤول" :

- أعلم ذلك . وهو ما يدهشني في الواقع .

- بل ويدهشني كذلك . وقد حدث أنني رأيت مسيو "جرسان" في باريس في صباح اليوم الذي قتل فيه وقد عبر لي عن عزمه على مقابلتي والتحدث إلي في هذا الصدد .. نعم من الغريب حقا أنه كان في عزمه زيارتي غداة اليوم الذي لقي فيه حتفه .

- وكيف تفسر إغفال مسيو "مونتسبيه" كتابة وصيته ؟

- أعتقد أنه أهمل كتابتها فباغته الموت .. لقد كان رجلا غريب الأطوار . كثير الاهتمام بأبحاثه العلمية وتجاربه الكيميائية .

- أو بالأحرى تجاربه لتحويل المعادن إلى ذهب .

فقال مسجل العقود مبتسما :

- صدقت . فقد كان يزعم أنه اكتشف هذا السر العظيم . ولقد وجدته يوما في حالة اضطراب شديد . فلوح لي بظرف مليء بمسحوق الذهب . وقال وهو ينتفض من الفرح :

إليك نتيجة أبحاثي إيها الصديق العزيز .. أليس ذلك مما يدعو إلى الإعجاب ؟

فسأله "راؤول" :

- وهل كان ذلك ذهبا حقا ؟

- بلا نزاع . لقد أعطاني حفنة منه ذهبت افحصها في فضول غريب. وقد ايقنت أنها من الذهب الحقيقي .

فلم يدهش "راؤول" لتلك الإجابة ، وقال :

- لقد خطر لي أن المشكلة التي نعالجها تدور حول هذا الاكتشاف .. ثم نهض واستأنف قائلا :

- لي كلمة أخيرة يا أستاذ "برنار" .. الم يحدث في مكتبك كما يحدث في كل المكاتب أن تسربت .. أو افشيت بعض الأسرار ؟

- مطلقا .

- ومع ذلك فإن مساعديك كثيرا ما يقفون على بعض المآسي العائلية التي تأتمنك الأسر عليها فهم يقرءون الوثائق وينسخون العقود .

- إن موظفي جميعا امناء . وعلى جانب عظيم من الحرص والكتمان.

- إنهم جميعا من متوسطي الحال على ما أعتقد .

- إنهم مثال القناعة . ولذلك فإن الحظ يخدمهم في بعض الأحيان مثال ذلك أن أحدهم ، وهو موظف قديم مجتهد ، شديد الحرص إلى درجة الشح . كان يدخر دخله فرنكا فرنكا ، حتى تمكن بذلك من اقتصاد مبلغ لا بأس به ابتاع به قطعة أرض ومنزلا ليقضي فيه بقية أيام حياته بعد أن يعتزل العمل ولقد جاء يخبرني يوما بأنه اعتزم السفر وأنه ربح عشرين الف فرنك بسند من سندات اليانصيب .

- هذا بديع حقا !.. وهل حدث ذلك منذ زمن بعيد ؟

- منذ بضعة أسابيع .. يوم ٨ مايو .. إني أذكر هذا التاريخ لأن مسيو "جرسان" قتل بعد ظهر ذلك اليوم بالذات .

- فهتف "راؤول" دون أن يبدي أي اهتمام بذلك التوافق العجيب بين حادث القتل ، وتاريخ ربح السند .

- عشرون ألف فرنك !.. إنها لثروة حقيقية ! .

- ثروة ضائعة فقد علمت أنه يبعثرها في حياة اللهو والعربدة بفندق صغير بمدينة "روان" .

طرب "راؤول" لهذه المعلومات لكنه لم يحاول أن يسأل عن اسم الرجل بل استأذن مسجل العقود في الانصراف . وسافر مباشرة إلى مدينة روان . وبعد أن قام ببعض الاستعلامات السريعة عثر بالموظف الذي تحدث عنه مسجل العقود بفندق مؤثث بشارع "شاريت" وهو رجل نحيف طويل كئيب السحنة يدعى "فامرون" .

ولم يعدم "راؤول" وسيلة في التعرف إليه . وقصدا معا بعد منتصف الليل إلى إحدى الحانات وانتقلا منها بعدئذ إلى مرقص عام حيث أخذ مسيو "فامرون" يراقص فتاة ضخمة كثيرة اللجاجة والحركة .

في اليوم التالي استأنف الرجلان سهراتهما وكانت نقود "فامرون" تسيل بغير حساب وتنفق على زجاجات الشراب وملحقاتها وعلى ثلة من المتزلفين لهذا الثري الجواد .

وقد نجح "راؤول" في اكتساب ثقة الرجل فباح له بسره ذات مساء قائلا :

- إن حظي عجيب يا صديقي "راؤول" .. إذ هبطت علي هذه الثروة المفاجئة .. والحق اقول إنني اقسمت أن انفقها عن آخرها. فلا أبقي منها على فرنك واحد . هذه نقود لم تدخر بعناء فيجب أن تذهب إلى الجحيم . وتنفق على جميع ضروب اللهو والمتعة مع أشخاص مثلك يا

عزيزي "راؤول" يفهمون قيمة الحياة .
ولم يزد على ذلك شيئا وخشي "راؤول" إذا هو ساله ان يمتنع كلية عن الكلام .
وبعد أسبوعين انتهز "راؤول" فرصة وقوع ذلك المأفون تحت سيطرة الشراب لكي ينتزع منه اعترافا فلم يلبث أن باح بكل شيء فقال وهو يبكي وقد وضع قبعته العالية أمامه كانه يعترف لها بذنوبه وآثامه :
- إنني لست إلا وغدا أثيما . فليست قصة السند الذي زعمت أنني ربحته إلا اكذوبة ملفقة .. أما الحقيقة فهي أن رجلا اقترب مني ذات ليلة في ليلبون وسلمني خطابا لأدسه في الملف الخاص بأسرة "مونتسييه" فرفضت وقلت له : "كلا . كلا . يا سيدي . ليس هذا من خلقي في شيء .. يمكنك أن تبحث في ماضي حياتي فلا تجد أنني ارتكبت مرة واحدة مثل هذا الغش" ثم .. ثم .. لا اعلم كيف تم ذلك .. لقد عرض علي عشرة آلاف .. ثم خمسة عشر ألفاً ثم عشرين ألفا من الفرنكات .. فطار صوابي عند ذلك . وفي اليوم التالي دسست الخطاب في ملف "مونتسييه" .. بيد أنني اقسمت ألا ألوث نفسي بهذه النقود . وقررت أن انفقها على الشراب والنساء وأبعثرها ذات اليمين وذات اليسار . آه ! كلا .. كلا .. لا أريد هذا المال القذر الملوث .. أتسمع يا "راؤول" .. لا أريد هذا المال .
وحاول "راؤول" أن يعلم منه المزيد . ولكن الرجل راح يبكي تحت تاثير الشراب .. ثم استلقى على الأرض ونام .
قال "راؤول" لنفسه :
- لم يبق لي ما أصنعه هنا .. لقد أضاع هذا الرجل كل النقود التي أخذها على سبيل الرشوة .. ولم يبق معه أكثر من خمسة آلاف فرنك . وهو مبلغ يكفيه أسبوعين على الأكثر . ولا بد أن يعود إلى (ليلبون) بمجرد الفراغ من إنفاقه ..

* * *

وبعد ثلاثة أيام قصد "راؤول" إلى الفندق الذي نزلت فيه "كاترين" وأختها .. فقالت له الأولى إنها وشقيقتها قد تسلمتا رسالة من الأستاذ "برنار" مسجل العقود يدعوهما فيها إلى الاجتماع به في قصر (باريفا) لأمر وصفه في الرسالة بانه على جانب عظيم من الأهمية .
فقال لها "راؤول" :

- أنا الذي حرضته على توجيه هذه الدعوة إليكما .. وقد جئت الآن وفاء لوعدي فهل تخافين من العودة إلى القصر ؟

فاجابت بلهجة التاكيد :

- كلا .

ثم حملقت إلى وجهه بفضول وسالت :

- هل وقفت على جديد ؟

- إنني لا أعلم ما سوف نقف عليه عندما نجتمع في القصر . ولكني واثق أن الموقف سيصبح أكثر جلاء . فإذا كان في نيتك أن تطيلي إقامتك في قصر (باريفا) فعليك أن تخطري بذلك "أرنولد" و "شارلوت" وسائر الخدم .

* * *

وفي الوقت المحدد للاجتماع . وصل "راؤول" والشقيقتان إلى القصر. وما كاد يقع عليهم بصر "بيشو" حتى استولت عليه الدهشة .. هتف قائلا :

- مامعنى هذا ؟ اتعودون بعد هذه الحوادث ؟ .

فقال له "راؤول" :

- تعال مع مسجل العقود يا "بيشو" .. سنعقد جلسة عائلية . وأنا ادعوك إلى هذه الجلسة .. الست أحد أعضاء العائلة ؟

- وإذا وقع اعتداء جديد على الشقيقتين التعستين ؟

- ليس هناك ما يدعو إلى الخوف ..

- لماذا ؟

- لقد اتفقت مع الشبح المخيف الذي يرتاد القصر أن ينذرنا أولا ..

- كيف ؟

- بإطلاق الرصاص عليك قبل غيرك .

- الا تكف عن هذا المزاح الثقيل ؟

ولكن "راؤول" تابط ساعده وانتحى به ناحية وقال له :

- عليك أن ترهف اذنيك جيدا يا "بيشو" ... واجتهد أن تفهم جيدا .. وأن تعجب بالطريقة البارعة التي ساعالج بها الموقف ..

ستكون الجلسة طويلة .. وقد تستغرق ساعة . ولكن النتيجة توازي المتاعب التي سنتكبدها .. فافتح اذنيك جيدا يا "بيشو" .

الفصل الثامن

الوصية

دخل الأستاذ "برنار" مسجل العقود غرفة الاستقبال التي اعتاد أن يختلف إليها على عهد عميله وصديقه مسيو "مونتسييه" . وصافح "برتراند" و "كاترين" . وشد على يد "راؤول" بحرارة وقال له :

- إنني اشكر لك اهتمامك بإرشادي إلى عنوان الأنستين . ولكن هل تستطيع أن تفسر لي كيف ..

فقاطعه "راؤول" قائلا :

- إنني أعتقد أن التفسير عندك يا أستاذي العزيز .. فانت أكثر مني دراية بما جد بعد مقابلتنا الأولى .

- أنت تعلم إذن أن هناك جديدا ؟ !

- إن عندي من الأسباب ما يحملني على الإعتقاد بانك قد وجدت الجواب عن السؤال الذي القيته عليك في مكتبك ..

- إن الفضل في ذلك يعود إليك . وانا شديد الارتياح إلى أن مسيو "مونتسييه" قد ترك وصيته . وإن كانت الظروف التي عثرت فيها بهذه الوصية تملؤني دهشة وعجبا .

-.هل اكون مخطئا إذا قلت إن هناك صلة بين حكاية الوصية والجريمة التي ذهب مسيو "جرسان" ضحيتها ؟

- ذلك ما لا علم لي به .. كل ما أعلمه أنك أحسنت صنعا حين قابلتني باسم الأنسة "كاترين مونتسييه" . وعند ما تسلمت رسالتك منذ بضعة ايام .. اهتممت بمضمونها .. رغم استحالته .. فقد قلت لي في تلك الرسالة : "إن وصية مسيو "مونتسييه" موجودة ضمن ملف أوراق الأسرة . فارجو البحث عنها ودعوة حفيدتي المورث إلى الاجتماع بك في القصر لإطلاعهما على مضمونها .أما عنوان الحفيدتين فهو الخ "

وصمت مسجل العقود لحظة ثم استطرد :

- لقد أوشكت أن ألقي بالرسالة في نيران الموقد .. ولكني فكرت في

انني لا اخسر شيئا إذا فحصت ملف أوراق العائلة ..

- وماذا كانت النتيجة ؟ !

فاخرج مسجل العقود من حافظته ظرفا كبير الحجم ما كاد يقع عليه بصر "كاترين" حتى صاحت :

- هذا من نوع الأغلفة التي كان جدي يستعملها دائما ..

فقال مسجل العقود :

- هذا صحيح .. فخذي واقرئي ما كتبه جدك بخطه على هذا الظرف.

تناولت "كاترين" الظرف وقرأت بصوت مرتفع :

"هذا الغلاف يتضمن وصيتي التي أرجو الأستاذ "برنار" مسجل العقود أن يفضها في قصر (باريفا) بحضور حفيدتي وأن يسهر على إنفاذ مضمونها" .

قالت "كاترين" :

- نعم .. هذا هو خط جدي ولدي على ذلك عشرات البراهين .

فقال مسجل العقود :

- وأنا اقرر مثل ذلك أيضا . وقد عرضت هذا الظرف على بعض الخبراء في (روان) فأكدوا بما لا يقبل مجالا للشك أن الخط هو خط مسيو "مونتسييه" .. على أنني يجب أن اقرر ذلك إرضاء لذمتي وإراحة لضميري أنني فتشت ملف أوراق الأسرة عشرات المرات .. فلم تكن هذه الوصية بين محتويات الملف .

فقال "بيشو" معترضا :

- ولكن كيف يمكن هذا يا سيدي ؟ .

- إنني اقرر الواقع على غرابته .. هذه الوصية لم تكن بين محتويات الملف .

- إذن فلابد أن يكون أحد الناس قد دسها بين أوراق الملف .

- هذا ما لا علم لي به ..إنني اقرر حقيقة .. وثمة حقيقة اخرى هي انني لم اتعود قط أن اضع وصايا عملائي في الملفات الخاصة بهم . بل اعتدت أن ارتب هذه الوصايا في خزانتي الحديدية .

وهم بفتح الوصية . ولكن "بيشو" أوقفه بإشارة من يده . وقال :

- صبرا لحظة يا سيدي .. دعني ألق نظرة على هذا الغلاف وتناول الغلاف . وفحصه بدقة وإمعان . ثم قال :

- إن جميع الأختام سليمة .. ولكن الغلاف فتح .

- ماذا تقول ؟

- أقول إن الغلاف فتح بواسطة موسى .. أو أداة أخرى حادة.

وقد فتح بمهارة دون أن تمس الأختام ثم أعيد لصقه .

قال ذلك واخرج من جيبه مطواة . فتح الظرف والقى عليه نظرة ثم قال :

إن ورق الرسالة من نوع ورق الغلاف . والخط واحد اليس كذلك؟

فوافق مسجل العقود .. ووافقت "كاترين" على أن الخط الذي كتبت به الوصية هو خط مسيو "مونتسييه" .

ولم يبق بعد ذلك إلا أن يتلو مسجل العقود مضمون الوصية .. فسأل الشقيقتين :

- هل توافقان على قراءة الوصية بحضور مسيو "بيشو" ومسيو "راؤول دافيناك" ؟

فأجابتا :

- نعم .

وقرأ مسجل العقود في الوصية ما يلي :

"أنا "ميشيل مونتسييه" أوصي لحفيدتي "برتراند" و "كاترين" بقصر (باريفا) والأرض المحيطة به .. على أن توزع بينهما الأرض وفقا للقسمة غير العادلة التي أوجدها النهر بمروره فيها . فتعطى "كاترين" القسم الأيمن الذي يقوم عليه القصر . وأنا واثق من أنها ستقيم وتعنى به كما كانت تفعل وأنا على قيد الحياة . أما "برتراند" فتعطى القسم الأيسر على أن تعوض عن هذا الغبن الذي لحقها من جراء هذه القسمة بمبلغ ٣٥ الف فرنك هي قيمة تبر الذهب الذي وفقت إلى صنعه . والذي سارشد إلى موضعه وطريقة صنعه في ورقة أخرى ملحقة بهذه الوصية ، وتلافيا لكل خطأ أو سوء تفاهم في توزيع ممتلكاتي بين حفيدتي قد وضعت رسما تخطيطيا للقصر والأرض المحيطة به . يبين القسم الخاص بكل من حفيدتي .. وهذا الرسم

موجود بالدرج الأيمن من مكتبي وقد بينت عليه الحد الفاصل بين نصيب الحفيدتين .. وهذا الخط يبتدئ من الشجرة الوسطى من أشجار الصفصاف الثلاث التي طالما أحبت "كاترين" أن تخلد إلى الراحة عندها . وينتهي عند مدخل الحديقة" .

وأتم مسجل العقود قراءة الوصية . وأتى على جميع ماورد بها من تفصيلات قليلة الأهمية .

وقد تبادل "راؤول" و"كاترين" نظرة ذات معنى حين وردت ذكر أشجار الصفصاف الثلاث .

كانت هذه الأشجار هي أهم ما يهمها من مضمون الوصية .. أما الآخرون .. فقد انصب اهتمامهم على مسألة التبر والذهب المصطنع قال "بيشو" في لهجة جدية :

- يجب دفع هذه الوصية إلى الخبراء للتأكد من صحة الخط .

بيد أن هناك دليلا ماديا يمكن الرجوع إليه في الحال .. وذلك هو العثور بالتبر في المكان الذي ذكره صاحب الوصية نعم .. إن العثور بهذا التبر هو الدليل على عدم حدوث عبث بالوصية .

فنظر "راؤول" إلى "كاترين" وسألها :

- هل لك ما تقولينه في هذا الصدد يا أنسة ؟

فاجابت على الفور :

- نعم . أحب أن أقدم البرهان على صدق جدي وإخلاصه ..

فاقول إنني عثرت بطريق الصدفة على الرسم الذي تكلم عنه...

وتبينت في هذا الرسم المكان الذي خبأ فيه التبر الذي صنعه .. فإذا شئتم دللتكم على هذا المكان .

فهتفت "برتراند" قائلة :

- ماذا تقولين يا "كاترين" .. كنت تعرفين مكان التبر ولا تتكلمين !

- لقد كان هذا التبر سرا من أسرار جدي .. ولم يكن في مقدوري إفشاء هذا السر إلا نزولا على إرادته وأوامره ..

وتقدمت "كاترين" القوم إلى الطابق الأعلى . ودخلت غرفة صغيرة قد نسج العنكبوت خيوطه في انحائها . وهناك اقتربت من طائفة من الأواني الصغيرة في أحد الأركان ورفعت غطاء إحداها .. ودست فيها

يدها وأخرجت قبضة من التبر الوهاج وقالت :
- هو ذا التبر الذي تكلم عنه جدي .
فأمعن مسجل العقود النظر في التبر ثم قال :
- إنه من النوع الذي عرضه علي مسيو "مونتسييه" وهتف "بيشو" في دهشة :
- هل هذا ممكن ؟؟ هل استطاع حقا أن يصنع الذهب .. وأن يصنع خمسة أو ستة كيلو جرامات ؟ تلك إذن إحدى المعجزات .
ثم استطرد بعد لحظة .
- إنما المهم ألا يكون قد ضاع سر صنع هذا الذهب ..
فأجاب مسجل العقود :
- لا أعلم هل ضاع هذا السر أو لم يضع .. كل ما أعلمه أنني لم أجد الملحق الذي تكلم عنه مسيو "مونتسييه" في وضيته .. وهو الملحق الذي قال إنه ضمنه وصف مكان الذهب وسر صنعه . ومن المحتمل أنه لولا عثور الآنسة "كاترين" بالرسم لما خطر لنا أن نفحص محتويات هذه الأواني ولتعذر علينا أن نجد هذا التبر.
فقال "بيشو" متهكما :
- نعم . كان يتعذر ذلك حتى على صاحبنا "دافيناك" الذي يعلم كل شيء . ويأتى بأعمال السحرة .
فأجابه "راؤول" :
- أنت مخطئ يا صديقي العزيز .. لأنني اكتشفت .. هذه الأواني .. غداة وصولي . هل تريد الدليل على ذلك ؟ إذن فارفع غطاء الآنية الرابعة . وضع يدك في جوفها تجد قطعة من الورق المقوى قد كتب عليها بخط مسيو "مونتسييه" تاريخ ١٣ سبتمبر . وهو التاريخ الذي وضع فيه التبر بهذه الآنية . وبعد أسبوعين من هذا التاريخ غادر مسيو "مونتسييه" قصر (باريفا) وفي مساء وصوله إلى باريس توفي فجأة .
فذهل "بيشو" إذ تحقق من صدق "راؤول" . وراح يغمغم :
- هذا صحيح ... هذا صحيح .
فقال "راؤول" وهو . يبتسم :

- ألم أقل لك إنني على علم بكل شيء ؟

وأمر مسجل العقود . فحملت الأواني . ووضعت في دولاب بالطابق الأول واحتفظ مسجل العقود بالمفتاح . وقال محدثا "برتراند" :

- إن هذا التبر من نصيبك كما تنص على ذلك وصية جدك . ولكن يجب أولا أن استوثق من صحة الوصية .

وعندما هم الأستاذ "برنار" بالانصراف . استوقفه "راؤول" بقوله :

- هل تسمح لي بدقيقة من وقتك ؟

- بغير شك .

- لقد لاحظت وأنت تقرأ الوصية : أن بالصفحة الأخيرة منها طائفة من الأرقام .

فأجاب مسجل العقود :

- هذا صحيح . وقد لاحظتها بدوري .. وفي اعتقادي أنها أرقام وضعت كيفما اتفق .. وربما كانت لها علاقة بأمر فكر فيه مسيو "مونتسييه" بعد أن كتب الوصية . ولم يجد في متناوله قصاصة ورق يسجل عليها الأرقام فسجلها هنا .

فقال "راؤول" :

- لا شك أنك على حق . ولكن هل تسمح لي بنسخ هذه الأرقام ؟

وتناول الوصية . ونسخ منها الأرقام التالية :

٣١٤١٥١٦٩١٣١٤١٥٣١٠١١١٢٩١٢١٣١٤

ثم رد الوصية إلى مسجل العقود وهو يقول :

- قد تسوق المصادفات الحسنة إلى الإنسان دلائل لا ينبغي أن يهملها . وهذه الأرقام على غموضها قد تكون من نوع هذه الدلائل . وانصرف مسجل العقود ورأى "بيشو" من اللياقة أن يرافقه إلى الباب الخارجي .. وعندما عاد إلى الغرفة سمع "راؤول" يقول محدثا الشقيقتين :

- إن النتيجة ليست سيئة على كل حال .

فتحولت إليه العيون .. ونظر إليه القوم في مزيج من الفضول والقلق . وسأله "بيشو" قائلا :

- هل وقعت على شيء ذي أهمية وسط هذه الفوضى ؟

- إنني وقعت على الشيء الذي يضعنا وسط المعمعة .
- وذلك الشيء هو ؟
- هو نقل أشجار الصفصاف الثلاث .
- الا تدع خرافتك هذه أو بالأحرى خرافة الآنسة "كاترين" ؟
- إن الوصية تؤيد هذا الذي تزعم انه خرافة .
- كيف تؤيد الوصية هذه الخرافة ، وقد رأينا الأشجار الثلاث على الرسم في مواضعها الحالية ؟
- هذا صحيح .. ولكنك إذا فحصت الرسم بإمعان كما فحصته فإنك تلاحظ في الحال أن الأشجار الثلاث كما نقلت من مواضعها على الأرض ، قد نقلت كذلك في الرسم .. انظر .. إن الصليب الثلاثي الذي يمثل الأشجار الثلاث قد محي من الرسم بمهارة .. ولكن من السهل جدا اكتشاف المحو بواسطة العدسة المكبرة .
- وماذا تفهم من ذلك ؟
- هل تذكر يوم انبطحت على صدري فوق غصن إحدى هذه الأشجار الثلاث وطلبت إليك أن تقف في مكان معين . وأن ترفع يدك ؟ إنني كنت في ذلك اليوم أبحث كيفما اتفق عن أمر نراه الآن في هذا الرسم واضحا جليا .. خذ هذا القلم . وارسم به على هذه الخريطة خطا يصل بين شجرة الصفصاف الوسطى في موضعها الحالي وبين باب الحديقة لقسمة الأرض وفقا لإرادة الموصي .. حسنا .. والآن ... عليك أن ترسم خطا آخر يصل بين شجرة الصفصاف الوسطى في موضعها الحقيقي وبين باب الحديقة .. احسنت صنعا .. تامل الآن الفارق الكبير الذي أحدثه نقل أشجار الصفصاف الثلاث من مكان إلى آخر . إن نقل هذه الأشجار قد أبدل القسمة بين الشقيقتين . وظلم صاحبة القسم الأيمن لمصلحة صاحبة القسم الأيسر .

فهز "بيشو" رأسه وقال بصوت خافت كمن فهم أمرا غاب عنه :

- هذا صحيح ..
- اتفقنا إذن على هذه النقطة .. فلننتقل إذن إلى النقطة الثانية . علام يشتمل القسم الأيمن من الأرض بعد نقل الأشجار الصفصاف ؟

فأجاب "بيشو" :

- إنه أصبح يشتمل على جبل الرومان . وبعض أكام صخرية .
- أي أن السرقة التي حدثت من هذا القسم الأيمن قد حرمته من النهر وضفتيه . وسائر الأجزاء الخصبة المنتجة .
- تريد اذن ان تقول إن السرقة حدثت لمصلحة إحدى الشقيقتين وللإضرار بالاخرى .
- هذا أمر لا شك فيه . والظاهر ان بعض الناس قد عرف مضمون الوصية عقب وفاة مسيو "مونتسييه" مباشرة . فجاء إلى هنا .. ونقل أشجار الصفصاف من مواضعها بمساعدة بعض الأعوان .
- لا لغرض إلا اختلاس قطعة من الأرض ؟
- من يدري .. فقد تكون لقطعة الأرض التي اختلست علاقة وثيقة بسر صنع الذهب .
- هذا تعليل خلاب في ظاهره .. ولكن من هو في اعتقادك الذي نقل أشجار الصفصاف ؟
- انت تعرف المثل اللاتيني القائل : إن المجرم هو الشخص الذي يفيد من الجرم .
- هذا مستحيل .. لان الذي يفيد من نقل الأشجار هو مدام "جرسان". وانت لا ترمي بالتاكيد إلى اتهامها .
فلم يجب "راؤول" . بل اخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا . ثم تحول فجاة إلى "برتراند" . وقال لها :
- عفوا يا سيدتي .. إنني لم اتهم احداً كما يعتقد مسيو "بيشو" .. كل ما هنالك انني اربط الحوادث بعضها ببعض .. واستنتج من ذلك ما يمكن استنتاجه .
فاجابت :
- من المؤكد أن ما اوضحته صحيح .. ولكني في الواقع لم افد من نقل أشجار الصفصاف إلا فائدة ظاهرية .. لان احدا منا انا و "كاترين" لا يفكر في اعتزال الآخر .. وليست هناك حواجز بين نصيبي كل منا .. وعليه فإنني أعتقد أن الشخص الذي أحدث هذا التزوير ولجا إلى هذا الخداع . إنما كان يعمل لمصلحته الشخصية.
فقال "راؤول" :

- هذا أمر لا شك فيه .

فسأله "بيشو" :

- أليست لديك أية فكرة في هذا الصدد ؟ أنت تعلم أن الوصية قد دست في ملف أوراق أسرة "مونتسييه" ..

- أعلم هذا بالتأكيد .

- وممن علمت ؟

- من ذات الشخص الذي دس الوصية .

- إننا إذا اهتدينا إليه .. أمكنا أن نعلم الكثير ..

- إنه كان أداة فحسب ..

- تعني أداة لتنفيذ مآرب شخص آخر ؟

- نعم ..

- وما اسمه ؟

فتريث "راؤول" .. ونظر إليه الجميع في فضول وقلق .

قال أخيراً :

- يجب أن تعلم أولاً يا "بيشو" .. أنني لا أستطيع أن أفضي إليك بشيء من معلوماتي الخاصة .. إلا إذا وعدت بكتمان الأمر عن زملائك رجال البوليس ..

- إنني أعدك .

- هل تقسم ؟

- أقسم ..

- إذن فاعلم أن الخيانة وقعت في مكتب مسجل العقود نفسه ..

- هل أنت واثق ؟

- كل الثقة .

- ولماذا لم تخطر بذلك الأستاذ "برنار" ؟

- لو أنه علم لكان تصرفه بعيدا عن كل حنكة .

- إذن في استطاعتنا أن نستجوب موظفي المكتب واحدا واحدا..

فقالت "كاترين" :

- إنني أعرف أولئك الموظفين جميعا ، وقد جاء أحدهم هنا منذ بضعة أسابيع لمقابلة زوجك يا "برتراند" .. آه .. نعم .. تذكرت الآن ..

إنه جاء في صبيحة اليوم الذي قتل فيه زوجك .. كانت الساعة الثامنة وقتئذ وكنت في انتظار رسالة من خطيبي . فقابلت موظف مكتب الأستاذ "برنار" في البهو وكانت تبدو عليه علامات الاضطراب .. وفي ذات اللحظة أقبل زوجك وانصرف الاثنان معا.

فسألها "بيشو" :

- وهل تعرفين اسم هذا الموظف ؟

- نعم .. إنني أعرف اسمه منذ مدة .. فقد كنت كثيرة التردد مع جدي على مكتب الأستاذ "برنار" والموظف الذي نحن بصدده هو كبير موظفي المكتب . واسمه "فامرون" .

وساد الصمت مرة أخرى ، ثم قال "راؤول" محدثا "برتراند" :

- أرجو أن تجيبي عن سؤال بسيط يا سيدتي .. هل غادر زوجك القصر في المساء السابق ليوم الجريمة .

فأجابت "برتراند" :

- ربما .. أنا لا أستطيع أن أتذكر جيدا .

فقال "بيشو" :

- أما أنا فأذكر جيدا .. أذكر أن زوجك كان مصابا بصداع يسير فذهب بي في سيارته إلى القرية وتركني هناك ثم انطلق بسيارته في طريق ليلبون وقد كانت الساعة وقتذاك العاشرة .

وهنا أخذ "راؤول" يسير في الغرفة جيئة وذهابا مرة أخرى ؛ حتى انقضت دقيقتان أو ثلاث . ثم عاد فجلس وهو يقول :

- هذا عجيب .. توجد في هذه الحوادث مصادفات واتفاقات غاية في الغرابة . فمثلا الموظف الذي دس الوصية في ملف أوراق الأسرة يدعى "فامرون" وحول الساعة العاشرة من مساء اليوم السابق للجريمة .. قابل "فامرون" في (ليلبون) الرجل الذي طلب إليه أن يدس الوصية في الملف . وقد تردد "فامرون" قليلا .. ثم قبل أن يبرم الصفقة لقاء عشرين ألفا من الفرنكات .

الفصل التاسع

اثنان من المجرمين

أعقب تصريح "راؤول" صمت طويل ثقيل قطعته "برتراند" أخيراً بأن مرت بيدها على جبهتها وغمغمت تقول :

- لست افهم جيدا ما تعني يا سيدي .. هل يتضمن كلامك اتهاما ؟

- اتهاما لمن يا سيدتي ؟

- اتهاما لزوجي !

- إنني لا اتهم أحدا يا سيدتي .. وإنما يدهشني فقط الاتجاه السيئ الذي تتجهه الملابسات والمصادفات ضد زوجك .

فلم يظهر على "برتراند" شيء من علامات الدهشة .. وأجابت :

- إن عاطفة الحب التي كانت تربط بيني وبين زوجي قبل الزواج وبعده لم تصمد طويلا امام متاعب الحياة .. وإذا كنت قد رافقته في اكثر رحلاته واسفاره فليس ذلك إلا لأنه كان زوجي . وكانت مصالحنا مشتركة . اما حياته الخاصة فإنني كنت أجهلها . ولذلك لا يسيئني أن تلجئنا الحوادث الآن إلى وضع حياته على المشرحة . وبحث كل صغيرة وكبيرة تتصل به .

فما هو رأيك الحقيقي إذن يا سيدي ؟ . تكلم بصراحة .

فقال "راؤول" :

- هل تسمحين لي باستجوابك يا سيدتي ؟

- بالتأكيد .

- هل كان مسيو "جرسان" موجودا في باريس عندما توفى مسيو "مونتسييه" ؟

- كلا .. إننا كنا في بوردو فلما اخطرتنا "كاترين" تلغرافيا بوفاة جدي قصدنا إلى باريس في صباح اليوم التالي :

- وأين نزلتما ؟

- في الشقة التي كان يقيم بها جدي واختي .

- هل كانت غرفة زوجك في تلك الشقة بعيدة عن الغرفة التي سجيت

فيها جثة جدك ؟

- كانت قريبة منها .

- وهل تناوب زوجك مع أختك ومعك في السهر على الجثة قبل الدفن؟

- إنه تناوب السهر معي في الليلة الأخيرة قبل الدفن .

- وهل حدث أنه بقي وحده مرة مع الجثة ؟

- نعم .

- هل كان يوجد هناك دولاب .. أو خزانة اعتاد جدك أن يحتفظ فيها بأوراقه ؟

- كان يوجد دولاب .

- وهل كان الدولاب مغلقا بالمفتاح ؟

- لا اذكر .

وهنا قالت "كاترين" :

- أنا أذكر أن الدولاب كان مفتوحا ، ولم يغلق إلا عندما حضر الأستاذ "برنار" بصفته مسجل عقود الأسرة .

فقال "راؤول" في صراحة :

- إذن فهناك ما يدعو إلى الظن بأن مسيو "جرسان" قد سرق الوصية من الدولاب اثناء الليل .

فثارت ثائرة "برتراند" وصاحت :

- ماذا تقول ؟! بأي حق تتهم زوجي بالسرقة . وعلى اي دليل يقوم هذا الاتهام ؟

فأجاب "راؤول" :

- لابد أنه هو الذي سرقها . بدليل انه اهتم برشوة "فامرون" لوضعها في ملف أوراق الأسرة .

- ولكن لماذا سرقها ؟

- ليقرأ ويقف على محتوياتها . ويتاكد من أنها لا تتضمن غبنا لك وبالتالي غبنا له بصفته زوجك .

- ولكنك ترى أن الوصية لا تتضمن أي غبن لي .

- يخيل إلى الإنسان لأول وهلة أنه ليس ثمة غبن . فقد أعطيت جزءاً

من أملاك جدك . وأعطيت شقيقتك جزءاً آخر أعظم اهمية . وقد عوضك جدك عن الظلم الذي لحقك بأن خصك بكمية من الذهب ولكن من أين جاء بالذهب ؟ ذلك ما تساءلت فيه مع زوجك . ومهما يكن من أمر فقد قرر زوجك أن يحتفظ بالوصية إلى أن يعثر بالملحق الذي وعد جدك بأن يوضح فيه الطريقة التي حصل بها على الذهب .. ومن المحتمل أن يكون قد عثر بهذا الملحق وعرف مضمونه واخفاه ثم جاء إلى هنا سرا وعمل على نقل أشجار الصفصاف من مواضعها .

- وكيف علمت ذلك يا سيدي ؟ إن زوجي لا يفارقني البتة وأنا أرافقه في جميع أسفاره .

- إنك لا ترافقينه دائما . إنه زعم بعد وفاة جدك بشهرين أن أعماله تدعوه للسفر إلى المانيا .. ولكنه لم يرحل إلى المانيا . بل جاء إلى (كيلبوف) حتى إذا اقبل المساء . قصد إلى الغابة المجاورة . واختبأ في كوخ الأم "فوشيل" .

ولما هبط الليل . جاء إلى هذه المنطقة . ونقل أشجار الصفصاف من مواضعها .

فصاحت "برتراند" في غضب :

- أين الأدلة .. أين الأدلة على ذلك ؟

فقال "راؤول" :

- إن الرجل الذي تعاون مع زوجك على نقل الأشجار من مواضعها هو "دومنيك" . ابن الأم "فوشيل" . وقد كانت هذه العجوز على علم بما فعل ابنها . وقبل أن تفقد عقلها تماما ويصيبها الخبل . باحت بما تعلم إلى بعض القرويين . ومن هؤلاء قد علمت الحقيقة .

- ولكن هل أنت واثق من أن "دومنيك" فعل ذلك لحساب زوجي ؟

- نعم .. والقرويون الذين استجوبتهم يعرفون زوجك لأنه سبق أن أقام معك هنا بعد الزواج . وفضلا عن ذلك فإنني وجدت آثار زوجك في الفندق الذي نزل به في (كيلبوف) وقد وقع زوجك على سجل الفندق باسم مستعار .. فانتزعت الورقة من السجل وهاهي في جيبي .

وقد ورد في السجل كذلك اسم سيدة لحقت بزوجك في نهاية المدة التي أقامها بالفندق .

- سيدة ؟!
- نعم .
فصاحت "برتراند" :
- هذا كذب .. لم يتخذ زوجي عشيقات قط .. هذا كذب .. هذه وشاية دنيئة .. ولكن امض في حديثك يا سيدي .. أريد أن أعلم إلى أين تصل بك الجراة .
فاستطرد "راؤول" :
- وقد عاد زوجك بعد أن فرغ من مهمته وراح يتربص بالفرص لمعرفة سر الذهب .. ولما جئت مع شقيقتك للإقامة هنا .. لحق بكما ليواصل أبحاثه .
وبعد يومين من وصوله . قصد مسيو "جرسان" إلى برج الحمام في الجزيرة ..
- فقاطعه "بيشو" بصوت مرتفع . وهو ينهض واقفا على قدميه:
- وهناك أصابته رصاصة صرعته ..
نظر إليه "راؤول" طويلا ثم قال :
- ما معنى هذه المظاهرة ؟
فاجاب "بيشو" في تهكم .
- هل تريد ان تقنعني بان مسيو "جرسان" سرق الوصية ثم أعادها ونقل الأشجار الثلاث .. وقلب السماء والأرض بحثا عن سر الذهب . ووضع الفخاخ في كل مكان .. ثم ذهب ضحية أعماله ؟
فحملق "راؤول" في وجهه من جديد .. وارتسمت في عينيه نظرة من يريد أن يقول "هذا المغفل لا تنتظر منه فائدة ولا يمكن إصلاحه" .
ثم هز كتفيه ومضى إلى النافذة وراح يطل منها . ثم عاد إلى مكانه بعد قليل وقال محدثا "كاترين" :
- هل أنا بحاجة إلى الإجابة عن سؤال "بيشو" لكي أنال ثقتك!
- كلا ..
فنظر إلى "برتراند" وسالها :
- وهل هذا هو رأيك يا سيدتي ؟
- نعم .

- هل تثقين بي ثقة عمياء ؟

- نعم ..

- هل تريدين الإقامة في القصر أو العودة إلى (الهافر) أو إلى باريس ؟

فقالت "كاترين" بحماسة :

- نحن نفعل ما تنصحنا بفعله .

- حسنا .. إنني أنصح لكما بالبقاء في هذا القصر على الرغم من الأخطار التي تهددكما .. وكل ما أطالبكما به أن تذيعا أن في نيتكما الرحيل من هنا في ١٠ أو ١٢ سبتمبر على الأكثر .. لأعمال مهمة تضطركما إلى الرحيل .

- وأين نذيع هذا ؟

- بين أهل القرية .. وبين خدمكم الذين ساقصد اليوم إلى الهافر لاستدعائهم وبين "شارلوت" و "ارنولد" وقاضي التحقيق .. نعم . وأذيعا كذلك أن القصر سيغلق في ١٢ سبتمبر .. وأنه ليس في نيتكما أن تعودا إليه قبل الربيع القادم .

فقال "بيشو" :

- لست أفهم معنى ذلك .

- كان يدهشني أن تفهم .

وتركه ومضى .

* * *

وفي المساء . عاد "أرنولد" و "شارلوت" وباقي الخدم من الهافر.. وتم الاتفاق بين "راؤول" و "بيشو" على إخلاء القصر والإقامة في مبنى صغير في الحديقة أعد للضيوف الذين يدعوهم أصحاب القصر للصيد والقنص .

وقد تناول الجميع طعام العشاء معا في القصر .. وكان الجو في غرفة الطعام فاترا .. بعد الحالة التي أوجدها "راؤول" . والاتهامات التي وجهها ..

وبعد الطعام نهضت "كاترين" .. وانصرف "بيشو" .

ولما هم "راؤول" بمغادرة غرفة الطعام .. لحقت به "برتراند" وقالت له

في صوت خافت :

- اريد أن أتحدث إليك .

رآها ممتقعة اللون .. مرتجفة الشفتين .

قال :

- لا أعتقد أن هذا الحديث ضروري .

- بل ضروري جدا .. إنك لا تعلم ماذا أريد أن أقول لك .

- هل أنت واثقة من أنني لا أعلم ؟

فقالت "برتراند" بصوت أجش :

- إنك تتكلم كما لو كان بيني وبينك ثار .

- أقسم لك أنني لا أكن لك حفيظة أو موجدة .

- كلا . كلا . إنك تحقد علي .. وإلا فماذا كنت تقصد من ذكر المرأة التي قلت إنها اقامت مع زوجي في كيلبوف ؟ ماذا كنت تقصد غير إيلامي وتجريح شعوري ؟

- في استطاعتك أن تقصي من بالك ما قلت في هذا الصدد . فاطرقت براسهالحظة ثم سالت :

-وإذن فقد انتزعت تلك الورقة من سجل الفندق ؟

- نعم .

-أرنيها .

فاخرج من جيبه ورقة دفعها إليها . فالقت ببصرها عليها . ثم سالت :

- أين توقيع زوجي ؟

-هاهو .. إنه وقع باسم مسيو "جرسيني" .. وهو تحريف بسيط لاسمه الحقيقي .

- ولكن لا أرى هنا اسم السيدة التي لحقت به في الفندق .

- كلا . إن السيدة لحقت به بعد بضعة أيام . ووقعت باسمها على صفحة أخرى . وقد انتزعت هذه الصفحة كذلك ..

واخرج من جيبه ورقة أخرى دفعها إليها وهو يقول :

- إنها وقعت باسم مدام "اندريال" . فهل تعرفين سيدة بهذا الاسم ؟

- مدام "اندريال" ؟ ! كلا .. لا أعرف سيدة بهذا الاسم :

- لا شك أنه اسم مستعار .. ولكني تبينت وجوه شبه عديدة بين خطها .. وخط آخر أعرفه .

- إذن فانت تعرفها ؟

فنظر إليها نظرة ذات معنى . ثم أجاب :

- نعم .. أعرفها..

والتقت عيونهما .. فرأى في عينيها نظرة هي مزيج من التوسل والتحدي .. ولكنها لم تستطع المقاومة طويلا .. فانفجرت باكية ألقى بيده على كتفها في لطف وقال :

- لا تبكي .. أعدك بأن أصلح ما فسد .. وألا يعلم أحد أنك كنت شريكة زوجك فيما فعل .. ولكن قولي أولا .. هل كل ما ذكرته صواب ؟

- نعم . إنك لم تقل غير الحقيقة .

وهنا أجلسها "راؤول" على أحد المقاعد وسألها :

- هل لك أن تسردي علي بإيجاز كل ما حدث .. أريد أن أعرف فقد أجد ما ينير أمامي الطريق .

فأجابت بصوت متهدج: :

- في اعتقادي أن زوجي ليس هو المذنب الوحيد . فقد ائتمنه جدي على الوصية قبل وفاته .. وطلب إليه أن يفتحها بعد موته بحضور مسجل العقود .. ولكنه فتحها قبل ذلك .

- هل هذا ما قاله لك زوجك .

- نعم ..

- إنه لم يذكر لك الحقيقة .. هل كانت الصلة بين زوجك وجدك على ما يرام ؟

- كلا .

- إذن كيف أمكن أن يأتمنه جدك على الوصية ؟!

- لا أعلم هذا ما قاله لي زوجي بعد بضعة أسابيع من وفاة جدي .

- بيد أنك بسكوتك عن فعلة زوجك قد تواطات معه .

- ذلك صحيح .. ولكني تألمت لذلك فيما بعد جد الألم . والواقع أننا كنا في ضيق مالي .. ولما علمت من الوصية أن جدي آثر أختي علي أثار ذلك غضبي .

وكانت حكاية الذهب قد استولت على عقل زوجي . فتوهم أن جدي قد أوقف على "كاترين" القصر والأراضي المحيطة بالنهر . وأنه ربما قد فعل ذلك عمدا لكي تستولي وحدها على مصدر الذهب .

- لو أن جدك ترك لأختك وحدها مصدر الذهب . لما ترددت أختك في إشراكك معها .

- هذا صحيح .. ولكن الغيظ أعماني .

- كان في استطاعتكما أن تمزقا الوصية أو أن تخفياها .. وبذلك تشاطرين أختك الأرض والقصر مناصفة .

- نعم .. ولكننا خشينا أن تتزوج "كاترين" فيضايقنا زوجها ، ولا نستطيع أن نقوم بأبحاثنا عن الذهب بحرية .

وبعد .. فإنني أعتقد أن زوجي كان يعلم أشياء كثيرة يخفيها عني .

- وممن علمها ؟

- من الأم "فوشيل" التي كانت في خدمتنا فيما مضى فقد كانت هذه العجوز تسرد له أشياء كثيرة عن جدي وعن جبل الرومان ولم يفصح لي زوجي عن غرضه من نقل أشجار الصفصاف إلا عندما لحقت به في فندق (كيلبوف) كما تبينت أنت ذلك من الخط الذي وقعت به في سجل الفندق .. بيد أنه لم يصارحني بشيء أكثر من ذلك .

- لماذا ؟

- لأنني ندمت . وهددت بأن أحدث "كاترين" بكل شيء .. وفضلا عن ذلك فإن العلاقات بيني وبينه كان قد أدركها الفتور . وكان في نيتي أن أنفصل عنه نهائيا . ولذلك ادهشني جداً قدومه في أثرنا . ولكني أؤكد لك أنني لا أعرف من الذي قتل زوجي .. أو لماذا قتله .

ومرت بجسدها رعدة شديدة حين تذكرت الجريمة . فالقت بنفسها بين ساعدي "راؤول" وهي تصيح :

- إنني أتوسل إليك .. أتوسل إليك أن تحميني ..

- اطمئني يا سيدتي .. ساتولى حمايتك ..

- لا أريد أن يعلم أحد بما فعله زوجي .. أو يعلم أنني كنت شريكته وفي استطاعتك أن تمنع هذه الفضيحة من الذيوع .. إنك تستطيع أن تفعل كل ما تريد : وليست لي ثقة بأحد سواك .

الفصل العاشر

الرجل ذو القبعة العريضة

عاد "فامرون" من (روان) قبل الموعد الذي توقعه "راؤول" ، ذلك لأنه افرغ جيوبه بأسرع ما يمكن .. ثم قصد لتوه إلى منزله الواقع بين ليلبون وراديكاتل .. وهو المنزل الذي دفع ثمنه من عرق جبينه ..

وقد نام ليلة عودته نوم الأبرار .. فقد كان مستريح البال مطمئنا إلى انه لم يبق في جيبه فرنك واحد من مصدر غير مشروع .

بيد أن الرجل لم يتمالك من الشعور بالدهشة والذعر حين استيقظ حول منتصف الليل على ضوء وهاج يتألق فوق وجهه .. فنهض خائفا مرتعبا .. ولكنه شعر بيد تلقى على كتفه بلطف وسمع صوتا هادئا يقول له :

- ماذا دهاك يا "فامرون" .. انسيت "راؤول" زميلك في سهراتك الممتعة في روان ؟

فاجاب الرجل بلسان متلعثم :

- ماذا تريد مني ؟ "راؤول" أنا لا أعرف أحدا بهذا الاسم .

- كيف ذلك ؟ هل نسيت ليالينا في روان ؟ هل نسيت اعترافاتك لي ؟

- اية اعترافات ؟

- لا تتجاهل يا "فامرون" : هل نسيت اعترافاتك لي عن العشرين ألف فرنك .. وعن الرسالة التي وضعتها في ملف أوراق أسرة "مونتسييه" ؟

فهتف "فامرون" بصوت مختنق :

- صه .. صه ..

- إذا اردتني على أن أكتم السر فلا أبوح به لصديقي "بيشو" مفتش البوليس الذي اقوم معه بتحقيق حادث مقتل مسيو "جرسان" ، فليس عليك إلا أن تجيبني بصراحة .

فصاح الرجل في ذعر :

- اقسم لك ا نني لا اعرف شيئا عن مقتل هذا الرجل ؟

- كن مطمئنا يا "فامرون" .. أنا لا أتهمك بقتله . وفقط أريد أن أعلم

منك بعض أمور بسيطة .. ثم أتركك نائما نوم الأبرار الأطهار ..

- ماذا تريد أن تعلم ؟

- هل كنت تعرف مسيو "جرسان" من قبل ؟

- نعم .. إني رأيته في مكتب مسجل العقود كما أرى عميلا من العملاء .

- وهل رأيته بعد ذلك ؟

- كلا ..

- ألم تره إلا عندما أراد أن يبتاع ضميرك .. ثم عندما قابلته في (راديكاتل) في صباح اليوم الذي قتل فيه ؟

هو ذلك .

- هل كان وحده عندما قابلك في المساء السابق للجريمة ؟

- نعم .. ولا .

- ماذا تعني .

- كان يتحدث إلي بمفرده .. ولكني لمحت بين الأشجار على بعد عشرة أمتار منا شبحا لم أتبين ملامحه ..

- هل جاء هذا الشبح في رفقة مسيو "جرسان" ؟

- لا أعلم .

- ألا تذكر شيئا بصفة خاصة عن الشبح ؟

- كلا . لا أذكر .. كل ما أذكره عنه أنه كان يضع على رأسه قبعة عريضة الحافة .

- ألم تلاحظ شيئا آخر ؟

- كلا . لم ألاحظ شيئا ..

- أليست لديك أية فكرة عن مصرع مسيو "جرسان" ؟

- كلا ليست لدي . كل ما هنالك أنني ظننت أنه ربما كانت هناك صلة بين القاتل وذلك الشبح .

- هذا محتمل .. ولكن لا بأس .. تستطيع أن تطرد الآن من ذهنك هذه الصورة المزعجة .. وأن تنام آمنا مطمئنا ..

قال ذلك .. وأرقده في فراشه .. وسحب عليه الأغطية .. ومضى من

حيث أتى .

* * *

وقد علم "راؤول" من التحريات التي قام بها بعد ذلك .. أن هناك طائفة من السرقات وقعت في القرى المجاورة وقيل عمن ارتكبها إنه رجل نحيف القامة يضع على رأسه قبعة عريضة الحافة .

وحدث أن خرج "راؤول" مرة للنزهة مع "كاترين" و "برتراند" فعرجوا جميعا على كوخ الأم "فوشيل" .. وهناك اكتشف "راؤول" على جدار الكوخ من الداخل بضعة رسوم بالطباشير .. رسمتها العجوز بغير شك .. وكلها قريبة الشبه من أصحابها .. فقد تبين في هذه الرسوم صورة مسيو "جرسان" .. وصورة الرجل النحيل ذي القبعة العريضة .

وحدث مرة أخرى أن انطلق "راؤول" والشقيقتان للنزهة في النهر .. وأرخى الليل سدوله وهم ما زالوا في عرض النهر .. وفجأة رأى "راؤول" شبح ذلك الرجل صاحب القبعة العريضة .. ثم سقطت على القارب صخرة هائلة تدارك "راؤول" خطرها بمهارة .. فدار بالقارب دورة سريعة أبعدته عن الخطر .. ثم وثب إلى الشاطئ .. وأسرع في أثر الرجل في الظلام .. واشتبك معه ، ولكن الشبح استطاع أن يتخلص من "راؤول" كأنه قبضة من الهواء .

ولم يشأ "راؤول" إزعاج الشقيقتين بذكر حادث الصراع الذي جرى بينه وبين الشبح ، ولكنه ترك منديله في تلك البقعة ليهتدي بواسطته إلى المكان الذي وقع فيه العراك .. عله يكتشف مخبأ غريمه المجهول . بيد أنه عندما عاد في الصباح ، وجد المنديل مثبتا في جذع إحدى الأشجار بواسطة خنجر حاد النصل ... فادرك أن خصمه يتحداه ويدعوه إلى النزال .

الفصل الحادي عشر

الفخ

حدد "راؤول" أيام ١٢ و ١٣ و ١٤ سبتمبر موعداً لإنفاذ خطته . فلما كان يوم ١٢ سبتمبر .. أوعز إلى "كاترين" و "برتراند" أن تامرا الخدم بإعداد العدة للرحيل إلى باريس في اليوم التالي . وانطلقت "برتراند" إلى العزبة لتصفية الحساب مع أصحاب الحوانيت الذين يوردون إلى القصر حاجياته ..

وقد قضى "راؤول" بعد ظهر ذلك اليوم في صيد السمك بالشص (السنارة) .. ولكن كان يخيل إلى الناظر إليه أنه أشد اهتماما بمراقبة قاع النهر منه باقتناص السمك .. ولما كان المساء قصد إلى الحظيرة التي ترك فيها سيارته .. فاستوثق من سلامة محركها .

وبعد أن تناول الجميع طعام العشاء معا .. قصد "بيشو" إلى منزله ... ووعده "راؤول" بأن يلحق به إلى هناك .. بعد أن تقرر أن تقضي الشقيقتان الليل وحدهما في القصر ثم انصرف "راؤول" في أثر "بيشو" بعد أن وعد الشقيقتين بأنه سيأتي في الساعة الحادية عشرة لينطلق بهما في سيارته إلى المحطة .

ولما دقت الساعة العاشرة .. خرج "راؤول" من منزل "بيشو" بحجة الرغبة في استنشاق النسيم . وقصد إلى حديقة القصر ... ولكن هناك تحت إحدى الأشجار الباسقة الأغصان .. أخذ يرقب ويفكر ..

لم يكن هناك خطر على الشقيقتين . ولكن لم يشأ أن يترك شيئا للمصادفات .. وكان فضلا عن ذلك يعتقد أن العدو المجهول قد يخطر له أن يجول بأنحاء القصر سيما وقد هيأ "راؤول" كل شيء لإشعاره بأنه أصبح من تحقيق أغراضه قاب قوسين أو أدنى .

وقد صح ظن "راؤول" .. فإنه لم تكد تنقضي فترة يسيرة حتى خيل إليه أنه يرى جسما غير ثابت ملتصقا بجذع إحدى الأشجار الضخمة.. ثم أتى هذا الجسم بحركة سريعة .. وراح فجاة يغوص في الأرض بطريقة أدهشت "راؤول" وما زال الشبح يغوص حتى غاب في

جوف الأرض ..

أخرج "راؤول" مسدسه .. وتريث .. وما هي إلا دقائق حتى رأى الشبح يبرز من مكان آخر بعيد في الحديقة .. ثم رآه يعدو منطلقا شطر الخرائب الكائنة في طرف الحديقة ..

انطلق في أثره وهو يحرص على السير في البقع التي لا يصل إليها ضوء القمر ..

وفجأة .. وبغير إنذار .. أحس ببعض الأغصان تتكسر تحت قدميه.. ثم هوى في فضاء سحيق .. وقبل أن يعتدل من سقطته أو يشعر بما حدث له احس بأيد سريعة تلفه في أغطية من القماش .. وتشد وثاقه جيدا .. وشعر ببعض الرمال والأحجار تنهال عليه من أعلى . ثم ساد الصمت والسكون والظلام ..

حاول أن يتملص من وثاقه .. ولكنه وجد أن كل محاولة تسفر عن اشتداد الوثاق حول جسمه . فلزم جانب السكون وراح يفكر ..

لم يكن لديه شك في أن شخصا واحدا هو الذي فعل به كل ذلك.. ولكنه لم يفقد الأمل .. ولم يخش القتل . فقد قال في نفسه إن خصمه إذا كان قد فعل ذلك فإنه لأسباب مهمة ترغمه على الإبقاء عليه .

وقد كان أعجب ما لاحظه "راؤول" بعد أن سقط في ذلك الفخ أنه كان يسمع كل ما يقال في الخارج رغم الأغطية التي كانت تحيط به فقد سمع خرير الماء في النهر ثم سمع دقات ساعة الكنيسة . وسمع بعد ذلك صوت محرك سيارة أدرك في الحال أنه محرك سيارته ... وفهم أنه لا يوجد من يجرؤ على الانطلاق بالسيارة غير عدوه .

فكر "راؤول" في الأمر وفكر ..

كان مقررا أن يقابل الشقيقتين في اليوم التالي ليذهب بهما في سيارته إلى المحطة .. وإذن فلن تشعر الشقيقتان بغيابه إلا إذا حان الموعد ، شعر القوم بالقلق عليه . فبدءوا في البحث عنه ولكن ترى هل يؤدي هذا البحث إلى إنقاذه ؟؟

وثمة مسألة أخرى .. هي أن اختفاءه لابد أن يحمل الشقيقتين على البقاء . ولما كان بقاؤهما في القصر من شأنه أن يعرقل العمل الذي كان يتوقعه "راؤول" من عدوه ،و الذي كان يتعين للقيام به أن يخلو

القصر من أصحابه. فإن من المنتظر إذن أن يبحث للعدو عن طريقة ما لإقصاء الشقيقتين عن القصر .

ولكن كيف يستطيع ذلك ؟

إن في استطاعته أن يستدعيهما إلى باريس بطريقة ما . يستطيع أن يبعث إليهما برسالة .. ولكن لا .. إنهما تعرفان خطه (أى خط راؤول) .. آه .. إن في مقدوره أن يبعث إليهما ببرقية .. ومتى تسلمتا البرقية فإنهما لا تبطئان في الرحيل ..

* * *

وقد قضى "راؤول" بقية الليل في محاولة التخلص من وثاقه .. ولما عجز عن ذلك استسلم للنعاس . ونام ملء جفنيه وانقضت ساعات الصباح دون أن يحدث جديد . فأيقن "راؤول" أن "كاترين" وشقيقتها لابد قد رحلتا عن القصر .

ولكن حدث حول الظهر أنه سمع صوتا يناديه :

- "راؤول" .. "راؤول" ..

وهتف صوت آخر :

- "راؤول" .. "راؤول" ..

عرف صوت "كاترين" . و"برتراند" فناداهما بدورد . ولكنهما لم تسمعاه وبعد قليل ابتعد صوت الشقيقتين وساد الصمت والسكون.

الفصل الثاني عشر

الانتقام

قال "راؤول" لنفسه :

- لقد خدعت فإنهما لم تتسلما برقية تدعوهما إلى باريس ولا ريب أن اختفائي قد أدهشهما فذهبتا تبحثان عني .

وخطر له أن أبحاثهما قد لا تضيع سدى . وأن "بيشو" سيعثر عليه بكل سهولة . فإن الأرض المحيطة بالقصر محدودة المساحة والمخابئ التي يمكن إخفاء جثته فيها سواء حسبوه ميتا أو جريحا ليست كثيرة . وهم فوق ذلك يعرفون الخرائب وجبل الرومان وبعض الأماكن الأخرى وقد زارها هو و "بيشو" معا . أما فيما عدا ذلك . وفيما عدا النهر والخرائب والقصر فليس هناك أي مكان يمكن إخفاء جثته فيه .

وانقضى النهار دون أن يجد جديد . فلم يطرق سمعه غير أصوات القوارب والسيارات .

ومرت الساعات وهو على هذه الحال . ولما دقت الساعة العاشرة مساء تذكر أن "كاترين" و "برتراند" وحدهما بعيدتان عن حمايته وخطر بباله أنهما ولا شك تعيشان في جو من الخوف والفزع فحاول الخلاص من قيوده . وعلى الرغم من متانة الحبال التي شد بها وثاقه فقد تراخت على أثر محاولته بحيث أصبح في إمكانه أن يتحول إلى المنفذ الذي تصور وجوده فيستنشق الهواء بسهولة خلال الأغطية الثقيلة التي أحيط بها وغلبه النعاس فنام . وكان نومه مضطربا تخللته أحلام رهيبة فاستيقظ مفزوعا وهو يصيح صيحات لم يعرف لها سببا وقال بصوت عال ليقوي من عزمه وإرادته :

- يا لله ترى هل يصيبني خبل من جراء الجوع والتعب والحمى؟!!

ودقت الساعة السابعة من صباح اليوم التالي . وكان اليوم الثاني عشر من سبتمبر وهو اليوم الأول من الأيام الموعودة وكانت جميع الدلائل تدل على أن العدو سيفوز وينتصر .

ملأته هذه الفكرة حمية وحماسة وأثارت غضبه وانفعاله فإن العدو

إذا فاز فستكون نتيجة فوزه هزيمة الأختين وخرابهما وضياع سر الذهب وإفلات المجرم من العقاب . كما ستكون نتيجته موته .

أما إذا أراد ألا يموت وأن ينتصر فعليه أن يتخلص من الفخ الذي وقع فيه .

أدرك "راؤول" من الهواء المنعش الذي وصل إلى رئتيه أن المنفذ ليس بعيدا وانه إذا خرج وصاح طالبا النجدة فسيخفون إلى نجدته وإنقاذه .

قام بمجهود أخير ولكنه شعر حوله فجاة بدوي يشبه الانهيار وأحس بالمكان الذي هو فيه ينحل و ينهار . فترى هل كان ذلك نتيجة محاولاته أم أن العدو كان يرقبه عن كثب فلما رأى تقدمه نحو المنفذ سد ذلك المنفذ بضربة معول ؟ سواء أكان هذا أم ذاك فإن "راؤول" شعر بشيء يرزح فوق جسمه و بأن جسمه يوشك أن يتحطم ، قاوم "راؤول" دفعة أخيرة . ولكنه لم يستطع أن يتنفس إلا بصعوبة تحت الثقل الذي يرزح فوقه . قال :

- في استطاعتي أن أقاوم خمس عشرة دقيقة ...فإذا انقضت وأخذ يعد الثواني غير أن صدغيه انتفخا ودار رأسه فلم يعد يعي شيئا ..

ولما أفاق وجد نفسه ممددا في فراشه في الغرفة التي كانَ يقيم بها في القصر و هو في كامل ثيابه ورأى "كاترين"و "برتراند" تنظران إليه في قلق . و نظر إلي الساعة فالفاها التاسعة والدقيقة الخامسة و الأربعين فهتف قائلا:

- خمس عشرة دقيقة ..لا أكثر ..

وسمع صوت "بيشو" يقول : أسرع يا " أرنولد " إلي الكوخ وأحضر حقيبته . وأنت يا " شارلوت " أحضري له قدحا من الشاي و بسكويتا.. أسرعي .

وعاد "بيشو" إلى الفراش وقال :

- يجب أن تاكل أيها الأخ العزيز .. و لكن لا تكثر من الطعام .. آه.قاتلك الله .. إنك أرعبتنا جميعا ..فماذا حدث لك ؟

وكانت "كاترين" و "برتراند" تبكيان فأمسكتا بيديه و تمتمت "برتراند" تقول :

- لاتتكلم .. لا ريب أنك متعب .. آه ..لشد ما أخفتنا .. لم ندر لإخفائك سببا .. قل لنا .. و لكن لا ..لا ..لا تقل شيئا .. يجب أن تستريح .

وصمتت الاثنتان .. و لكنهما كانتا في أشد حالات القلق والانفعال فراحتا تلقيان عليه السؤال تلو السؤال و تمنعانه في ذات الوقت من الإجابة عن أسئلتهما . و لم يكن "بيشو" أفضل منهما حالا .

و لما تناول "راؤول" قدح الشاي و أكل البسكويت و استعاد بعض قواه قال :

- لقد جاءتكم برقية من باريس ، أليس كذلك ؟

فأجابه "بيشو" قائلا :

- بلى .. جاءت .. و قد طلبت إلينا فيها أن نلحق بك إلى بيتك في أول قطار .

- ولماذا لم تذهبوا ؟

فأجاب "بيشو" :

- أردت أن أذهب غير أنهما منعتاني .

- لماذا ؟

- لأنهما ارتابتا في أمر البرقية .. و لم تصدقا أنك تتركهماعلى هذا النحو فبحثتا عنك .. و لا سيما في الغابة . و أخيرا استولت علينا الحيرة و لم نعلم هل رحلت أم لا . و مرت الساعات و نحن بين الشك و اليقين .

- ألم تخطروا رجال الشرطة ؟

- كلا لم نخطرهم .

- إذن كيف عثرتم بي ؟

- الفضل في ذلك يرجع إلي " شارلوت " . فقد جاءتنا هذا الصباح و هي تصيح قائلة : إنها رأت من نافذتها حركة ناحية الخرائب و أبصرت الأرض تميد فاسرعنا . و أحدثنا ثغرة

فقال "راؤول" بصوت خافت :

- إن "شارلوت " جديرة بالشكر .

ولما سئل عما ينوي أجاب بصوت ينطوي علي العزم :

- سانام أولا ثم أرحل .. سنذهب إلي الهافر .. و نقضي فيها بضعة أيام . سيعيد إلي هواء البحر قواي و نشاطي .

فتركوه و أغلقوا النوافذ و الأبواب فاستغرق في نوم عميق .

ولما دق الجرس في الساعة الثانية مساء وأسرعت إليه "برتراند" وجدته مضطجعا على مقعد و قد أزال لحيته و استبدل ثيابه . فنظرت إليه لحظة بإعجاب ثم دنت منه و قبلت جبينه قبلة امتزجت بدموعها.

اجتمعوا كلهم في غرفة "راؤول" فحملت " شارلوت " الطعام إليهم فتناول "راؤول" قليلا منه و كان يبدو أن التعب قد أنهكه و أنه يتوق إلى مغادرة القصر بأسرع ما يمكن و قد اضطر "بيشو" إلي مساعدته فحمله إلى السيارة و أجلسه في مقعدها الخلفي وجلس هو أمام عجلة القيادة وقاد السيارة وهو يرتجف . أما " أرنولد " و"شارلوت" فقد قررنا السفر إلى باريس بقطار المساء .

ولما وصلوا إلى الهافر لم يشأ "راؤول" لأسباب لم يذكرها أن ينزلوا الحقائب أو أن يذهبوا إلى فندق ، و هناك تمدد على الرمال و قضى النهار و هو يستنشق الهواء النقي .

و آذنت الشمس بالمغيب و هو لايزال ممددا مكانه . و ما إن غابت تماما وراء الأفق حتى شهدت الشقيقتان و "بيشو" منظرا غريبا فقد نهض "راؤول" واقفا وأخذ يرقص و يضرب الهواء بقدميه و يأتي بحركات مضحكة مصحوبة بصيحات قصيرة ؟

فذهل "بيشو" وسأله :

- ماذا دهاك يا "راؤول" ؟ هل جننت ؟

غير أن "راؤول" أحاطه بساعديه و رفعه في الهواء فضحكت "كاترين"و "برتراند" و أدهشهما أن يتمتع "راؤول"بهذه القوة الفجائية وهو الذي كان في الصباح منهوكا محطما !

قال "راؤول" :

- هل حسبتم أنني سأركن إلى الخمول و أهجع إليه ، لقد تلاشى ضعفي قبل أن ابرح القصر بعد أن شربت الشاي و نمت.. والآن .. هلموا بنا إلى العمل و لنأكل أولا فإني جائع .

وذهب بهم إلى فندق مشهور . فتناولوا طعاما شهيا . و كان أثناء

الطعام مرحا طروبا ، فاشكل الأمر على "بيشو" وقال له :
- كأني بك قد استعدت شبابك في القبر :
فقال "راؤول" :
- يجب أن أعوض عليك ما أصابك من حزن و انفعال يا عزيزي "بيشو" فإنك كنت في حالة يرثى لها و أنت تقود السيارة لقد اقشعر بدني من الخوف . هل تريد أن ألقي عليك درسا في القيادة ؟
و كان الليل قد تكاثفت خيوطه حين عادوا إلى السيارة فجلس "راؤول" في مكان القيادة و أجلس "بيشو" بجانبه وجلست الأختان خلفهما قال "راؤول" محدثا "بيشو" :
- لا تخف يا عزيزي "بيشو". إنني بحاجة إلى الانتعاش و كلما زادت السرعة زاد سروري .
وسرعان ما انطلقت السيارة في الطرق الممهدة وخرجت إلى الطريق الموصلة إلى هارفلير . وكانت معبدة فمرقت منها السيارة مروق السهم واجتازت طريق سان رومان ثم انحرفت في طريق ليلبون .
وكان "راؤول" يصيح بين الفينة و الفينة محدثا "بيشو" في جذل:
- هل تسرك هذه النزهة أيها العزيز ؟ لاباس بهذه السرعة من رجل محتضر . يخيل إلى أنك خائف مرتعب يا "بيشو" .. "برتراند"..."كاترين"، إن "بيشو" خائف فالأفضل أن نقف .. ما قولكما ؟
وقبل أن يبلغ منحدر ليلبون تحول بسيارته إلى اليمين ويمم شطر كنيسة لاحت له وقال :
- هذه قرية القديس "جان دي فولفيل" .. ألا تعرفينها يا "برتراند" وأنت يا "كاترين" إنها على مسيرة ٢٠ دقيقة من قصر (باريفا) لقد أثرت الوصول إلى القصر من هذا الطريق حتى لا يشعر بنا أحد .
وأوقف "راؤول" السيارة بالقرب من سياج العوسج ثم سار مع أصدقائه في الطريق القروي الذي يلتقي عنده طريق القصر وطريق راديكاتل . وأخذوا يتقدمون في حذر و احتراس .
وبلغوا بداية سور القصر . وكان "راؤول" قد أخفى سلما هناك بين العوسج فبحث عنه ووجده وأسنده إلى السور ثم صعد وأطل برأسه إلى الحديقة ونادى زملاءه قائلا بصوت خافت :

- إنهما اثنان يعملان .. وهذا لا يدهشني كثيراً .

فتسلق الآخرون السلم وهم في أشد حالات الفضول لشهود ما يحدث هنالك واطلوا برؤوسهم فرأوا شبحين . وقد وقف كل منهما على إحدى ضفتي النهر في اتجاه برج الحمام .

وكانت السماء ملبدة بالغيوم فلم يكن في الاستطاعة معرفة الشبحين اللذين انحنيا على الأثر فوق النهر وراحا يحدقان في أعماقه كانهما يرقبان شيئا . ومع ذلك فلم يكن معهما مصباح يستعينان به وكان يخيل للناظر إليهما أنهما صيادان يصطادان خلسة أو ينصبان فخاخا .

أعاد "راؤول" السلم إلى مخبئه ثم قصدوا إلى القصر .

وأسرع "راؤول" إلى قاعة البلياردو وهي قاعة غطيت جدرانها بالخناجر والبنادق والأسلحة القديمة فتناول من بينها بندقية وفحصها وقال :

- إنها محشوة ..

فتمتمت "كاترين" قائلة : هل في نيتك أن تقتلهما ؟

- كلا .. ولكني ساطلق النار .

- أه . أتوسل إليك .

غير أن "راؤول" أطفأ مصباحه الكهربائي الصغير وفتح النافذة في هدوء . وأرسل مصباحه في الظلام فأبصر الشبحين في موضعهما لا يتحركان كما لو كانا تمثالين من الرخام .

ومرت بضع دقائق فبدرت من أحد الشبحين حركة بطيئة واشتدت انحناءة الشبح الآخر الواقف بالجزيرة .

وسدد "راؤول" بندقيته . فاستولى الحزن على "كاترين" وقالت له متوسلة :

- أرجوك .. أرجوك لا تقتل ..

فسألها قائلا : ماذا تريدينني أن أفعل ؟

- أسرع واقبض عليهما .

- وإذا هربا ؟ .. وإذا أفلتا منا ؟

- ذلك مستحيل .

- إنني ألجأ إلى أضمن الوسائل .. وسدد بندقيته .

وفي هذه اللحظة اشتدت انحناءة الشبح الواقف بالجزيرة ثم أخذ يبتعد ودوى طلق ناري أعقبه طلق آخر . فتدحرج الشبحان على الأعشاب وهما يتأوهان .

فالتفت "راؤول" إلى "برتراند" و "كاترين" وقال لهما :

- ابقيا هنا .. وحذار أن تتحركا .

انتظرا عودتنا وأعدا ما يلزم للعناية بالشقيين . على أن إصابتهما ليست خطرة فقد سددت الرصاص إلى سيقانهما . "بيشو" فتش دولاب الردهة فتجد سيورا وحبلين

وتناول بنفسه مقعدا كبيرا يصلح كمحفة وسار على مهل قاصدا إلى ضفة النهر حيث يرقد الجريحان .

وأخرج "بيشو" مسدسا كما أمره بذلك "راؤول" وقال هذا الأخير محدثا أقرب الجريحين إليه :

- لا تحاول المقاومة يا صديقي العزيز وإلا قتلك المفتش بيشو شر قتلة . خير لك أن تخلد إلي السكون .

وجثا بجانبه وأرسل ضوء مصباحه الكهربائي على وجهه وهتف يقول :

-كنت أعرف جيدا أنني سأجدك يا مسيو "أرنولد" . ولكنك كنت تدبر خطتك بحذق وذكاء حتى بات من الصعب أن أرتاب فيك ولكنني أيقنت من جرمك هذا الصباح فقط . ماذا كنت تفعل هنا يا صديقي ؟ هل كنت تصطاد تبرا من النهر ؟ ستشرح لي الآن كل شيء ضع زبونك هذا فوق المحفة يا "بيشو" وأوثق يديه و عامله في رفق فهو مصاب في ساقه .

وحملاه إلى الصالون في حذر . وكانت الشقيقتان قد أضاءتا الأنوار فقال "راؤول" :

- ما أظرف حبيبتك يا "بيشو" .حبيبتك "شارلوت" شريكة مسيو "أرنولد" .. لم أكن أتوقع هذا .. مسكينة أنت يا "شارلوت".. ولكن عزائي أنني لم أصبك إلا إصابة خفيفة . إنك ستعنى بها يا "بيشو" أليس كذلك ؟ إنها بحاجة إلى قليل من التدليك

وبحث "راؤول" حول ضفتي النهر فعثر بقطعتين كبيرتين من القماش غائصتين في الماء وقد شد طرفاهما إلى الضفتين .

فهتف قائلا :

- ها هي شباك الصيد . فعلينا الآن بالأسماك الذهبية يا "بيشو".

الفصل الثالث عشر

التحقيق

تعدد الجريحان على مقعدين كبيرين بقاعة الاستقبال وكان "أرنولد" قد أصيب في فخذه فجعل يئن و يتاوه . أما "شارلوت" فاصيبت في قدمها فكان ألمها أقل من الم شريكها .

نظرت "برتراند" و "كاترين" إليهما في دهشة ولم تصدقا عيونهما . وراحتا تتساءلان هل من الممكن أن يكون "أرنولد" و"شارلوت" قد دبرا كل هذه المكائد والمؤمرات فخانا وسرقا وقتلا؟!! أما "بيشو" فقد انقلبت سحنته وأصبح حاله حال رجل رمته الأقدار بكل ويلاتها فانحنى فوق "شارلوت" وراح يتحدث إليها في صوت فيه مزيج من التهديد والغضب والعتب .

والظاهر أن "شارلوت" أجابته في ازدراء فثارت ثائرته وتملكه الغضب فقال له "راؤول" :

- تستطيع أن تحل قيودها أيها العزيز "بيشو" .. أعتقد أنها تتالم من الوثاق .

فحل "بيشو" وثاقها وما كاد يفعل حتى أسرعت "شارلوت" فارتمت تحت قدمي "برتراند" وراحت تقول منتحبة :

- عفوا يا سيدتي .. أذكرك أنني ليست لي أية صلة بتلك الحوادث .. أنت تعلمين انني التي أنقذت مسيو "دافيناك" .

وهنا نهض "بيشو" فجاة وهتف :

- هذا صحيح يا "راؤول" فكيف تقول إنها مجرمة ؟ وماذا اقترفت . وما هي أدلتك ؟

واستولى عليه الانفعال فمضى يقول :

- نعم .. إنني أسالك بماذا تتهم هذه الفتاة المسكينة ؟ وبماذا تتهم "أرنولد" ؟ أتتهمبماذنك فاجاتهما على شاطئ النهر حين كان ينبغي أن يكونا الآن في باريس ؟!

وهزت "برتراند" رأسها وقد وجد عندها كلام "بيشو" اذنا صاغية

وتمتمت "كاترين" تقول :

- إنـي أعرف "أرنولد" منذ زمن طويل .. وكان جدي يثق به .. فكيف تعتقد أنه قتل زوج "برتراند" ؟

ولماذا قتله ؟

فقال "راؤول" بهدوء :

- لم أقل إنه قتل مسيو "جرسان" ؟

- إذن ..

فأجاب "راؤول" قائلا بلهجة العزم :

- إذن فلنشرح الأمر فيما بيننا .. إن المسألة غامضة ، معقدة فلنتكاتف على حلها معا . فقلبي يحدثني أن مسيو "أرنولد" يستطيع مساعدتنا . أليس كذلك يا "أرنولد" ؟

وكان "بيشو" قد أطلق سراح الخادم فجلس "أرنولد" على أحد المقاعد وما إن سمع قول "راؤول" حتى ظهرت على وجهه دلائل التحدي وأجاب:

- إنني لا أخشى شيئا :

- حتى ولا رجال البوليس ؟

- حتى ولا رجال البوليس !

- وإذا أسلمتك إليهم ؟

- إنك لن تسلمني إليهم .

- أتدري أن قولك هذا نوع من الاعتراف ؟

- إنني لا أعترف بشيء ولا أنكر شيئا إنني أهزأ بك وبأقوالك .

- وأنت يا "شارلوت" ؟

وكانت الخادمة قد ملكت نفسها واستعادت بعض شجاعتها وهي تصغي إلى "أرنولد " فأجابت قائلة :

- وأنا كذلك لا أخشى شيئا .

- حسنا . سنرى إذا كانت أقوالكما هذه تتفق مع الحقيقة ، وسننتهي بسرعة .

واستطرد يقول وهو يسير في الغرفة جيئة وذهابا :

- سننتهي بسرعة رغم اضطرارنا إلى استعراض الحوادث من

بدايتها . بيد أني سأكتفي بخلاصة موجزة لهذه الحوادث بترتيبها وأهميتها ..

منذ سبع سنوات ، التحق "أرنولد" بخدمة مسيو "مونتسييه" وكان الأول وقتئذ في الأربعين من عمره ومعروفا بالذكاء والمطامع الواسعة . وقد أدرك بذكائه وبعد نظره . أنه يستطيع في أحد الأيام أن يفيد من هذا الشيخ الغريب الأطوار فعني به وسهر عليه إلى أن نال ثقته وأصبح خادمه المخلص الأمين ومساعده في معمله.

وصمت "راؤول" لحظة ثم استطرد قائلا :

- إننا لم نعرف سر اصطناع الذهب إلا اليوم . ولكني واثق أن الخادم "أرنولد" كان يعرفه منذ زمن بعيد فإن مسيو "مونتسييه" لم يخفه عنه بل ولم يخفه عن مسجل عقوده ، الأستاذ "برنار" ؛ على أنه أخفى عن الجميع كيفية اصطناعه وذلك ما أراد "أرنولد" أن يعرفه بكل وسيلة .

كان هناك المعمل الذي أقامه الشيخ في سرداب برج الحمام وقد أوصل إليه مسيو "مونتسييه" الأسلاك الكهربائية . ولكن هل كان يصطنع الذهب في ذلك المعمل حقا ؟ ألا يمكن أن يكون المعمل قد أقيم ذرا للرماد في العيون ؟ وألا يمكن أن يكون لأغراض أخرى أولها الإيهام بأنه الشيء المعد لاصطناع الذهب ؟ كل هذه أسئلة ألقاها "أرنولد" على نفسه وأخذ يرقب سيده ليجد الجواب وقد راقبه مراقبة دقيقة ... ولكنها لم تثمر ..

وأنا واثق أنه لم يكن يعرف عند موت سيده أكثر مما كنت أعرف أنا قبل قراءة الوصية . وقد استنتجت حينئذ أن هناك صلة بين وجود الذهب في (باريفا) وبين وجود النهر ولاحظت أن اسم النهر(أوريول) مشتق من كلمة (الذهب) فقضيت وقتا غير قليل في فحص قاع النهر وحاولت أن أكتشف بعض ذرات من التبر في قاعه .

وقد قام "أرنولد" بمثل هذه الأبحاث أثناء العطلة التي كان يقضيها سيده و "كاترين" في هذا القصر وكان في ذات الوقت يقوم بأعمال جلبت عليه شهرة معينة فأصبح معروفا في كثير من قرى هذه الناحية بالرجل ذي القبعة العريضة . وأنا واثق يا "بيشو" أنكم إذا قارنتم

تواريخ هذه الأعمال وجدتموها تتفق تماما مع الأيام التي قضاها "أرنولد" في (باريفا) .
وتوفي مسيو "مونتسييه" بعد ذلك وسرقت وصيته وهي سرقة أميل إلى إلقاء مسؤوليتها على "أرنولد" فهو أنبأ مسيو "جرسان" بأمر الوصية وعرض عليه خدماته وكشف له بعض مسائل تتصل بسيده . وهو الذي رسم أخيراً الخطة التي كان من نتيجتها أن ذهب مسيو "جرسان" إلى (باريفا) لنقل أشجار الصفصاف كي يصبح النهر ضمن ميراث زوجته .
واشكل الأمر على الرجلين وافتقرا إلى عناصر الحقيقة فإن النهر قد أصبح ضمن الأملاك ، والذهب موجود في مكان ما ؛ ولكنهما لا يعرفان مقره بدون الملحق الذي وعد به مسيو "مونتسييه" في وصيته ، بيد أنه كان هناك مرشد واحد هو سلسلة الأرقام المذكورة في نهاية الوصية . ولكن مسيو "جرسان" لم يفطن إلى معنى هذه الأرقام فأغفلها وأهملها .
ثم نشأت مسألة خطوبة "كاترين" ووجوب العمل بسرعة . فيتصل "أرنولد" بمسيو "جرسان" ويأتي هذا الأخير ويستميل كاتب مسجل العقود ويعمل بواسطته على إعادة الوصية إلى ملف العائلة ، ثم يبدأ أبحاثه في الحديقة .. وهنا قاطعه متهكما :
- ويموت مقتولا بيد الخادم "أرنولد" ؟!
وصمت لحظة ثم استطرد :
- بيد أن الخادم "أرنولد" كان واقفاً بعتبة المطبخ حين اقترفت الجريمة ...
فقال "راؤول" :
- إنك تكرر ما تقول يا "بيشو" .
أما أنا فأجزم بأن "أرنولد" لم يقتل مسيو "جرسان" .
- إذن فاكشف لنا عن القاتل . إما أن يكون القاتل هو "أرنولد" - وأنت تؤكد أنه ليس هو - وإما أن يكون شخصا آخر .
وفي هذه الحالة لا يكون لك الحق في أن تتهم "أرنولد" بجريمة لم يقترفها .

- لم يكن هناك جريمة .
- ألم يقتل مسيو "جرسان" ؟!
- كلا . لم يقتله .
- كيف مات إذن ؟! هل مات بالسكتة القلبية ؟!
- إنه مات من جراء سلسلة تدابير أعدها مسيو "مونتسييه" .
- ها قد صار مسيو "مونتسييه" مجرما وقد مات منذ سنتين .
- لقد كان مسيو "مونتسييه" رجلا مخبولا . وهذا سر المسألة . فإنه لم يكن يسمح ، وقد أصبح مالكا للذهب ، أن ياتي آخر فيستولي على ما بحث عنه هو مدة طويلة حتى اكتشفه أخيراً . تصور بخيلا جمع في برج الحمام كنزا خيل إليه أنه ثروة لا تنفد. ألا ترى أن من حق هذا البخيل أن ياخذ بأسباب الحيطة والحذر وأن يدافع عن كنزه أثناء غيابه ؟

كان مسيو "مونتسييه" لا يحتمل الإقامة على شواطئ السين في فصل الشتاء . ففي فصل الصيف الذي سبق وفاته صنع - سراً- من الأسلاك الكهربائية التي وضعها "دومنيك فوشيل" في معمله ببرج الحمام جهازا يحول بطريقة ميكانيكية دون الدخول إلى البرج . فكان يكفي أن يحاول دخيل أن يفتح باب البرج فتنطلق رصاصة موضوعة على مستوى الداخل بحيث تصيبه في صدره . ولما فرغ من وضع هذا الجهاز أغلق باب القصر كما كان يفعل كل سنة ؛ وأخذ المفاتيح ورحل مع "أرنولد" و "كاترين" إلى باريس حيث مات في ليلة وصوله .

ولست أشك في أنه كان يريد إماطة اللثام عن الجهاز قبل موته حتى يحتاط ذووه للأمر .. ولكن موته الفجائي حال دون ذلك كما حال دون الإباحة بسر الذهب فانقضى عشرون شهراً وشاءت المصادفات ألا يحاول أحد دخول برج الحمام . كما شاءت ألا تفسد الرطوبة الجهاز ورصاصات المسدس . فلما علم مسيو "جرسان" أن "كاترين" اعتادت اجتياز الجسر . خاطر بدوره فاجتازه ، واقترب من برج الحمام . وفتح الباب فانطلقت الرصاصة واستقرت في صدره وهكذا قتل مسيو "جرسان" بالقضاء والقدر ولم يذهب ضحية جريمة ما .

* * *

وكانت الشقيقتان تصغيان إلى "راؤول" في اهتمام عظيم وإيمان بأنه لا يقول غير الحقيقة . أما "بيشو" فقد ظل عابس الوجه .

وأما "أرنولد" فإنه راح يحملق بعينه نحو "راؤول دافيناك" .

واستطرد "راؤول" قائلا :

- لقد سألت نفسي مراراً ترى هل كان "أرنولد" يعرف سر الفخ المنصوب في برج الحمام . لم أقف على الجواب لهذا السؤال . ولكني أيقنت أن "أرنولد" قد أصبح بعد مصرع مسيو "جرسان" .. هو زعيم المؤامرة المدبرة للاستيلاء على ذهب مسيو "مونتسييه" . ولم تفهم العدالة الممثلة في شخص قاضي التحقيق شيئا من هذا وكذلك كان الحال مع رجال البوليس ممثلين في شخص المفتش "بيشو" الذي ينبغي أن أعترف بأنه أظهر في هذه القضية كفاءة يرثى لها .

فهز "بيشو" كتفيه وقال :

- ما أحسبك تزعم أنك وقفت على هذه الحقائق في غمضة عين!!

- بل قد أدركت الحقيقة من اللحظة الأولى ..

إن عدم وجود مقترف للجريمة يدل على أنها اقترفت وحدها : وما دام الإنسان قد عرف هذه النقطة فإن خطوة واحدة توصله إلى الحقيقة . وقد اجتزت أنا هذه الخطوة حين فحصت الأسلاك الكهربائية والمسدس .

أعود الآن إلى قصتنا فأقول إن "أرنولد" أصبح بعد ذلك طليق اليدين لا يخشى شيئا من الأخطار . وكان "دومنيك فوشيل" قد ساعد مسيو "مونتسييه" فعرف أشياء واستنتج أشياء . ورغم أنه كان قليل الكلام إلا أنه لسوء حظه أنبأ أمه بما هنالك فأخذت العجوز المخبولة تثرثر فتكلمت عن أشجار الصفصاف الثلاث وعن الأخطار التي تهدد "كاترين"...

فقاطعه "بيشو" قائلا :

- ولذلك بدأ "أرنولد" مغامراته بالتخلص من "دومنيك فوشيل" ثم من الأم "فوشيل" .

فضرب "راؤول" الأرض بقدمه وقال :

- كلا . كلا . إن "أرنولد" رجل غامض معقد يأتي بأعمال حاذقة

ويتخذ احتياطات لا فائدة منها ولكنه ليس قاتلا .

- إنه قتل "دومنيك" وأمه .

فصاح "راؤول" في غضب :

- إنه لم يقتلهما . إن "أرنولد" لم يقتل أحدا ...

فقال "بيشو" في عناد :

- ومع ذلك فقد سقطت شجرة على "دومنيك فوشيل" فهشمته ومات في نفس اليوم الذي أزمع فيه مقابلة "كاترين" ... وكان "أرنولد" أو رجل أخر مختبئا فسمع بهذا الموعد .

- من المحتمل أن تكون الشجرة قد سقطت بالقضاء والقدر .

- بالقضاء والقدر ؟

- نعم .

- وارتياب الطبيب ؟

- كانت ريبة في غير موضعها .

- والهراوة التي وجدت في مكان الحادث ؟

فقال "راؤول" بلهجة حازمة :

- أصغ إلي يا "بيشو" . إنك لست مغفلا كما تريدنا أن نعتقد أن موت "دومنيك" سبق موت مسيو "جرسان" . ولكنه كان أحد العوامل التي أفزعت "كاترين مونتسيبه" . وأنا أعتقد أن مسيو "جرسان" و "أرنولد" أدركا شيئا مما جاء في الوصية أو في الأرقام التي في ذيلها . ومن الجائز أنهما توصلا إلى حلها . وعلى كل حال فقد رسم "أرنولد" خطة وفكر في الرعب الهائل الذي أحدثه مصرع مسيو "جرسان" ثم ازدياد هذا الرعب مع تعاقب الحوادث كالعثور بالأم "فوشيل" دفينة تحت أوراق الشجر ثم سقوطها عن السلم وموتها .

فقال "بيشو" : ولكنك لم تحدثنا عن الخطة التي وضعها الخادم "أرنولد" ؟

- إنه كان يرمي إلى إقصاء الجميع عن القصر . فقد أتى إلى القصر ليستولي على الذهب . ولكنه لم يلبث أن أدرك في الحال أنه لا يمكنه القيام بأي عمل لتحقيق غايته إلا إذا أصبح القصر خلواً من ساكنيه قبل تاريخ معين هو ليلة ١٢ سبتمبر . فلكي يصل إلى غرضه عمل على

أن يخلق جواً من الرعب والفزع ليرغم الفتاتين على مغادرة القصر . ولكنه لم يقصد إلى قتلهما لأنه ليس قاتلا . ففي ذات مساء اقتحم غرفة "كاترين" وقبض بيديه على عنقها . وتظاهر بانه يريد أن يخنقها . وفي استطاعتك أن تقدر فرط حذره حين فعل ذلك .

- فقال "بيشو" :

- لنسلم بهذا . ولكن إذا كان "أرنولد" هو الذي رأيناه في الحديقة فمن الذي أطلق عليه الرصاص من نافذة غرفته ؟

- شريكته "شارلوت" إنهما اتفقا على ذلك . وقد تظاهر "ارنولد" بانه أصيب وجرح : فلما لحقنا به لم نجده لأنه صعد إلى غرفته والتقينا به وهو يهبط السلم وبندقيته في يده .

- ولكن كيف صعد إلى غرفته ؟!

- توجد ثلاثة دروج : أحدها في نهاية القصر . وقد كان "ارنولد" يستعمله في حوادثه الليلية ..

- ولكن بماذا تبرر الحادثين اللذين أوشك "أرنولد" و "شارلوت" أن يذهبا ضحيتهما ؟

- إنهما حادثان مصطنعان كان الغرض منهما إبعاد الشبهة عنهما . فاوقع "ارنولد" لوحا من الجسر وسقط في الماء وهدم رافدة من السقف فسقط السقف على "شارلوت" ولكن لم يصبها باذى .. وكان من نتائج الحادثين أن ازداد رعب الشقيقتين ولما ترددنا بعد ذلك في الرحيل أطلق رصاصة على "برتراند" فلم تصبها بالتأكيد ... وكان غرضه دائما أن يحمل الشقيقتين على الرحيل ...

فقال "بيشو" : ولكن كان من المقرر أن تصطحبا معهما "ارنولد" و "شارلوت"؟

- نعم .. ولكن كان في مقدورهما دائما الحصول على إجازة فيعودان إلى القصر خلسة في أيام ١٢ و ١٣ و ١٤ سبتمبر . لقد كنت أثق ... بل كنت أعتقد أن هذه التواريخ ستجلو لنا الغامض وقد قوي هذا الاعتقاد عندما حملت الشقيقتين على أن تذيعا نبأ رحيلهما في هذه الأيام فساد الهدوء على الأثر .

ولما اقترب الموعد .. استولى الخوف على "ارنولد" . وداخلته الريبة

من أن تكون مسألة الرحيل مجرد خدعة ..

كان يعلم عني أنني لست بالرجل الذي يقر بالهزيمة .. ويرضى بها فزاده ذلك قلقا . وقرر أن يقوم بعمل آخر من أعمال الإرهاب فالقى علينا ونحن في النهر صخرة أوشكت أن تقضي علينا وكانت تلك هي محاولته الإجرامية الأولى .. وقد نجونا بمعجزة ... ولكن الحرب أعلنت .. أنا العدو ... إذن فيجب إبعادي من طريقه ... راح يرقبني ويرقب حركاتي وسكناتي . وتمكن من إيقاعي في الفخ الذي نصبه لي . ثم استقل سيارتي . وقصد بها إلى باريس. ومن هناك أرسل إليكم برقية باسمي يدعوكم فيها أن تلحقوا بي.. ولو أنك لم ترتابي في الأمر انت وأختك يا "برتراند" لبقي وحده في القصر كما كان يبغي . ولكنه فشل .. وأغضبه أن يفشل . فهدم فوقي بقايا الخرائب ولولا "شارلوت" لكنت من الهالكين . فنهض "بيشو" واقفا وهتف في حماسة :

- أرأيت ! لولا "شارلوت" ... أنت تعترف بذلك ... وإذن فليست لـ"شارلوت" صلة بشيء من هذه الحوادث ؟

- قد كانت شريكته من البداية حتى النهاية .

- ولكنها أنقذتك .

- إنها فعلت ذلك بدافع وخز الضمير ... إنها تعاونت مع "ارنولد" وساعدته . ولكنها لم تقبل أن تقترف جريمة أو بالأحرى لم تشأ أن يصبح "أرنولد" مجرما .

- ولكن لماذا ؟ ماذا يهمها من أمره ؟

- هل تريد أن تعرف لماذا ؟

- نعم .

هل تريد ان تعرف لماذا نفرت من أن يصبح "أرنولد" مجرما ؟

- نعم .

- لأنها تحبه .

- ماذا تقول ؟

- اقول إن "شارلوت" عشيقة "ارنولد" .

فلوح "بيشو" يديه في الهواء وصاح .

- أنت تكذب ! .. أنت تكذب ! ..أنت تكذب ! ..

الفصل الرابع عشر

الذهب

أصغى "أرنولد" إلى حديث "راؤول" باهتمام عظيم . وهو يحرق الأرم غيظا وحنقا .أما "بيشو" فإنه صرخ أيضا :

- أنت تكذب ... ومن العار أن تهين امرأة لا تستطيع أن تدفع إهانتك.

إنها تحتقرك . وأنا كذلك أحتقرك ... إنها بريئة وكذلك "أرنولد"

- أي برهان تريد لإثبات جرمهما ؟ .. أيكفيك برهان واحد ؟

- نعم .. إذا كان برهانا قاطعا .

- هل تعتبر اعتراف "أرنولد" برهانا قاطعا ؟

- بالتأكيد ...

فاقترب "راؤول" من الخادم وحدق في عينيه وسأله :

- أليس كل ما ذكرت صحيحا ؟

فأجابه الخادم بصوت أجش :

- بلى ..

ثم استطرد في دهشة :

- بلى ... كل ما ذكرته صحيح .. وقد خيل إلي وأنت تسرد أعمالي أنك كنت ترقبني في كل لحظة من لحظات حياتي .

- إنني أهتم بكل صغيرة وكبيرة أراها وأستنتج مالا أستطيع أن أراه ... إن حاضرك يفسر ماضيك يا "أرنولد" ... إنك كنت تشتغل بهلوانا في أحد الملاعب ... أليس كذلك ؟

فقال "أرنولد" وهو كالمأخوذ :

- بلى ... بلى ...

- أليس كذلك ؟ إنك تستطيع أن تكور جسدك بحيث تنفذ من برميل ضيق . ويمكنك كذلك على الرغم من تقدمك في السن أن تصل إلى غرفتك بواسطة أنابيب المياه .

- بلى ؟

- لم أخدع في أي شيء ؟

- بلى .

- وأنت عشيق "شارلوت" ؟ و"شارلوت" قد أوقعت بالغربيشو نزولا على إرادتك . لكي تحتمي به عند اللزوم .
- نعم ... نعم ...
- وهي التي كانت تنبئك بما تذكره لها سيدتاها عن حركاتي وسكناتي وخططي .
- نعم ... نعَم .
فاوشك "بيشو" أن ينشق غيظا وحنقا وانقض على "ارنولد" واخذ يهزه بعنف ويصيح :
- إنني ساقبض عليك ، سأسلمك إلى رجال البوليس ، وستعترف بجرائمك للعدالة ...
فهز "ارنولد" راسه وقال متهكما :
- كلا ... كلا إنك إذا سلمتني للنيابة فستسلم "شارلوت" كذلك وهذا ما لا يرضيك . وسيجر عملك الفضيحة على الآنسة "كاترين" ومدام "جرسان" .
أضف إلى ذلك أن مسيو "راؤول دافيناك" لن يقرك على هذا... أليس كذلك يا مسيو "دافيناك" ؟!
قال ذلك ونظر إلى "راؤول" كانه يتحداه .. وأدرك "راؤول" معنى هذا التحدي وأن الرجل لابد انه يعلم باشتراك "برتراند" مع زوجها . فإذا قال كلمة واحدة بهذا المعنى احدث انقلابا خطيراً في الصلة بين الأختين .
أجاب "راؤول" على الفور :
- نعم .. إنني لن أقره على هذا إن من الجنون أن تثير فضيحة...
فقال "أرنولد" في إصرار :
- إذن فلن تدفعوا بي إلى رجال البوليس ؟
- نعم .. لم يحدث .
- هل أعتبر نفسي حراً .
- أنت حر .
- ولكني بذلت جهداً كبيراً ومن حقي أن اطالب بجزء من الأرباح المقبلة ..
- فقال "راؤول" وهو يضحك :
- إنك تبالغ كثيراً يا "ارنولد" .

- هذا رأيك .. ولكنه ليس رأيي .. إنني جاد فيما أقول ... فحملق "راؤول" في وجهه واستولى عليه القلق . وراح يسأل نفسه:

"ترى هل يملك الشقي سلاحا يشجعه على إملاء شروطه؟؟"

ولكنه نجح في إخفاء قلقه . وقال وهو يضحك :

- أطمئن يا "أرنولد" ! ... سوف نملأ قبعتك العريضة بالتبر .

- شكراً . سأزودك بإرشاداتي لتعثر بالذهب .

- لا تتعب نفسك . إنك فشلت . والمصيدة التي وضعتها في النهر لم تصب شيئا . أما أنا فسأنجح . ولكن حدثني ... من الذي حل لغز الأرقام التي كتبها مسيو "مونتسييه" في وصيته ؟ !

- أنا ...

- متى ؟ ...

- قبل موت مسيو "جرسان" ببضعة أيام .

- وهل استرشدت بهذه الأرقام في البحث عن الذهب ؟ !

- نعم .

- هذا حسن .. ثم تحول إلى "بيشو" وقال له :

- إنني أضع هذين الصديقين تحت حراستك . فاعتن الآن بهما وأطعمهما جيداً ... ولا تدعهما يبرحان هذه الغرفة قبل أن أنتهي من عملي .

طاب مساؤكم ... إن النعاس يغالبني .

وهم بالانصراف . فاستوقفه الخادم "أرنولد" بإشارة من يده وسأله في همس :

- لماذا لا تجرب حظك الليلة ؟

يخيل إلي أنك قمت بعملك دون أن تفهم معنى الأرقام . إنها ليست مسألة حظ يا مسيو "أرنولد" ولكنها مسألة ثقة و ...

- و ...

- لا توجد ريح الليلة .

- إذن فستؤجل عملك إلى مساء الغد .

- كلا . بل إلى صباح الغد .

- صباح الغد !

وفهم "راؤول" من دهشة "أرنولد" أنه لم يدرك معنى الأرقام .

* * *

وقد حالف الحظ "راؤول" . فظلت الريح تعصف طول الليل . وتئن في النوافذ . وتهز الأشجار من جذورها

وفي الصباح وجد "راؤول" الشقيقتين في غرفة الاستقبال . وقد أعدتا له طعام الفطور واقبل "بيشو" من القرية يحمل خبزا وزبدا وبيضا فقال له :

- أهذا طعام صديقتك ؟

فقال "بيشو" بصوت أجش : سأطعمهما خبزا وكفى ..

فابتسم "راؤول" وقال :

- أرى أن شعورك نحوهما قد بدأ يتغير ...

فأجاب مزمجرا :

- إنهما وغدان . لقد شددت وثاق الشقي "أرنولد" وحاولت بجميع الوسائل . بل وبالتهديد بالقتل . والتلويح بالخناجر المثبتة بجدار غرفة البليارد .. أن أحمله على الاعتراف كتابة فأسوقه إلى المشنقة .. ولكنه أصر على المكابرة والرفض والتحدي .

* * *

وفي الساعة التاسعة خرج "راؤول" و"بيشو" والشقيقتان . وكانت الأمطار تهطل بشدة . فوقف "راؤول" بضفة النهر وقال محدثا "بيشو" :

- انظر .. هذه حركة المد والجزر . إن العاصفة تسبقها دائما

واجتازوا الجسر ووصلوا إلى برج الحمام وكان "راؤول" في خلال إقامته بالقصر قد اصطنع مفتاحاً لباب البرج وأصلح الأسلاك الكهربائية ففتح الباب وأضاء النور .

وتقدمهم "راؤول" إلى الطابق الأسفل . وأومأ إلى مسرد (غربال) مصنوع من الأسلاك وقال :

- لقد أخطأ "أرنولد" إذ أراد استخراج التبر بقطعة من القماش الشفاف . ذلك لأن قطعة القماش كانت تطفو فوق سطح الماء ولا تصل إلى قاع النهر ... أما هذا المسرد الذي صنعه مسيو "مونتسييه" فإنه يفي بالغرض المطلوب .

ثم تقدم إلى جدار البرج ... وفتح بابا حديديا يدل مظهره على أنه ظل مغلقا مدة طويلة . وما كاد الباب يفتح حتى سمع القوم تلاطم الأمواج وهزيم الريح .

كان هذا الباب يطل على النهر مباشرة . فاستعان "راؤول" و"بيشو"

على إسقاط المسرد (الغربال) في عرض النهر . ثم قال "راؤول" :

- الآن ... قد سد قاع النهر كما يسد بشباك الصيد .

إن هذا الباب الحديدي يرجع تاريخه إلى قرنين على الأقل .. وفي اعتقادي أن أصحاب قصر (باريفا) كانوا يقومون منذ القرن الثامن عشر ... أو السابع عشر بنفس العمل الذي نقوم به نحن الآن .

وخرجوا من البرج . وكانت الأمطار قد انقطعت وغاضت مياه نهر (الأوريل) فلم يعد يصب في نهر السين وطغت مياه هذا النهر الأخير .

فاندفعت موجةهوجاء تحت ضغط حركة المد والجزر التي أثارتها الرياح فاكتسحت الوادي وملأته بجبال من المياه الهائجة المضطربة ..

وتغلبت مياه السين على مياه (الأوريل) وأرغمتها على التقهقر حتى المنبع فصاح "راؤول" :

- ما أغرب هذا المنظر !! إن الحظ يحالفنا .. من النادر جداً حدوث حركة المد والجزر بمثل هذه الشدة .

واندفعت أمواج أخرى من مياه السين وسيول المطر فدار "بيشو" والشقيقتان بـ"راؤول" وراحوا يرقبون ذلك المنظر الفذ في إعجاب ودهشة .

هتف "راؤول" قائلا :

- نعم ... نعم ... هذا ما ظننت ... إذا صحت نظريتي وصلنا إلى النتيجة في الحال .

وبعد نصف ساعة تقريباً هدأت حركة المد والجزر وانحسرت الأمواج وانسابت المياه على سفح جبل الرومان من مئات الجداول وعادت مياه (الأوريل) إلى سابق عهدها من الارتفاع .

فقال "راؤول" :

- لقد صحت نظريتي ..

فسأله "بيشو" :

- إذن فأين الذهب ؟!

فلم يجب "راؤول" . بل انطلق يعدو نحو القصر . وعاد بعد لحظة حاملا (مصفاة) من المعدن ... فغمسها في الماء أمام (المسرد) ... ثم أخرجها ... فسال الماء من ثقوبها ورأى القوم التبر يتألق في قاعها .

الفصل الخامس عشر

الثروة

دخل "راؤول" غرفة البليارد حيث كان "بيشو" قد شد وثاق "ارنولد" و "شارلوت" إلى مقعدين لمنعهما من الفرار فقال محدثا "ارنولد" :

- خذ يا مسيو "ارنولد" ... إليك الهدية التي وعدتك بها ... إليك كمية من التبر تملأ قبعتك .

فتأمل الخادم قبضةالتبر ... وظهرت على وجهه علامات الحسرة والأسف .

قال "راؤول" سأستخرج الليلة أو غدا ما بقي من الذهب ... ولكن يجب أن تقنع بهذا القدر ... فهو كل نصيبك من صفقة هذا الموسم .

* * *

وقصد كل منهم إلى غرفته فاستبدلوا ثيابهم ثم داروا بمائدة الطعام وكان "بيشو" يتحرق شوقا إلى معرفة الحقيقة فراح يرهق "راؤول" بالأسئلة :

قال :

- ها هي التجارب قد أثبتت لنا أن النهر يحتوي على ذهب بطريقة دائمة وأنه يكتسح معه في ظروف معينة كميات كبيرة من التبر تتجمع عند سفح البرج . أليس كذلك ؟

- كلا أيها العزيز "بيشو" . إنك لم تفهم شيئاً بعد . إنني توفرت على دراسة سر هذا الذهب . وسأفضي إليك به الآن لكي أشبع فضولك فاصغ إلي ..

قال ذلك وأخرج من جيبه ورقة عليها الأرقام التي سجلها مسيو "مونتسنييه" في ذيل وصيته . وقرأ هذه الأرقام كما يلي :

٩١٤١٣١٢٣١٢١١١٠٩١٥١٤١٢٣١٦١١٥١٤

ثم استطرد قائلا :

- إذا فحصنا هذه الورقة جيداً وجدنا أن الرقم (١) يتكرر مرة بعد كل رقم آخر إلا في حالتين تكرر فيهما عقب رقمين ، وأن من الممكن

تقسيم هذه الأرقام إلى أربع حلقات تنتهي اثنتان منها بالرقم ٣ واثنتان بالرقم ٩ . فاذا محونا هذين الرقمين ٣ و ٩ أصبحت الأرقام كما يلي :

١٤ ، ١٥ ، ١٦ – ١٣ ، ١٤ : ١٥ – ١٠ ، ١١ ، ١٢ – ١٢ ، ١٣، ١٤

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن هذه الأرقام تدل على تواريخ وأن الرقمين ٣ ، ٩ يدلان على شهري هذه التواريخ وهما شهر مارس وشهر سبتمبر وهذان الشهران هما اللذان كان مسيو "مونتسييه" يقضيهما في القصر . فقد كان يقضي جزءاً من شهر مارس في (باريفا) ولا يبرح هذا القصر إلا بعد منتصف سبتمبر . ففي استطاعتنا إذن أن نفترض أن مسيو "مونتسييه" قبل موته سجل هذه الأرقام قبل وفاته بعامين لكي يتذكر التواريخ التي يستطيع فيها استخراج بعض الذهب وهذه التواريخ هي :

١٤ : ١٥ ، ١٦ مارس و ١٣ ، ١٤ ، ١٥ سبتمبر من العام الماضي و ١٠، ١١ ، ١٢ مارس و ١٢ ، ١٣ ، ١٤ سبتمبرمن هذه السنة . وقد كان أمس ١٢ سبتمبر واليوم ١٣ وهذا ما بنى عليه "أرنولد" خطته . كان يعلم أن مسيو "مونتسييه" يقوم باستخراج الذهب في تواريخ معينة عرفها من أسلافه . وأثبتت التجارب صحتها .. فعول على أن يحذو حذو سيده ... وأن يبدأ محاولته في أحد هذه التواريخ .

فقال "بيشو" :

– وإذن فقد كان مسيو "مونتسييه" وخادمه على علم بالتواريخ الصحيحة ؟!

– ولماذا تظن أنها التواريخ الصحيحة ؟

– لأسباب أجهلها .

– أيها الغبي ! أنت تعرف الأسباب . كما عرفتها لأول وهلة ...

– وما هي ؟

– إن هذه التواريخ هي تواريخ حركة المد والجزر أيها الغبي : إنها تواريخ بدء الربيع والخريف .

ففكر "بيشو" لحظة ثم قال :

– إذن فعندما تحدث حركة المد والجزر تكتسح الأمواج معها قطع

الذهب الطافية مع الماء أو الكامنة في بعض ثقوب الأحجار .

فضرب "راؤول" المنضدة بيده وقال :

– كلا وألف مرة كلا . ذلك هو الخطأ الذي وقع فيه كل من عرف هذا السر واستثمره .. إن الحقيقة غير ذلك .

– أوضح ما تقول :

– لا توجد في بلدنا أنهار تحتوي على ذهب . من الممكن أن يوجد ذهب في أحد الأنهار ولكن لا يمكن أن يكون هذا طبيعيا .

– إذن فمن أين أتى هذا الذهب الذي رأيناه ؟

– من يد وضعته في النهر .

– ماذا تقول ؟ هل جننت ! يد تضع ذهبا في النهر وتضع المزيد كلما نفد ؟

– كلا . بل وضعت في النهر كمية كبيرة من الذهب لا يمكن أن تنفد ، إن الذهب لم يصنع بطرق كيميائية كما حملنا مسيو "مونتسييه" على أن نعتقد . وهو لم يوجد في النهر بفعل العوامل الطبيعية كما توهم مسيو "مونتسييه" وأسلافه . ولكننا على عكس ذلك كله أمام كنز ينقص شيئا فشيئا في أوقات معينة ... هل بدأت تفهم يا "بيشو" ؟

ففكر "بيشو" هنيهة ثم قال :

– كلا .. لم أفهم .

فابتسم "راؤول" : ونظر إلى الشقيقتين ، وكانتا تصغيان إليه في اهتمام وقال :

– من رأيي أن كنزاً عظيماً وضع في خزانة مغلقة في مكان ما وبقي فيها عشرات بل مئات السنين ولا ريب أن عناصر الطبيعة قد أثرت في هذه الخزانة فأحدثت فيها ثقوبا وأخذ الذهب يتسرب منها تدريجيا . أما متى تسرب هذا الذهب لأول مرة ؟ ومن الذي التقطه من النهر لأول مرة فذلك مالا علم لي به . ولكني أعتقد أنه ليس من المتعذر معرفة ذلك من السجلات المحلية ومخلفات الأسر العريقة في هذه الناحية .

فقالت "كاترين" وهي تبتسم :

– أما أنا فأعرف ذلك .

فسألها "راؤول دافيناك" بلهفة : أحقا ما تقولين ؟

- نعم . كانت لدى جدي خريطة للقرية يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٥٠ ولم يذكر النهر في هذه الخريطة باسم (أوريل) . بل ذكر باسم النهر المالح .

فصاح "راؤول" قائلا بلهجة الفائز :

- هذا هو البرهان القاطع . لقد أبدل اسم النهر المالح بنهر (الأوريل) أو نهر الذهب لأسباب حملت الناس على تسميته كذلك .

وبديهي أن تكون الأسباب عثور بعض الناس على شيء من الذهب في مائه أو قاعه ، فبدا على وجه "بيشو" أنه اقتنع بهذا الإيضاح وقال:

- ولكن ماذا تستنتج من كل ذلك !؟

- سأقول لك ماذا أستنتج يا "بيشو" .. إنني اهتممت منذ البداية بجبل الرومان وكان الباعث على هذا الاهتمام غرابة اسم الجبل ، وقد وجدت أنه ليس جبلا طبيعيا بالمعنى المفهوم . ولكنه عبارة عن صخور وأحجار كومها الإنسان في تلك البقعة . واستخدمها مخبأ للأسلحة والمعادن الثمينة . وبمرور الأيام تهدم المخبأ . ونمت عليه الأعشاب ونسي الناس حقيقته ومن المحتمل أن يكون اهتمامي بهذه الأكمة هو الذي أوجد عندي فكرة الكنز . وقد قويت هذه الفكرة حين رأيت أن النهر يحيط بالجبل من جهات ثلاث.

وازداد يقيني من صحة ما ذهبت إليه حين وجدت أن ماء المد والجزر قد غمر سفح الجبل وتغلغل في مغائره وكهوفه .

ولما بدأ الجزر خرجت المياه من الجبل وانساب معها الذهب الذي سقط من الخزانة والذي التقطناه في المسرد .

وصمت "راؤول" . وشعر الجميع بأن ذلك هو التعليل الصحيح لهذه الظاهرة العجيبة .

فقال "بيشو" :

- إذن فقد أصبح مخبأ الذهب غير مأمون .

- ومن ذا الذي يخطر بباله أن بالجبل خزانة تحتوي ذهباً ؟! إن مسألة هذا الذهب قديمة ولم يفطن إليها أحد قبل الآن .. وأكبر ظني أنها ترجع إلى عهد الرومان وأن أحد ولاة الرومان كان يقيم في

راديكاتل فجمع ثروة ، واستبدلها بذهب أودعه خزانة ثم خبأ هذه الخزانة في الجبل ومات فجأة بعد ذلك دون أن يمتد به الأجل حتى يكشف عن سره لأولاده أو أصدقائه . ومضت السنون تلو السنين . والأجيال إثر الأجيال دون أن يعلم أحد شيئا عن هذه الثروة الهائلة .. وفي أوائل القرن الثامن عشر بدأت العناصر الطبيعية تعمل في الخزانة فتسرب منها بعض محتوياتها وانساب مع مياه المد .. وما زال الحال كذلك حتى مات مسيو "مونتسييه" وقتل مسيو "جرسان" ...

- فقاطعه مسيو "بيشو" بأن غمغم معجبا :

- وظهرت أنت ...

وكانت الشقيقتان تنظران إليه في إعجاب كما ينظر الإنسان إلى شخص قادر على عمل المعجزات . فنهض "راؤول" واقفا وقال:

- والآن . ترى ماذا بقي من كنز الوالي الروماني ؟! لم يبق منه شيء كثير بالتأكيد . ولكن لنبحث على كل حال عن البقية .. فقد نجدها .

فقال "بيشو" : وكيف نبحث عنها ؟

- بالتغلغل في جوف جبل الرومان .

- ولكن ذلك يتطلب وقتا طويلا . فيجب أن نزيل الأشجار ونحدث فجوة في سفح الجبل . ولما كنا لا نستطيع التماس المساعدة من أحد...

فقاطعه "راؤول" :

- إن هذا العمل لن يستلزم منا أكثر من ساعة أو ساعتين .

- فهتف "بيشو" في دهشة :

- ماذا تقول ؟!

- نعم ! إذا افترضنا أن الذهب وضع في خزانة فيجب أن نفترض أن هذه الخزانة لم تدفن في جوف الأرض وإنما وضعت في مكان أمين حتى لا يفطن إليه أحد . ويكون من السهل على من يعرف بامره أن يصل إليه .

وقد لاحظت وأنا أفحص العشب أن إحدى صخور الجبل قد زحزحت عن مكانها الطبيعي . فهلم معي يا "بيشو" .. احمل معولا وتعال معي لنتحقق من وجهة نظري .

وحمل كل منهما معولا وقصدا إلى جبل الرومان تصحبهما "كاترين" و "برتراند" . وهناك راحا يضربان الصخور بمعوليهما . إلى أن أحدث أحد المعولين ثغرة فعكف الصديقان على توسيعها ثم أضاء "راؤول" مصباحه الكهربائي .. وسلط ضوءه على تلك الثغرة . وعندئذ وقعت أبصارهم على مايشبه الغرفة الطبيعية . ورأوا على أرض الغرفة ثلاث أوان كبيرة مملوءة ذهباً .

فهتف "راؤول" :

- هذا ماتوقعته ... فإن ماء الجزر يتغلغل إلى هذا المكان ثم ينساب حاملا الذهب ..

كان "راؤول" يتكلم في هدوء ... كأنه يسرد قصة عادية ... أما أصدقاؤه فوقفوا مشدوهين مذهولين .. أمام هذا الاكتشاف العجيب .

وتناول "راؤول" معوله وحطم إحدى الأواني فانتثر منها الذهب وتألقت قطعه وذراته في نور المصباح الكهربائي .

وعقدت الدهشة لسان "بيشو" ... فركع على ركبتيه وهو يرتجف... وراح يحملق في جوف المخبأ وهو لا يكاد يصدق عينيه.

ولزمت الشقيقتان الصمت وكان صمتهما ينم عن شيء آخر غير مجرد الدهشة والذهول ...

سألهما "راؤول" : وماذا أصابكما ... وفيم تفكران ؟

فأجابت "كاترين" : إننا نفكر فيك ... وفي المعجزة التي تمت على يديك ...

تمت بحمد الله

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وارسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : باسم

دار ميوزيك

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
٢٠	١٩	١٨	١٧	١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١
٣٠	٢٩	٢٨	٢٧	٢٦	٢٥	٢٤	٢٣	٢٢	٢١
٤٠	٣٩	٣٨	٣٧	٣٦	٣٥	٣٤	٣٣	٣٢	٣١
٥٠	٤٩	٤٨	٤٧	٤٦	٤٥	٤٤	٤٣	٤٢	٤١
٦٠	٥٩	٥٨	٥٧	٥٦	٥٥	٥٤	٥٣	٥٢	٥١
						٦٤	٦٣	٦٢	٦١

الإســم : ____________________

العنوان : ____________________

ص.ب ______ المدينة : ______ الرمز البريدي : ______

الدولــة : ____________________

برجاء تحرير شيكات مصرفية مسحوبة على أي مصرف في لبنان

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها. سارع في إرسال طلبك!

١	ارسين لوبين بوليس اداب	١٧	الباب الاحمر
٢	ارسين لوبين بوليس سري	١٨	البرنس ارسين لوبين
٣	الماسة الزرقاء	١٩	التاج المفقود
٤	ارسين لوبين رقم ٢	٢٠	الثعلب
٥	أرسين لوبين في السجن	٢١	الجائزة الأولى
٦	المعركة الأخيرة	٢٢	الجائزة الكبرى
٧	ارسين لوبين في موسكو	٢٣	الجاسوس الاعمى
٨	أرسين لوبين في قاع البحر	٢٤	الجثة المفقودة
٩	أرسين لوبين في نيويورك	٢٥	الجرائم الثلاثة
١٠	اسنان النمر	٢٦	الجريمة المستحيلة
١١	الميراث المشؤوم	٢٧	الجزاء
١٢	اصبع أرسين لوبين	٢٨	الجلاّد
١٣	لصوص نيويورك	٢٩	الخدعة الكبرى
١٤	اعترافات أرسين لوبين	٣٠	الخطر الأصفر
١٥	الإبرة المجوفة	٣١	الخطر الهائل
١٦	الإنذار	٣٢	الدائرة السوداء

الرقم	العنوان
٣٣	الرصاصة الطائشة
٣٤	الرهان
٣٥	الزمردة
٣٦	الساحر العظيم
٣٧	السر الرهيب
٣٨	السر في العين
٣٩	السر في القبعة
٤٠	السهم القاتل
٤١	السوق السوداء
٤٢	الشريف
٤٣	الصحفي المفقود
٤٤	الصوت الغامض
٤٥	الطائرة المحترقة
٤٦	العقد المفقود
٤٧	الغرفة الصفراء
٤٨	الغرفة ٣٤
٤٩	الغريقة
٥٠	الغريمان
٥١	الغلاف الأزرق
٥٢	الفخ الرهيب
٥٣	الفيل الأبيض
٥٤	القزم
٥٥	القفاز الأسود
٥٦	القفاز المسموم
٥٧	الكرسي الهربائي
٥٨	الكوخ المهجور
٥٩	اللص
٦٠	اللص الظريف
٦١	اللصة
٦٢	اللغز المحير
٦٣	اللؤلؤة السوداء
٦٤	المجرم